كتاب

الإفك المعاصر

حول المرتد سلمان رشدي

عرفان محمود

منظمة الاعلام الاسلامي

٣٤٨

عراق الثائر
ذاعة
١٠ ع اق التقا سي

كتاب

الإفك المعاصر

حول المرتد سلمان رشدي

عرفان محمود

شبكة الفكر
alfeker.net

منظمة الاعلام الاسلامي
٣٤٨

الكتاب: كتاب الإفك المعاصر (حول المرتد سلمان رشدي).

المؤلف: عرفان محمود.

الناشر: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي.

الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران/ص.ب: ١٣١٣/١٤١٥٥.

المطبعة: طهران ــ سپهر

التاريخ: الطبعة الاولى: ١٤١٠ هـــ ١٩٨٩ م.

طبع منه: ٣٠٠٠ نسخة.

مقدمة الناشر

هذا هو الحكم الخميني الشرعي التاريخي العظيم. الحكم الذي زعزع قلاع الكفر وأثبت لكل أُولئك الذين يخطّطون لضرب العالم الإسلامي أن الأُمة الإسلامية حية بقائدها وعلمائها وجماهيرها وأنّهم لايستطيعون أن يمرّروا مخطّطاتهم دون ما تلقّي الضربة المهلكة.

إنّه الحكم التاريخي الذي أوضح للعالم أنّ الإمام لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنّ الذين يتّكلون على الله ــ جلّ وعلا ــ لا ترعبهم كلُّ القوى.

إنّه الحكم الخميني التأريخي الذي أوضح للعالم الإسلامي مَن هم الذين يعيشون قضيته بكل وجودهم؟ وفي قبال ذلك من هم الذين يتاجرون بهذه القضية ليحقّقوا مآرب الكفر؟

فلنقرأ إذن في هذا الكتاب أبعاد هذا الحكم.

معاونية العلاقات الدولية
في
منظمة الاعلام الاسلامي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

«إنّا لله و إنّا إليه راجعون»

أُعلن للمسلمين الغيارى في أرجاء المعمورة أنَّ مؤلف كتاب «الآيات الشيطانية»، وناشريه العارفين بمحتواه؛ محكوم عليهم بالاعدام، فهذا الكتاب أُعِدَّ وطبع ونشر بهدف الإساءة إلى الإسلام والنبي والقرآن.

أطلب من المسلمين الغيارى أن يسارعوا إلى إعدام أُولئك حيثما ثقفوهم، لكي لايتجرّأ أحد على التعرّض بالإهانة لمقدسات المسلمين، وكل من يُقتَلُ في هذا السبيل فهو شهيد إن شاء الله.

و إذا كانت لأحد القدرة على الوصول إلى مؤلف الكتاب ولكن لاطاقة له على إعدامه، فليعرِّفه للآخرين لكي يلقى عقاب ماجنته يداه.

والسلام عليكم و رحمة الله

روح الله الموسوي الخميني

١٣٦٧/١١/٢٥ هـ.ش

٧/رجب/١٤٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بتلك الأسطر القليلة المتصدِّرة لهذا الكتاب، أعلن قائد الأُمة الاسلامية الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه)، واحداً من الأحكام الإلٰهية التي يجمع على الفتوى بها فقهاء الإسلام كافة بمختلف مذاهبهم، وهو حكم ارتداد المتعرِّض بالإساءة الصريحة لرسول الله (ص)، ووجوب قتله على كل مسلم، وبإعلان هذا الحكم وتشخيص مصداقه المعاصر المتمثل بمؤلف كتاب «الآيات الشيطانية» سلمان رشدي ــ الحامل للجنسية البريطانية ــ وناشريه العارفين بمحتواه، فجَّر قائد الأُمة واحداً من أهم وأبرز المواقف الإسلامية الحازمة في عصرنا الحاضر، إنَّه موقف امتاز بإجماع إسلامي شعبي ندر حصوله تجاه أيٍّ من القضايا الراهنة الأُخرى التي تهم المسلمين.

وبهذا الإعلان لفت الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) أنظار المسلمين إلى مايُراد بهم وباسلامهم ومقدساته، ولفت انتباه علمائهم إلى مسؤوليتهم الشرعية، في تعريف المسلمين وتعبئتهم لمواجهة المؤامرات الاستكبارية المستهدِفة للإسلام ومقدساته، وللدين والتديُّن، وفي الطليعة لعلمائه الأتقياء المتصدِّين لهداية الناس إلى هدى الاسلام المحمدي الأصيل.

وبهذا الإعلان وجَّه الخميني القائد (رضوان الله تعالى عليه) ضربة عنيفة للاستكبار الغربي أوجدت لديه حالة غريبة من الإرباك لم تحدث

له حالة مماثلة لها من قبل أبداً. وعلى أقلّ الفروض لم يمر بمثلها خلال قرن كامل من تاريخ الصراع الطويل بينه وبين الإسلام، بما في ذلك حدث انتصار الثورة الإيرانية نفسها.

وبهذا الإعلان المبدئي الحازم عبّأ الخميني (القائد الرباني) الصفّ الاسلامي ووحّده بصورة غضب إيماني ضد الاستكبار الغربي عامة، وبريطانيا خاصة، وهي التي ظلّت على مدى تاريخ تآمرها الطويل ضد الاسلام تسعى بشكل متواصل لوضع واجهات بديلة تواجه بها الاسلام؛ لتبقى هي تتحرك خلف الكواليس، وحتى عندما كانت في أوج قوّتها الاستكبارية كانت تتجنّب المواجهة المباشرة، فإذا بالضربة الخمينية تجعلها في مواجهة مباشرة مع العالم الإسلامي، وتنزع عنها الواجهات البديلة التي سعت هذه المرة أيضا لوضعها أمامها في المؤمرة الجديدة، بل وعزلت عنها حتى شريكاتها في السوق الاوربية المشتركة التي لم تجد مناصا من التخلي عن التضامن الصريح مع الموقف البريطاني في مواجهة الموقف الاسلامي الحازم.

وحتى فيما يتعلق بداخل التجربة الاسلامية في ايران فقد جاء الإعلان الخميني المبدئي ليقطع الطريق على العديد من قنوات التسلّل الغربي التي خُطّط لها طويلا لتكون بوّابةً للعودة الغربية. وبذلك حمى هذه التجربة المحمدية من مخاطر التسلُّل الغربي الذي أراد التستر بظروف الإعمار وإعادة البناء وأجواء مابعد الموافقة الإسلامية على القرار الدولي رقم ٥٩٨، وإيقاف إطلاق النار، من أجل تحقيق هدفه الثابت في تطويق الثورة من الداخل.

وعلى صعيد عموم الحالة الاسلامية العالمية؛ فقد أعطى الإعلان الخميني المبدئي شحنة معنوية للجهاد الإسلامي في مواجهة تحدّيات أطراف الجبهة المعادية (صغارها وكبارها) وهي شحنة ذات اندفاعة

ضخمة يمكن لها أن تُحدِثَ نقلة نوعية كبيرة في مسار هذا الجهاد لصالح الحق الاسلامي، شريطة أن يتعامل الإسلاميون معها بجدية وفدائية إسلامية، وصلابة مبدئية، مستلهمة من صلابة صاحب هذا الأذان الجهادي الصادق.

هذه هي بعض عموميات معطيات الإعلان الخميني الأخير، والموقف الاسلامي الحازم الذي فجّره، وهي بلاشك تحتاج إلى المزيد والمزيد من البحث والتعمُّق للتعرُّف على كامل أبعادها، وتحديد المناهج الجهادية العملية التي تلقي الأضواء عليها، ومهمة كهذه ضرورية بلاشك، ضرورية لإبعاد هذه المعطيات عن اللغة الانفعالية ذات التأثير الوقتي المحدود، وهي ضرورية لاستنباط تلك المناهج الجهادية العمليَّة، وهي ضرورية للرقيِّ الإسلامي إلى المستوى الخطير الذي يميِّز حالة الصراع التاريخي بين الإسلام وأعدائه في الظرف المعاصر، حيث يعمل أعداؤنا وفق خطط معدَّة لاستئصال إسلامنا وقتله فينا، أو قتلنا إن عجزوا عن ذلك.

والكتاب الذي بين أيديكما ــ أخي القارئ وأُختي القارئة ــ هو محاولة أولية لاستنباط أبعاد معطيات هذا الإعلان وما عبَّر عنه وما كشف عنه، استنباطها مما تحدَّث به صاحب هذا الإعلان المبدئي وقائد التجربة الاسلامية المعاصرة عن هذا الموضوع بالذات، فهو رائد المواجهة والعارف بأبعادها ومميِّزاتها وخفاياها.

ولاشك في أن آستكمال الضرورات المترتِّبة على تحديد معطيات هذا الإعلان تحتاج إلى جهود مكثفة لايمكن استيعابها في هذه المحاولة التي أُريد منها ــ بالدرجة الأُولى ــ مواكبة مجريات الإعلان الخميني ذاك، وإيصال كلمته. من هنا فإن مسؤولية استكمال هذه المهمة والمساهمة في تحديد المناهج العملية الجهادية المترتبة عليها هي مسؤولية الجميع.

مسؤوليتك أنـت اخي الـقارئ، ومسؤوليتكِ أنتِ أُختي الـقارئة، وحسبُ مقـدِّمِ هذه المحاولة أن يـوصل كلـمة الإمام القـائد، وتحديده الأُطرَ العامَّـة للموضوع، وإيضـاح مقاصده من هذا الاعلان، وهـذا مانسأله تعالى أن يحصِّننا بـالأمانة والـدقة في تبلـيغه، وأن يجـعل أجرنا عليه الـعصمة من الخطأ في تبيان المقصود، وفي تحـميل غير المراد. إنَّـه ولي النِعَمِ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

عرفان محمود

العشرون من شعبان المعظم

١٤٠٩ للهجرة

الفصل الاول

أبعاد التحرك الجديد
للقوى المعادية

كيف ينظر الامام القائد لقضية نشر كتاب سلمان رشدي بحد ذاتها؟! وكيف يحلل دوافعها واهدافها؟ وهل هي ياترى حركة مستقلة، أم حلقة متصلة بنظائر عديدة لها؟ وقبل ذلك، هل هي حركة عفوية أم مقصودة؟! وهل تحكمها أهداف مؤقتة أم استراتيجية؟! وهل إنَّ هذه الأهداف محدودة بمجرد الإساءة للمقدّسات الإسلامية أم إنَّها تتَّسع عن هذا الإطار؟ وهل إن المسؤولين عنها هم مؤلف الكتاب وناشروه أم هناك خلفهم أصابع أُخر أشدّ مكراً وخبثاً.

قبل الشروع في البحث عن إجابات هذه الأسئلة ممّا تحدث به الإمام الخميني ــ رضوان الله تعالى عليه ــ عن الموضوع يجدر أن نعطي لمحة مجملة عن طبيعة الكتاب ومؤلفه، ومجريات النشر. ففي هذه اللمحة إجابة على أكثر من سؤال من تلكم الأسئلة.

الكتاب عبارة عن رواية يصفها مؤلفها نفَسه بأنها «تجري ضمن رؤية خيالية لشخصية خيالية، أحاول أن أُقدِّمَ في أحداثها وجهة نظري حول ظاهرة الوحي ومولد دين عالمي كبير، وإنَّ هذه النظرة تمثل نظرة إنسان ملحدٍ، كانت للثقافة الاسلامية ومازال أهمية مركزية طوال حياته»[1].

---

١ ــ وردت اقوال رشدي هذه ضمن رسالة بعث بها الى رئيس الوزراء الهندي

فهذه الرواية[1] إذن تخيُّلية صرفة باعتراف المؤلف وهذا يفقدها أيَّ شكل من أشكال الاستدلال العلمي، وبالتالي ينفي الحاجة لأن يكون الردُّ عليها علمياً، فهي تفتقد أدنى درجات المحاجة العلمية[2] هذا أوّلاً. وثانيا: فإن الجانب التخيّلي فيها لايمثل في الحقيقة إلّا مجالات الإساءة الصريحة للشخصيات الإسلامية الحقيقية التي ورد ذكرها في الرواية وخاصة الرسول الأعظم (ص)، إذن فالجانب التخيُّلي فيها يستهدف أساسا الإساءة الى تلك الشخصيات الاسلامية المقدّسة، مع تركيز الإساءة على شخص الرسول الأعظم (ص)، وتتمحور صور الإساءة حول توجيه

ــ راجيف غاندي ــ احتجاجا على قرار حكومة الهند منع نشر الكتاب في الهند، وقد ارسلها رشدي بتاريخ ٥/١١/٨٨ ويلاحظ إصرار رشدي على نشر الكتاب والآراء والإساءات التي أوردها فيه. راجع صحيفة الانترنشنال هيرالد تربيون الصادرة بتاريخ ١٩/شباط/١٩٨٩.

اما ادعاء رشدي بأنَّ شخصية الرواية خيالية فهو كذب محض، فالأوصاف التي أوردها تنطبق كاملة على شخصية الرسول (ص) من ناحية الأجواء التاريخية كأسماء الصحابة المحيطين به، (سلمان الفارسي، بلال الحبشي، صهيب الرومي) وكونهم امتداداً لإبراهيم الخليل، وهذه الأسماء كلها وردت صراحة، وكذلك اسم هاجر زوجه إبراهيم وأبنها إسماعيل، كما أورد أسماء زوجات الرسول (ص) صراحة، وكل مافعله تجاه التعتيم على شخص الرسول الاعظم هو اختيار اسم (ماهوند) بدلاً من محمد (ص)، وهذا الإسم اعتاد المستشرقون إطلاقه على الرسول الأعظم بغرض الإساءة، واختياره لهذا الإسم في رواية نوع آخر من أنواع الاساءة يضاف إلى الإساءت الوقحة الأُخرى التي نربأ عن ذكر حتى نماذج منها.

١ ــ نشرتها في ٥٤٧ مؤسسة النشر العالمية بنغوين فايكنغ (Pengvin Viking) تحت عنوان، «الآيات الشيطانية» (The satanic Verses) في ٢٦/٩/١٩٨٨ والمؤسسة مشتركة من دارالنشر البريطانية بنغوين، ودارالنشر الامريكية فايكنغ.

٢ ــ وهذه الميزة بحد ذاتها تبين ابتعاد الذين تنادوا بضرورة الردّ العلمي والفكري على الكتاب، ابتعادهم عن الواقع الحقيقي للقضية ذاتها وعن أبعادها الحقيقية وبذلك يتضح أن دعاة هذا الرد الفكري إمّا أنهم يفتقدون الوعي الشرعي لمجريات الصراع، أوانهم عملاء؛ واعين أو غير واعين، يسعون لتنفيذ المخططات الغربية التي سعت لبلبلة الموقف الاسلامي تجاه الإساءة الوقحة للمقدسات الإسلامية.

اتهاماتٍ أخلاقية تسعى لتهشيم قدسية الرسول الأكرم وبصورة من أكثر الصور ابتذالاً[1] بحيث يمكن الجزم معها بأن الإساءة هي الهدف الأساس من هذه الرواية.

أمّا بالنسبة لمؤلف الكتاب، سلمان رشدي،فهو من أصل كشميري، ومن عائلة مسلمة، وهذا يعني أنَّ تجرُّأه على الإساءة لمقدسات المسلمين يصنفه حسب الاصطلاح الشرعي كمصداق للمرتد الفطري، وهذا مايعترف به هو بنفسه في رسالته إلى راجيف غاندي، حيث يصف نفسه صراحة بأنه (ملحد)، وقد ولد في مدينة بومباي في الهند ودرس في مدرسة بومباي التبشيرية، وعاش في بريطانيا لأكثر من عشرين عاما حيث تابع دراسته في لندن منذ كان عمره ١٣ عاما. فقد أرسلته إليها مدرسة بومباي التبشيرية، ودرس الآداب في جامعة «كمبردج» خلال الأعوام من (٦٥ـ١٩٦٨)، وله مؤلفات عديدة منها (أطفال في منتصف الليل) وفيه انتقد القيم الاجتماعية والثقافية والدينية في الهند، وكتاب (الخجل أو الحرام) وفيه انتقد ثقافة الباكستان وزعاماتها ودينها. ومن ملاحظة مجريات حياة (رشدي) هذه يتضح أنّه صناعة غربية بالكامل فكراً وسلوكاً ونتاجاً، ولو تذكّرنا طبيعة عمل المدارس التبشيرية، وأنها تتركز حول إعداد الأدوات الثقافية المنفّذة لسياسات المستعمرين تجاه

---

١ ـ تميزت الصور التخيُلية التي اختارها رشدي لتوجيه الإساءات ـ في روايته ـ للرسول والرموز الإسلامية باعتمادها أُسلوب التهجم الصريح وابتعادها حتى عن الرمزية التي تميِّز الأُسلوب الادبي في تناول الموضوعات، وهذا مايفقدها القيمة الأدبية بالمقياس الفني للأدب المعاصر، وبالتالي فإنَّ هذا يوضح حقيقة أن الثناء المبالغ فيه للقيمة الأدبية للرواية وترشيحها للجائزة الأدبية في بريطانيا، كما روَّجت وسائل الدعاية البريطانية، كل ذلك يفتقد الاساس الواقعي للتقييم، الأمر الذي يكشف عن أن كل ذلك الثناء والترويج يستهدف أهدافا تبتعد كثيراً عن الجانب الفني والأدبي المحض.

المناطق المستعمَرة واختيارها من أبنائها بالذات لتكون ضرباتهم أكثر وأشد تأثيراً، لو تذكرنا ذلك أمكن الاستنتاج بأن هذا الكاتب المرتزق قد أُعِدَّ أساساً لخدمة الأهداف والسياسات الاستكبارية[1].

أمّا على صعيد مجريات نشر الكتاب وترويجه، فقد تصدت وسائل الدعاية الغربية للتمجيد بهذا الكتاب ضمن حملة مقصودة ومعروفة الأهداف، وتنوعت مظاهر هذه الحملة الدعائية مابين نشر تقريرات مفصلة عنه في الصحف، إلى ترشيحه للفوز بالجائزة الأدبية في لندن، فمثلا وصفت صحيفة الساندي تايمز اللندنية إحدى كبريات الصحف الغربية الكتاب بقولها: (قطعة فنية رائعة في شكل رواية تعتبر أكثر طموحاً من أيٍّ عمل آخر كتب هذه الأيام) وهذا ثناء من المحال أن تطرحه جهة غربية تجاه أيِّ نتاج من نتاجات أيٍّ من كتّاب العالم الثالث، ولم تكن العنجهية الاستعلائية الغربية لتسمح به لو لم يكن الهدف منه يتجاوز حدود هذه العنجهية[2]. ونفس الأمر يصدق على مانقلته نشرة (ملخصات

---

١ ــ يراجع مثلا كتاب التبشير والاستعمار، وهو جهد وثائقي مشترك بين الدكتور عمر فرّوخ ومصطفى خالدي فيه الكثير من الأرقام التي تثبت هذه الحقيقة، وممّا لاشك فيه أنَّ خريجي وصنائع المدارس التبشيرية الغربية في البلدان الاسلامية أو الذين أرسلتهم إلى العواصم الغربية ثم عادوا إلى أوطانهم قد كانت لهم آثار تخريبية مدمِّرة لثقافة المجتمعات الاسلامية وشخصيتها الاسلامية، وهم بذلك وكذلك بالأحزاب والتيارات السياسية التي قادوها، في بلدانهم شكلوا أهم أدوات الاستعمار الغربي في السيطرة على العالم الإسلامي، لاحظ الأقوال التالية لبعض نماذج هؤلاء لتتضح خطورة دورهم، فمثلا يقول كمال أتاتورك رائد العلمانية في تركيا، وهو صنيعة بريطانية معروفة (نحن نعيش في القرن العشرين ولانستطيع أن نسير خلف كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون) ويقصد القرآن الكريم. أمّا طه حسين الذي انتزع من الازهر ومن هويته الاسلامية ثم حُوِّل إلى أداة لطرح الإساءات والتحريفات الغربية للاسلام فيقول: (ان مصر تقبل بالحضارة الغربية، حلوها ومرها خيرها وشرها، وما يحمد منها ومايعاب).

٢ ــ راجع هامشاً سابقاً أشرنا فيه إلى أنَّ هذا الثناء لاينسجم بتاتا مع الأُسس الفنية ◄

الإصدارات البريطانية) عن أحد كبار النقاد الانجليز حيث أوردت قوله واصفاً كتاب «الآيات الشيطانية» بأنه (عمل ممتع بشكل لعين وعبقرية شيطانية).

وضمن مجريات نشر هذا الكتاب نلاحظ ما أدلى به (كوشوانت سين) وهو أحد مستشاري دار نشر بنغوين (فايكنغ بنغوين) حيث حذّر من نشر الكتاب قبل المباشرة في طبعه، حيث صرح قائلاً: (لقد صور النبي محمد (ص) في هذه الرواية على أنه دجال، وإن كان المؤلف لايدرك أن هذا العمل قد يسبب المشاكل فلاشك أنه لايفهم أبداً حقيقة الأمور في الهند).

وواضح من تصريح مستشار مؤسسة النشر المذكورة وهو هندي غير مسلم[1] أن جانب الإساءة للمقدّسات الاسلامية واضح في الكتاب

للتقييم الأدبي، ونفس هذا الأمر يصدق على الرأي الذي طرحه اندريه فونتين رئيس تحرير صحيفة اللوموند كبرى الصحف الفرنسية.في مقال نشرته الصحيفة بعد إصدار الإمام لفتواه التاريخية قال فونتين: (إنَّ سلمان رشدي روائي وأديب مبدع من الدرجة الأولى، وإنَّ الكتاب هو رواية عالية المستوى ونص أدبي ممتاز فكيف يمكن ان ندين هذا النص بحجة أنه يقوم بتجريح دين ما) والغريب في الأمر أن رشدي وهو كاتب من الدرجة العاشرة في بريطانيا لم يتحوَّل إلى (روائي وأديب مبدع) إلّا بعد أن أصدر كتبه الثلاثة التي اشرنا إليها في المتن والتي يتهجم فيها على الهند وثقافتها، والباكستان ودينها، والاسلام ومقدساته، والأغرب من ذلك أن الصحف الفرنسية الثلاث التي نشرت مقاطع مطولة من رواية «الآيات الشيطانية»، عمدت إلى هذا الإجراء في وقت واحد وهي صحيفة (الليبراسيون) اليومية المعروفة، وأُسبوعية (افنمودي دي جودي) وأُسبوعية (لنوفيل ابزرفاتور)، وقد عمدت هذه الصحف ثلاثتها إلى نشر مقاطع متكاملة من الرواية في الأُسبوع الأخير من شباط ١٩٨٩، وهذا مالا يمكن تصوره إلّا في حالة وجود تنسيق بين هذه الصحف. والطريف في الأمر أن رؤساء تحرير الصحف الثلاث هم جيعا من اليهود الفرنسيين.

١ ــ التصريح نقلته صحيفة الهلال الدولي الصادرة في لندن (١٦ ــ ٣١ مايس ١٩٨٩) كما كرره في مقابلة مع صحيفة تهران تايمز.

ولكن رغم العلم بأنه قد يسبب المشاكل فهناك إصرار على طبعه ونشره وهذا يعني أن هناك هدفا أكبر من الهدف التجاري البحت بالنسبة لمؤسسة النشر، إنّه هدف على درجة من الأهمية بحيث يتم الإقدام على طبع الكتاب ونشره على الرغم من المخاطر المحتملة، وهذا مالايمكن تصوره إلّا أن تكون هناك جهات حكومية خلف قرار الطبع والنشر لهذا الكتاب، تتولى مهمة توفير غطاء الحماية لمؤسسات النشر في مواجهة تلك المخاطر المحتملة، وأكثر من تبني نشر الكتاب المذكور تتحدث الأرقام المتوفرة عن تخطيط سابق لتأليفه، حيث ذكرت الصحف اللندنية (أن مؤسسة النشر الرئيسية للكتاب (فايكنغ بنغوين) دفعت مبلغا قدره ٨٥٠ ألف جنيه استرليني لسلمان رشدي مقدّما ليكتب الرواية) أي إنَّ عملية الدفع تمت قبل أن يشرع بالكتابة أساسا، ونفس الأمر حدث مع مؤسسات إعلامية غربية في أنحاء اوربا الأُخرى تسلَّم منها رشدي أثمان عقود لترجمة روايتِه ونشرها في أُوربا[١].

وكل ذلك يحمل براهين قاطعة على اتساع المساهمة غير العادية في نشر الكتاب على نطاق واسع، على الرغم من ضعف مستواه الأدبي الذي لم تستطع أن تتستَّر عليه كل حملات الدعاية والثناء التي تصدت لها الصحافة الغربية.

وخلاصة مايمكن التوصل إليه بصورة قاطعة من الحقائق من الأرقام الواردة في هذه اللمحة الموجزة هو أن الرواية تعتمد على الجانب التخيُّلي الذي يستهدف أساسا الإساءة إلى الرسول، وأن كاتبها مرتد فطري، يعترف بإلحاده صراحة، وأن هناك تبنّيا حكوميّاً من الغرب لنشر روايته وتبنّياً من وسائل الدعاية الغربية للترويج والدعاية لها،

---

١ ــ راجع صحيفة الهيرالد تربيون بتاريخ ١٨/٢/١٩٨٩.

وإصراراً من هذه الأطراف على نشرها وعلى نطاق واسع.

والآن وبعد هذه اللمحة المجملة؛ لنشرع في البحث عن الأجوبة على تلك التساؤلات[1] ونبدأ بأول نص ورد عن قائد الثورة عن الموضوع وهو فتواه التاريخية بإعدام مؤلف الكتاب وناشريه المطّلعين على فحواه حيث يقول قائد الأُمة مانصه:

«هذا الكتاب أُعِدَّ وطبع ونشر بهدف الإساءة إلى الاسلام والنبي والقرآن»[2]:

إذن فالحركة هادفة وليست عفوية، هادفة منذ البداية، هادفة مع بدء إعداد الكتاب ومجريات الطبع والنشر والتوزيع، والهدف هو الإساءة للمقدّسات الاسلامية، للاسلام كدين إلٰهي، وللنبي الأكرم (ص) رسول الاسلام، وللقرآن دستوره الخالد، هذا هوجواب السؤال الأول، وجاءت الوقائع اللاحقة لتدعم بالأرقام مصداقية هذا الجواب ودقّته وصوابه، كما سنشير لذلك لاحقا وكما تضمنت اللمحة الاجمالية جانباً من هذه الأرقام ولننتقل الآن إلى السؤال الثاني وهو: ما الهدف الأبعد من هذه الإساءة؟ وما هو الإطار الأوسع لها؟! لنتمعّن في الإجابة عن التساؤل والتي يقدّمها الإمام في بيانه إلى مراجع الإسلام وعلمائه، يقول (رض) مانصه:

«إن قضية كتاب «الآيات الشيطانية»، قد أُعِدَّتْ سلفاً من أجل

---

١ ــ التمعن في اللمحة المجملة عن الكتاب ومؤلفه ومجريات نشره يقدم العديد من البراهين الرقية على الأجوبة التي تتضمنها النصوص الصادرة عن الإمام رضوان‌الله تعالى عليه.

٢ ــ نصوص كثيرة وردت في الرواية تصور الاسلام صراحة بأنه دين الشذوذ الأخلاقي، والنبي (ص) بالشهوانية، والقرآن بعدم التوازن، بل وصلت الجرأة بالملحد المرتد إلى حدّ التعرض للذات الإلٰهية المقدسة، ووصفها بمايوصف به الجشعون من التجار، وقلوبنا لا تطاوعنا في نقل شيء من تلك النصوص فلم نجد فيها شيئاً يخلومن الكفر الصريح (رغم أنَّ ناقل الكفر ليس بكافر فإنّاالله و إنّا إليه راجعون).

استئصال الدين والتديُّن عامة، وفي الطليعة الاسلام وعلماؤه».

إذن فالقضية هي مؤامرة معادية معدَّة سلفاً، وهدفها استراتيجي واسع النطاق، يطمح إلى حدِّ آستئصال الدين والتديُّن عامة، ومجرد الإساءة إلى المقدسات الاسلامية وسيلة أو هدف مرحلي لتحقيق ذاك الهدف الاستراتيجي الواسع.

ولكن أزاء هذا التحديد الصريح قد يتبادر إلى الاذهان تساؤل مهمٌّ يستلزم الإجابة عليه، فبدون هذه الإجابة يقود التساؤل الى مخاطر الظن بوجود مبالغة في التحديد الآنف، خاصة عند من لم يُحِطْ كاملا بأبعاد هذه الحركة، ولم يطَّلع على تجارب العمل الاستكباري المضاد لاسيما الغربي منه. والتساؤل هو:ــ إن قضية نشر كتاب رشدي بحدِّ ذاتها وبحدودها المعلنة هي أصغر بكثير من أن يطمح المخطّطون والمنفِّذون لها في أن تكون وسيلة لتحقيق ذلك الهدف الاستراتيجي الكبير الذي بُذِلَتْ لأجل إنجازه جهودٌ وجهودٌ على مدى قرون[1] دون أن تتمكَّن من تحقيق كامل هذا الهدف فكيف يمكننا والحال هذه تصوُّر أنَّ الغرب الاستكباري ــ وهو على ماعرف به من شدة المكر والخبث والدهاء ــ يعمد إلى هذه الوسيلة المحدودة لتحقيق هدف استراتيجي كبير وخطير كالذي يتحدث عنه الإمام الخميني؟!

للإجابة عن هذا التساؤل تنبغي الإشارة إلى حقيقتين أساسيَّتين نعتقد أنهما تلقيان الأضواء الكاشفة اللآزمة لإيضاح الإجابة.

الحقيقة الأولى:ــ هي أن مجريات تأليف ونشر الكتاب المذكور

---

١ ــ يعبِّر عن هذه الجهود التصريح الشهير الذي أدلى به اللورد غلادستون رئيس الوزراء البريطاني الأسبق بداية هذا القرن حيث يقول (مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أُوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في مأمن).

تقطع بما لايدع مجالا للشك بأن الأمر معدٌّ سلفاً ـ كما أشرنا لذلك ـ وإلّا كيف يمكن أن تفسر عملية النشر الواسع لهذا الكتاب وترجماته خلال أشهر لا تتجاوز الأربعة، لتشمل عملية النشر خلال هذه المدة القصيرة معظم الدول الغربية وتتجاوزها لتصل للعديد من دول آسيا، وتبنّي مؤسسات أُخرى لترجمته بسرعة ونشره في معظم أرجاء المعمورة مابين اليابان وأمريكا، وأوضح من ذلك تبنّي المثليات الثقافية الغربية والبريطانية خاصة نشر هذا الكتاب بسرعة في العديد من بلدان العالم الاسلامي، إنَّ من له أدنى اَطّلاع على عمل مؤسسات ودور النشر العالمية يستطيع القطع باستحالة ان تتوفر لأيِّ كتاب مهما كانت طبيعته ماتوفرت لكتاب «الآيات الشيطانية» من إمكانات استثنائية وحالة من التبني غير العادي لطبعه ونشره وترجمته وتوزيعه بكل تلك السرعة خاصة في ظل ازدحام قوائم الاصدارات الجديدة يوميا بعشرات المؤلفات الجديدة التي تفوق معظمها في جنبتها التجارية على مالكتاب رشدي من قيمة تجارية، وفي قبال كل ذلك وغيره من قرائن كثيرة ـ يخرجنا استقصاؤها عن هدف البحث ـ يمكننا الجزم بأنّ القضية معدَّة ومخطَّطٌ لها وقد جهزت بإمكانات واسعة ومتشعِّبة وغير عادية تستلزمها عملية الترويج المتعمَّد لهذا الكتاب، وعلى ضوء كل ماتقدَّم فإنَّ القول بأن هذه الوسيلة هي وسيلة محدودة يجانب الحقيقة ويخالف مجريات الواقع، خاصة عندما نلاحظ التبنّي الحكومي للقضية من قبل بريطانيا والعديد من الحكومات الغربية. فالقضية سُخِّرت لها إمكانات واسعة تنفي حالة المحدودية التي يوحي بها ظاهرها.. هذا أوّلاً.

أمّا الحقيقة الثانية: فهي أن كلَّ مطَّلعٍ على أساليب تنفيذ السياسات الاستكبارية يستطيع بيسر اكتشاف اعتمادهاعلى منهجية الخطوة خطوة في الوصول إلى الأهداف الاستراتيجية. فهي تبدأ بخطوة

صغيرة تحاول أن تكون بعيدة عن الاهتمام، غير مثيرة للإحساس بالخطر لدى عامة أفراد الطرف المستهدف، ثم تعقبها خطوات أُخرى تسير تصاعدياً نحو تحقيق الهدف الاستراتيجي، وعلى ذلك تعتبر كل خطوة منها حلقة ضرورية لتحقيق الهدف الاستراتيجي مهما كانت تلك الخطوة صغيرة[1].

ومع اتضاح هاتين الحقيقتين يتضح الجواب عن التساؤل المذكور، وتتضح موقعية خطوة نشر كتاب «الآيات الشيطانية» من الجهود الاستكبارية لتحقيق ذلك الهدف الاستراتيجي الكبير، وكخطوة أُولى نحو تصعيد محاربة الاسلام ومقدساته، حيث من اليسر توقُّع أن تكون بداية لسلسلة من الخطوات المماثلة والأشدّ خطورةً لوكتب للخطوة الأُولى أن تمرَّ بسلام ولو لم يتصدَّ قائد الأُمة الاسلامية لإعلان ذلك الموقف الشرعي الحازم تجاه المؤامرة مفجِّراً ذلك الموقف الاسلامي الحازم والموحَّد في مواجهة تلك الخطوة الأوَّليَّة، ومن المفيد أن نشير هنا إلى ماسرَّبته الصحف البريطانية في يوم الخميس التاسع من رجب عام ١٤٠٩ هـ الموافق لـ١٦/ شباط/ ١٩٨٩م، حيث ذكرت ان إحدى مؤسسات الإنتاج السينمائي البريطاني كانت في صدد إنتاج سلسلة من الأفلام السينمائية والبرامج التلفزيونية محورها رواية «الآيات الشيطانية»، إلّا أنَّ هذا المشروع عُتِّم عليه فيما بعد بسبب اتساع ردود الفعل الإسلامية

---

١ ــ تمكن الاشارة الى الكثير من مصاديق هذه المنهجية الاستكبارية كنموذج التغلغل والتوسع في إيجاد الوجود الصهيوني في فلسطين الذي بدأ بخطوات أوليَّة صغيرة في بدايات القرن ثم انتهى إلى اغتصاب فلسطين كاملة و إعلان دولة إسرائيل، كما تمكن الإشارة إلى نموذج تأسيس و نشر المدارس والجامعات التبشيرية في البلدان الاسلامية نظائر الجامعات الامريكية واليسوعية في لبنان وسوريا حيث بدأت بنشاطات محدودة ذات جوانب تعليمية، ثم توسعت لتصبح في النهاية مراكز أساسية لصناعة الطليعة المثقفة المزيَّفة التي ساهمت بدور كبير في محاربة الثقافة والشخصية الإسلامية في البلدان الاسلامية وتغريبها، كما يمكن أن يشار إلى عموم النظام التعليمي الغربي المعمول به في معظم البلدان الاسلامية. ـ

الغاضبة تجاه قضية الكتاب أساسا. إلى هنا نعتقد أنَّ الإجابة على ذلك التساؤل قد أصبحت واضحة، وأصبح مفهوما أنَّ قضية هذا الكتاب تمثل خطوة أُولى من مؤامرة كبرى من المؤكد أنَّها ستنفَّذ لولا الموقف الإسلامي المضادُّ الذي فجَّره قائد الأمة الإسلامية، ولولا آستمرار الموقف العُلمائي والجماهيري في مواجهة هذه المؤامرة. يقول الامام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) في بيانه إلى مراجع الاسلام وعلمائه بتاريخ (١٥/رجب ١٤٠٩) متحدِّثا عن قضية نشر الكتاب مانصه:

«لوغفلنا عن هذه الإساءة فإنَّها ستكون الخطوة الأُولى فهناك في أكمام الاستعمار الكثير الكثير من هذه الأفاعي الخطْرة وذوي الأقلام المأجورة، وفي ظل هذه الظروف لاحاجة بنالمتابعة تشكيل وتوسيع العلاقات مع الدول الأُخرى، فلعل الأعداء يتوهَّمون أنَّنا أصبحنا في حاجة إليهم إلى درجة أن نلتزم الصمت تجاه إهانة عقائدنا ومقدَّساتنا الدينية».

اذن قضية نشر هذا الكتاب هي حركة مقصودة خُطِّط لها أن تكون خطوة أُولى لمحاربة واستئصال الدين والتدين عامة، الدين السماوي وقيمه بصورة عامة وروح الالتزام بهذه القيم حتى تلك التي تتضمَّنها الأديان المحرَّفة ذات الأُصول السماوية، وآستهداف روح التديُّن وقيمه بإطارها العام حقيقة نشهد في تاريخنا المعاصر العديد من مصاديقها المعاصرة، لعل أبرزها حاليا قضية إنتاج الغرب لفيلم (الإغواء الأخير للمسيح)[1] الذي يتعرَّض بالإساءة الصريحة والمبتذلة لشخص السيد المسيح على نبيِّنا وعليه السلام، وقد أثار عرضه في الدول الأُوربية موجة

١ ـ الفيلم من إخراج المخرج الامريكي مارتن سكورسيس ويتضمن في نهايته خاصة اتهامات بالعقد الجنسية للسيد المسيح عليه السلام، والإساءات فيه صريحة مبتذلة لهذا النبيِّ المرسل على نبينا وعليه السلام.

من الاستياء والسخط في الأوساط المسيحية وصلت إلى درجة إحراق العديد من دور السينما التي عرضت الفيلم، كما أثار موجة من الاحتجاج بين الأوساط الاسلامية عندما أُعلن قرار عرض الفيلم في مهرجان اسطنبول السينمائي الثامن في الفترة مابين الأول الى الخامس عشر من نيسان عام ١٩٨٩م، وسنعرض إن شاء الله لأسرار قرار عرضه في بلد إسلامي كبير كتركيا خلال حديثنا عن ملابسات الموقف الغربي المضاد للغضب الإيماني الذي ساد العالم الاسلامي ضد الغرب بسبب مؤامرة كتاب الآيات الشيطانية.

و إلى جانب تأكيد الإمام الخميني (رض) على أن تلك المؤامرة تستهدف الدين والتديُّن عامة أكَّد الإمام (رض) أيضا على تخصيص الإسلام وعلمائه كواجهة أُولى مستهدفة لهذه المؤامرة، كما صرَّح بذلك في نص ثبَّتناه آنفا، فلماذا خصص الاسلام أوّلا؟ ولماذا خصص علماءه بالذات ثانيا؟ وما هو وجه هذا التخصيص ثالثا؟

للإجابة على الشطر الأول من السؤال نراجع بيان الإمام الخميني الذي اصدره في (١٤/شعبان/ ١٤٠٩) بمناسبة ذكرى النصف من شعبان مولد الحجة المنتظر أرواحنا فداه. يقول (رض) في هذا البيان مانصه:ـــ

> «إنَّ العالم الاستكباري ولاسيَّما الغربي قد أدرك اليوم عمق خطر تنامي تيار الاسلام المحمدي النقي على مطامعه غير المشروعة. فالشرق والغرب يدركان جيّداً أن الاسلام هو القوة الوحيدة القادرة على طردهما من الميدان، فهما قد تلقَّيا ضربات قاصمة وجَّهها لهما الإسلام خلال الأعوام العشرة المنصرمة من عمر الثورة الاسلامية في إيران، ومن هنا اتخذ قراراً بإبادة الإسلام بأيَّة وسيلة ممكنة، إبادته في إيران باعتبارها القاعدة المركزية للاسلام المحمدي الأصيل».

إذن فسرُّ استهداف الاسلام بالخصوص في هذه الحرب الشاملة

ضد الدين والتديُّن والقيم الإلٰهية، يرجع إلى مايمتاز به الاسلام ــ وهو الشريعة الخاتمة ــ من شمولية واقتدار، ورسوخ في الوجدان الاسلامي، وقدرة على النفوذ في الانسان، وحل كافة معضلاته، وبالتالي جدارته في أن يكون البديل الحضاري الكامل للحضارات المادية الغربية التي يستند النظام الدولي الحاكم في عصرنا الحاضر عليها، وقدرته على تحدّي وتحطيم معادلاته الجائرة التي تحرس المصالح غير المشروعة للمستكبرين على حساب نهب ثروات المستضعفين وخيراتهم وسحق حقوقهم، وهذه الحقيقة التي كان أقطاب الاستكبار الدولي يدركونها نظريا في السابق أدركوها عمليا وبعمق أكبر خلال الأعوام العشرة المنصرمة ضمن تعاملهم مع تجربة الثورة الاسلامية في إيران وامتداداتها خارج ايران[1] وعرفوا أن الانتصارات التي أحرزتها عليهم، والضربات القاصمة التي وجّهتها لهم، ونجاحها في إحباط أعقد وأشرس مؤامراتهم، كل تلك الانتصارات تخرج

---

١ ــ منذ تفجُّر الثورة الاسلامية في إيران أطلق العديد من الساسة الغربيين والإسرائيليين تحذيرات صريحة من أخطار هذه الثورة على المصالح الغربية والصهيونية وأنها تمثل (بداية عصر الظلمات بالنسبة لإسرائيل) ــ بيغن ــ وأن (الزلزال الذي تفجر في إيران ستصلنا آثاره) ــ موشي ديان ــ ونظائر ذلك، ووصلت التصريحات بهذا الخطر إلى درجة أن يقدم رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق شمعون بيريز على دعوة الحكومات العربية (المعتدلة) صراحة لـ(تنسيق جهودها) مع إسرائيل لمواجهة خطر التطرف الديني القادم من إيران، والذي يمثل خطراً مشتركا يهدد (الحكومات العربية المعتدلة وإسرائيل)، وقد اختار بيريز عشية أنعقاد القمة العربية الاستثنائية في عمّان نهاية عام ١٩٨٧ لاطلاق دعوته هذه (وكالات الأنباء) والتصريحات المماثلة كثيرة يصعب حصرها ولامجال هنا لاستقصائها وتكفي الاشارة إلى أن إطلاقها اصبح عاديا بحيث يلجأ اليه الملك الأُردني حسين مثلاً بين فترة وأُخرى لدفع الإدارات الامريكية لتحريك عجلة الجهود التفاوضية لتصفية القضية الفلسطينية، مبرّراً ذلك بضرورته كخطوة في مواجهة خطر التطرف الديني الذي تنشره إيران، والذي يهدّد منطقة الشرق الأوسط بكاملها، لاحظ مثلا المقابلة التي أجرتها معه صحيفة الواشنطن بوست على اعتاب عقد القمة الاستثنائية العربية في عمان.

عن إطار المعادلات السائدة ولايمكن تفسيرها إلّا بقوة الاسلام وفاعليته الوجدانية، فهي التي فجّرت كل تلك الطاقات الصمودية، وهي التي أنجزت كل الانتصارات. والتغاضي عن هذه القوة المحرّكة بل وأدنى تهاون في مواجهتها يعني التعجيل بل الحكم بتدمير مصالحهم ومطامعهم غير المشروعة القائمة في المنطقة الاسلامية، بل وعلى الساحة الدولية عموما.

وهنا يكمن سرُّ اتفاق كلمة الأقطاب الدولية على القرار الاستراتيجي الهادف إلى إبادة الإسلام واستئصاله، واختيار إيران المعاصرة باعتبارها تمثِّل القاعدة المركزية لحالة الصحوة الإسلامية المعاصرة؛ هدفاً محوريا لهذه الهجمة يعود الى كونها مصدر الإلهام الروحي والدعم الجهادي لحركة العودة الاسلامية وتيار الجهاد الاسلامي العالميين[1] فقوتها تعني قوة هذه الحركة وهذا التيار، كما أن ضعفها وبالتالي إبادة الاسلام فيها يعني فاتحة استئصاله وإبادة الإسلاميين في أرجاء المعمورة. فإيران الاسلامية هي اليوم مركز إحياء فاعلية الاسلام المحمدي الاصيل، وهي الصادعة عملياً وتبليغياً باقتدار الاسلام على كافة المعضلات التبشيرية، وبالتالي المتبنِّيةُ له بديلاً حضارياً واحداً للبشرية جمعاء. فهي طليعة التمرُّد والخروج على إرادات المستكبرين وقوى النظام الدولي، فبقاؤها يعني اتّساع دائرة التمرُّد هذه، وضياع المصالح الاستكبارية.

في بيانه الى علماء الاسلام ومراجعه يقول الامام الخميني:ـــ

«إن كل مؤامرات ناهبي العالم ضدنا بدءاً بالحرب المفروضة وانتهاءً بالمحاصرة الاقتصادية وغيرها، أُريد منها أن لانقول بقدرة الاسلام على الاستجابة لكافة احتياجات المجتمع، وأن نلتزم بأخذ الإذن والإجازة منهم في القضايا والقرارات كافة، فيجب أن لا نغفل،

---

١ ـــ لاحظ عبارة (خطر التطرف الديني القادم من إيـران) في تصريح بيريز آنف الذكر.

يجب أن نسير باتجاهٍ نقطع فيه ـ إن شاء الله ـ كافة قنوات ارتباط بلدنا بهذا العالم المتوحش وتبعيَّتِنا له...».

هذا فيما يتعلق بسر تخصيص الاسلام في هذه المحاربة الاستكبارية الشاملة ضد الدين والقيم، أمّاسرُّ تخصيص علماء الاسلام كهدف رئيسي لهذه الحرب الشرسة؛ فيمكن معرفته بملاحظة دورهم الطليعي في حمل رسالة الإسلام وحفظها وترويج أحكامها وهذا مايشير إليه قائد الأُمة في بيانه إلى مراجع الاسلام وعلمائه، حيث يقول (رض):ـ

«إن الحوزات العلمية والعلماء المبدئيِّين كانوا على مدى تاريخ الاسلام والتشيع قاعدة الإسلام الحصينة في مواجهة الهجمات والانحرافات، ولقد سعى علماء الاسلام العظام جاهدين طوال حياتهم من اجل تبليغ أحكام الحلال والحرام الإلٰهية وترويجها دون تدخل أو تصرف، ولولا أُولئك الأعزة من فقهاء الإسلام لما عُلِم أي علوم محرَّفة كانت ستقدَّمُ لعامَّة الناس تحت غطاء أنها علوم القرآن والاسلام وأهل بيت النبوة (ع)».

فمن الطبيعي أن بقاء هكذا قلعة حصينة يمثل عقبة كبرى أمام خطط الاستكبار ومؤامراته، لذا فمثلما استهدفت حملات الدعاية الجاهلية في صدر الاسلام شخص الرسول الأعظم (ص) بالدرجة الأُولى ضمن جهودها لمحاربة الدعوة الإسلامية، فهذه هي حملات الجاهلية المعاصرة تستهدف علماء الاسلام باعتبارهم ورثة الأنبياء والساعين لهداية الجماهير إلى نهج الرَّسول الأعظم (ص)، المحافظين عليه. وهنا تبرز نقطة جديرة بالاهتمام فيما يتعلّق بمؤامرة نشر كتاب رشدي، إذ انَّ ما تقدَّم يوضح أيضا سر اختيار الاستكبار شخص الرسول محمد (ص) وكبار الصحابة، بل ولأبي الأنبياء إبراهيم الخليل (ع)، لتتمحور عليها بالذات ـ وخاصة الرسول الأعظم (ص) ـ الإساءات الواردة في الكتاب المذكور وعلاقة

هذا الاختيار بعلماء الاسلام وهم ورثة الأنبياء، والرسول الاعظم بالخصوص، وهداة الناس لنهج الأنبياء لاسيما النهج المحمدي[1].

وبمعرفة سرّ هذا الاختيار يضاف دليل آخر على ماتقدّم من البراهين الكاشفة لحقيقة أن نشر كتاب «الآيات الشيطانية» هو خطوة ضمن مؤامرة أوسع تستهدف آستئصال حالة القدسية التي ينظر بها المسلمون لشخص الرسول الأكرم (ص) ولورثته من علماء الاسلام وبالتالي آستئصال الإسلام عبر ضرب رموزه المقدسة وعلمائه المجاهدين وآستئصالهم، يقول الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) في بيانه آنف الذكر:ـ

«يقيناً لالبس فيه أنّ السرّاق الدوليين لو استطاعوا لأحرقوا جذور[2] علماء الاسلام ومعالمهم، ولكن الله كان على الدوام حافظ هذا النبراس المقدس وحارسه وسيكون كذلك مستقبلا إن شاء الله شريطة ان نشخص مكائد ناهبي العالم ومكرهم وخدعهم ونحيط بها».

وبالطبع فإنّ الذين تتوجه إليهم السهام الاستكبارية هم حملة

---

١ ــ يلاحظ هنا اختيار اسم الآيات الشيطانية ليكون عنوانا للرواية فرغم ان المقصود منه بالدرجة الاولى الاساءة الى الوحي السماوي والقرآن الكريم، الا انه يحمل في طياته هدفا اخر يتعلق بعلماء الاسلام مباشرة حيث اشتهروا عالميا بلقب (آيات الله) او (الآيات) وهو لقب يستخدم بلفظه العربي في الكثير من لغات العالم وبضمنها الانجليزية، كما سعى رشدي في العديد من مقاطع روايته الالحادية الى اختيار السلوكيات الخاصة التي امتاز بها رجال الدين حاليا وتطبيقها على صحابة الرسول (ص) ثم الاستهزاء بها والسخرية منها وربطها بمنطق رجال الاعمال وكثيراً ما استخدم هذا الوصف (رجال الاعمال التجارية) للاشارة الى تلك السلوكيات حتى في الجوانب العبادية الصرفة.

٢ ــ يلاحظ هنا استخدام الامام لوصف جذور علماء الاسلام المعبِّرة عن امتداداتهم التاريخية.

الاسلام المحمَّدي الأصيل، هم المتصدُّون للثورة ضد الظلم، والمبادرون للتضحية والشهادة، وهم يهدون الجماهير إلى نهج الإباء النبويِّ، هم الذين يصفهم قائد الثورة الاسلامية المعاصرة في البيان السابق بما نصه: ــ

«في كل انتفاضة وثورة إلٰهية وجماهيرية كان علماء الاسلام هم الطليعة التي بادرت لترسم على جبينها خطوط الدماء والشهادة، فأين نجد ثورة جماهيرية إسلامية لم تكن الحوزات الدينية هي المبادرة فيها للشهادة والتضحية؟ وأيٌّ منها لم يكن علماء الاسلام هم الذين اعتلوا مشانقها، وانتصبت أجساد شهدائهم الطاهرة في ساحات الوقائع الدامية؟..»

وهؤلاء هم العلماء الربّانيُّون حقّاً، وهم ورثة الأنبياء حقّاً، وماداموا كذلك فمن الطبيعي أن يكونوا هدفاً للسِّهام الاستكبارية، والتاريخ الاسلامي يشهد بهذه الحقيقة القديم منه والمعاصر، وفي مختلف بقاع العالم الاسلامي، والذاكرة الاسلامية المعاصرة مليئة بالصفحات المشرقة لجهاد العلماء المجاهدين على غرار عزِّالدين القسام في فلسطين، وعبدالقادر الجزائري وعمرالمختار في شمال أفريقيا، والامام الصدر في العراق، وأمثالهم كثيرون.

يقول قائد الأمة الاسلامية (رضوان الله تعالى عليه) في جانب آخر من بيانه السابق:

«لقرون متمادية كان علماء الاسلام المجاهدون هم سند المحرومين، وعلى الدوام كان المستضعفون يرتوون من منابع المعرفة النقية التي يمثِّلها الفقهاء العظام، فهؤلاء تحمَّلوا في كل عصر أشكال الأذى والمرارة، دفاعا عن مقدساتهم الدينية وكرامتهم الوطنية، وإضافةً لتحمُّل السجون والنفي والأذى والعذاب والتجريح والتعريض، قدَّموا شهداء عظاماً قرابين للحضرة القدسية، ولاينحصر إطار تقديم الشهداء من قبل علماء الاسلام المجاهدين بحدود شهداء الجهاد

والحرب في إيران، فكبير هو بلاشك عددما قدّمته الحوزات الدينية وعلماؤها من شهداء قضوا نحبهم غرباء على أيدي العملاء المرتزقة الجبناء، فقد استشهدوا من أجل نشر المعارف والأحكام الإلٰهية».

اذن فاستهداف السهام الاستكبارية لعلماء الاسلام المجاهدين هو خط استراتيجي تاريخي ثابت يضم التاريخ الكثير من مصاديقه، إلّا أنّ شدته تتأكّد وتزداد في العصر الحاضر ــ بطبيعة الحال ــ بفعل تفاعلات وآثار حركة العودة والصحوة الاسلامية وماتحمله من تهديدات خطيرة على المطامع غير المشروعة للمستكبرين، لذا تتنوّع الآن أساليب وأشكال هذا الاستهداف، وتزداد شموليةً وضراوةً، وتتعدّد مظاهرها لتتمثل تارة في محاولة التعرُّض لقدسية الرسول الأعظم (ص) الذي يمثِّلُ علماء الاسلام امتداده المعاصر في مهمة الهداية والدفاع عن المظلومين، نظير الذي أُريد من مؤامرة نشر رواية «الآيات الشيطانية» وتارة أُخرى تتمثل في التصفية الجسدية نظير الذي فعلوه بالعلامة المجاهد السيد عارف الحسيني في الباكستان، وقبله الشيخ الشهيد راغب حرب في لبنان وقبلهما الشهيد الصدر في العراق وغيرهم.

يقول الامام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) في بيانه إلى علماء الاسلام: ــ

«ومثلما كان الحال في السابق فقد توجّهت اليوم أيضا، أيدي الاستعمار القنّاصة الغادرة وفي أرجاء المعمورة، من مصر إلى الباكستان وأفغانستان ولبنان والعراق والحجاز وإيران والأراضي المغتصبة، توجّهت إلى اللُّيوث من علماء الدين المجاهدين المناهضين للشرق والغرب، والمستندين الى مبادئ الاسلام المحمدي النقي، ومن الآن فصاعداً، سيشهد العالم الاسلامي بين آونة وأُخرى، مصداقا من مصاديق تفجُّر سخط ناهي العالم على زكيٍّ من علماء الدين المجاهدين».

وهذا يعني أن شدة شراسة الحرب المعادية ضد الوجود الإسلامي وطليعته العلمائية آخذة في تصعيد العمليات الإرهابية ضد رموز هذا الوجود. وقضية سلمان رشدي ليست أكثر من بداية هذا التصعيد الشرس الذي تمتد مصاديقه لتشمل توسيع وزيادة نفوذ ماعاد يصطلح عليه بالاسلام الحكومي أو الامريكي والترويج له ولرموزه، ولتشمل أيضا توسيع قنوات التسلُّل الأجنبي في الحوزات العلمية واستخدام وعّاظ السلاطين والمتحجِّرين في محاربة ورثة الأبياء من العلماء الأتقياء. يقول الإمام (رضوان الله تعالى عليه) في بيانه آنف الذكر: ـــ

«هناك في الحوزات العلمية أفراد ينشطون في العمل ضد الثورة والاسلام المحمدي الأصيل، وها هي عدة منهم يظهرون التقدُّس، ويوجهون ضربات للجذور الدينية وللثورة والنظام الاسلاميين، ضربات تظهر وكأن لاشغل لهم غير توجيهها، وماهو بالضئيل خطر التحجر، وخطر الحمق المتظاهرين بالتقدُّس، فلا يغفل طلبة العلوم الدينية الأعزاء ولو للحظة عن هذه الأفاعي ذات الظاهر الحسن والمضل، فهؤلاء هم مروِّجو إسلام أميركا، وهم أعداء رسول الله (ص)».

هؤلاء المروجون لاسلام أميركا، هم الذين يوفرون الغطاء الشرعي لجرائم عملاء الاستكبار من الحكام وغيرهم، وهؤلاء هم الذين يحاربون بسلاح النفاق والظاهر الديني الخادع العلماء الأتقياء وبالتالي يسيئون إلى رسول الله (ص) مثلما يسيء مرتزقة أعداء الاسلام إليه؛ نظير مافعله سلمان رشدي، والفرق هو في درجة وضوح الإساءة، فإساءة رشدي واضحة صريحة ذات جنبة إلحادية سافرة، أمَّا إساءات أُولئك فخفيَّة مقنَّعة بظاهر ديني، فهم مثلاً عندما يروِّجون فكرة فصل الدين عن السياسة، ويتَّهمون عالم الدين بالخروج عن رسالته وقدسية مهمته عندما

يتدخل في الشؤون السياسية، ألايسيئون بذلك لشخص رسول الله الأكرم (ص)؟ فهو أول المبادرين للتدخُّل في شؤون السياسة في تجربة صدر الاسلام، بل هو واضع أُسس السياسة الاسلامية.[1]

إنَّ مما لاشك فيه هو أن هؤلاء المرائين بظاهر التقدُّس هم أشدُّ أذىً وإضرارا بالإسلام وذلك بحكم ظاهرهم الديني المضلِّل للعامَّة، وممّا لاشك فيه أيضا هو أن أعداء الاسلام لن يفتأوا في تقوية تيّار هؤلاء المرائين وتنويع إساءاتهم الخفية للإسلام ومقدساته وتشويهم لأحكامه ومبادئه الجهادية السامية. يقول القائد الابراهيمي في بيانه لعلماء الاسلام: ـــ

«إن الاستكبار عندما يئس من تدمير علماء الاسلام والحوزات الدينية بصورة كاملة اختار أُسلوبين لضربهم، **الأول:** تجسَّد في الإرهاب والقوة، **والثاني:** تجسَّد في الخداع والتسلّل. وفي القرن المعاصر عندما لم تحقق حربة الإرهاب والتهديد الفاعلية المطلوبة عمد الاستكبار إلى تقوية أساليب التسلل والخداع، وكانت أول وأهمُّ حركة في هذا المجال، هي عملية بذر شعار فصل الدين عن السياسة، ومع الأسف فإنَّ هذه الحربة قد فعلت فعلتها إلى حدٍّ ما لدى الحوزات الدينية وعلمائها، ووصل الأمر إلى اعتبار أنَّ التدخُّل في السياسة لايناسب شأن الفقيه، وأنَّ اقتحام معارك السياسيين

---

١ ـــ هنا تبرز مفارقة فاضحة في سلوكيات الكثير من هؤلاء فهم في كتاباتهم ومحاضراتهم يصرِّحون بشمولية الإسلام لكافة الجوانب الحياتية ويتحدَّثون أحيانا عنه واتخاذ الرسول الأكرم (ص) والعديد من العلماء الاسلاميين للمواقف السياسية تجاه القضايا المعاصرة لهم، ولكن عندما يحدث أن يتخذ أحد العلماء المجاهدين موقفا مبدئيا اسلاميا تجاه احدى القضايا الاسلامية الراهنة ويمتاز هذا الموقف بجنبة عملية تضرُّ بمصالح الغرب مثلاً، ينبري هؤلاء إلى إدانة هذا الموقف والتبري منه، رغم تأييدهم لنظائره التاريخية المتوافرة في مجريات التاريخ الاسلامي.

يستتبع التعرض لاتهامات العمالة للأجانب ويقيناً أنّ ما أصاب العلماء المجاهدين من جراح سهام المتسلّلين يزيد عن غيرهم؛ ولا تظنّوا أنَّ الأجانب وحدهم هم الذين وجّهوا تهم العمالة والافتراء باللّاّدينية للعلماء الأطهار ففاعلية ضربات غيرالواعين في الحوزات اوالواعين العملاء كانت ولاشك أشدَّ تأثيراً بأضعاف مضاعفة».

وممّا تجدر الإشارة إليه هنا، هو أنَّ شبكة التجسس الأمريكية، التي تمَّ اكتشافها مؤخراً في الجمهورية الاسلامية كان من بين أفرادها، ممَّن لبسوا لباس العلماء، والعاملين في الحوزات الدينية، ومثلما اعترف أحدهم من على شاشة التلفزيون الايراني، كانت وكالة المخابرات الأميريكة السي.آي.أي. قد أوكلت إليهم مهمة إثارة البلبلة في أوساط العلماء والحوزات الدينية، وإثارة الشكوك حول العلماء الأتقياء، لتشوبهم وتلويث سمعتهم اجتماعيا، أو إثارة الشكوك حول مفردات التجربة الاسلامية، وممارسة بعض الشخصيات العلمائية والسياسية في الحكومة الاسلامية، الأمر الذي يؤكد قول الإمام الآنف حول مدى خطورة دور مثل هؤلاء العلماء المزيّفين في محاربة الإسلام وعلمائه.

* * *

الفصل الثاني

خصائص الموقف الشرعي المضاد

حصيلة مافصلنا عنه الحديث في الفصل الاول هي أن قضية نشر رواية «الآيات الشيطانية» تعتبر خطوة أُولى ضمن مؤامرة أوسع نطاقا وذات هدف استراتيجي كبير قرر أقطاب القوى المعادية ــ من أجل تحقيقه ــ تصعيد حربهم الشاملة وبكافة أوجهها بهدف آستئصال الدين والتديُّن وقيمه السامية عامة، وفي الطليعة الاسلام وعلماؤه، ولمواجهة هذه المؤامرة الواسعة فمن البديهي الحكم بضرورة التصدّي الحازم لخطواتها الأولية، إذ بدون هذا التصدّي الحازم يُفسح المجال للقوى المعادية للاسلام والقيم الإلٰهية عامة لتنفيذ الخطوات التالية من هذه الحرب الشاملة، وهي خطوات أشدُّ خطراً على الاسلام والتديُّن عامة، وأكثر إيذاءً وخبثا، فلاسبيل لإحباطها إلّا بمواجهة حازمة تمتاز بشموليتها لكافة المجالات مثلما أن المؤامرة ذاتها تشمل كافة مجالات العدوان وأشكاله.

وموقف الامام الخميني تجاه هذه المؤامرة وخطواتها الأُولى مثل طليعة المواجهة وشرارة تفجير الغضب الإيماني العارم الذي خلق الموقف الاسلامي الجماهيري وفجّره معبِّئاً الجهد الاسلامي في هذه المواجهة ومتابعا هذه التعبئة عبر سلسلة من المواقف والتصريحات التي تلت الفتوى.

فلنشرع إذن بالحديث عن خصائص الموقف الشرعي الذي اتخذه قائد الأُمة الاسلامية على هذا الصعيد.

(الخاصية الأُولى)

الخاصية الأُولى التي تجلب الانتباه في هذا الموقف هي حالة الجدِّيَّة والحزم في إعلان الحكم الشرعي والدعوة إلى تنفيذه: هذه الخاصية واضحة في اللهجة والعبارات التي اختارها الإمام القائد في الفتوى التاريخية التي أصدرها بتاريخ السابع من رجب عام ١٤٠٩ للهجرة والتي فجّر بها الموقف الاسلامي الحازم. لنلاحظ مرة أُخرى العبارات التالية من نص هذه الفتوى:ـ

«أُعلن للمسلمين الغيارى، في أرجاء المعمورة، أن مؤلف كتاب «الآيات الشيطانية» وناشريه العارفين بمحتواه محكوم عليهم بالإعدام».

ونلاحظ في موقع آخر من الفتوى قوله (رض):ـ

«أطلب من المسلمين الغيارى أن يسارعوا إلى إعدام أُولئك حيثما ثقفوهم».

وفي ختام الفتوى يقول (رضوان الله تعالىٰ عليه) موضحا عمق وشمولية المسؤولية الشرعية في تنفيذ هذا الحكم الشرعي.

«إذا كانت لأحد القدرة على الوصول إلى مؤلف الكتاب، ولكن لاطاقة له على إعدامه فليعرِّفه للآخرين لكي يلقىٰ عقاب ماجنته يداه».

حالة الإصرار والصرامة والحزم على تنفيذ الحكم الشرعي تعبِّرُ بجلاء عن عمق حرص الامام على الدفاع عن الاسلام ومقدساته، وغيرته الإلٰهية المقدسة عليها[1]، هذه الغيرة التي تتجلّى في أروع صورها في ردِّ

---

١ ــ تميز الامام الخميني طوال حياته المباركة بالمواقف المبدئية الحازمة المعبِّرة عن عمق غيرته على الاسلام ومقدساته، نشير إلى واحد منها مثَّل أحد منطلقات صراعه الدؤوب

الفعل الأول الذي أبداه سماحته عند اطّلاعه على تفاصيل الإساءات التي تتضمنها رواية «الآيات الشيطانية» حيث قال: —

«لو انني الآن شاب ولدي القدرة البدنية اللازمة، لبادرت بنفسي إلى تنفيذ هذا الحكم الإلهي، ولو رأيت هذا الشخص (سلمان رشدي) هنا لبادرت لقتله على ما أنا عليه من حال».

وبقدر ما تعبّر عنه حالة الإصرار والحزم من روح غيورة على الإسلام ومقدساته، فإنّها تعبّر في نفس الوقت عن عمق إحاطة قائد الأُمة الإسلامية بأبعاد المؤامرة المعادية للإسلام التي تعتبر قضية رشدي إحدى خطواتها الأولية لاأكثر، تستهدف فيما تستهدف اختبار مدى قوة الموقف الاسلامي المضاد، ومدى حرصه على الدفاع عن المقدسات الاسلامية[1]، وإدراك اتّساع أبعاد هذه المؤامرة يستتبع بطبيعة الحال إدراك ضرورة المواجهة الحازمة لقطع دابر الفتنة، وردع المدبّرين لها عن تنفيذ الخطوات اللاّحقة لها، يقول الإمام القائد (رضوان الله تعالى عليه) في جانب آخر من الفتوى التاريخية نفسها: —

«أطلب من المسلمين الغيارى أن يسارعوا إلى إعدام أُولئك حيثما

ضد النظام الملكي في إيران والنفوذ الامريكي، حيث ينقل آية الله محمدي گيلاني أحد تلامذة الامام أنه عندما وافق نظام الشاه على قانون منح الحصانة القضائية للاميركان المقيمين في إيران، وهو القانون الذي يمثل امتهانا سافراً لكرامة المسلمين حيث يطلق أيدي الكافرين عليهم ويجعل لهؤلاء القدرة على ارتكاب مايشاءُون من جرائم ضد أكبر شخصيات المسلمين في إيران دون أن يسمح للمسلمين بمحاكمتهم، بعد صدور هذا القرار قال الامام الخميني في اجتماع خاص مع تلامذته ان (لو قدمنا مئة ألف شهيد منّا من أجل إزالة عارقانون الحصانة هذا و إلغائه فالأمر يستحق لما يمثله من إساءة لكرامة الإسلام والمسلمين).

١ — وذلك تمهيدا للخطوات اللاحقة إذا ماكانت هذه الإساءة قد ووجهت بموقف ضعيف من قبل المسلمين وخاصة قاعدتهم الجهادية الدولة الاسلامية والطلائع المجاهدة في أرجاء المعمورة.

ثقفوهم لكي لايتجرَّأ أحد على التعرُّض بالإهانة لمقدّسات المسلمين».

وتبرز ذروة حالة الإصرار والحزم هذه في البيان الذي أصدره مكتب الإمام الخميني بعدما روَّجت وسائل الدعاية أحاديث عن العفو عن سلمان رشدي إذا ما أعلن توبته، وجاء في هذا البيان الصادر في ١٢ رجب ١٤٠٩ أي بعد خمسة أيام من إعلان الفتوى ما نصه:ـــ

«لقد نسبت وسائل الدعاية الأجنبية الاستعمارية كَذِباً للمسؤولين في نظام الجمهورية الاسلامية القول بأن لوتاب مؤلف كتاب الآيات الشيطانية لأُلغي حكم الإعدام الصادر بحقه، فعلّق الإمام الخميني على ذلك قائلا: (إنَّ هذا الادِّعاء كَذِبٌ محضٌ، ولو أنَّ سلمان رشدي تاب وأصبح زاهد زمانه، فإنَّ الواجب الشرعي قائم على كل مسلم بأن يبذل كل وسعه واستطاعته بالنفس والمال من أجل قتله وإرساله إلى الجحيم[1]، ولو أن أحداً من غير المسلمين اطَّلع على مكانه (سلمان رشدي) وكان قادراً على إعدامه أسرع من المسلمين، فيجب عندها على المسلمين أن يعطوه مايريد قبال عمله بعنوان جائزة أو أجر على العمل الذي أنجزه)».

وعلى ضوء ماتقدَّم تتَّضح الضرورة الشرعية في التعامل بحزم وصرامة وحدية مع أيِّ إساءة توجه للمقدسات الاسلامية وخاصة في هذا الظرف بالذات وفي ظل الواقع الصراعي المعاصر حيث تمتاز جهود القوى المعادية في محاربة الاسلام والقيم الالهية بدرجة خطيرة من التصعيد والحدِّيَّة والإصرار على استئصال الاسلام والوجود المبدئي الذي يمثله،

١ ـــ جاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة وهو من أهم وأبرز الكتب الفقهية المعتمدة عند الإخوة أهل السنة مانصه في ج ٥ ص ٤٢٨ «ويجب قتل الزنديق بعد الاطلاع عليه بلاطلب توبة منه.. ومثله الذي سبَّ نبياً أجمعت الأمة على نبوّته فإنَّه يقتل بدون استتابة ولا تقبل توبته، ثم إن تاب قتل حدّاً».

فتتأكد ــ والحال هذه ــ المسؤولية الشرعية في مواجهة كافة التحركات المعادية وحيثما وقعت من بقاع العالم، والتدقيق في أيِّ تحرُّك مشبوه للتعرُّف على أهدافه، ونزع الأقنعة المضلِّلة التي يطرحها غالباً بألف شكل وشكل للتعتيم على أهدافه الحقيقية.

(الخاصية الثانية)

أمّا الخاصية الثانية التي ميّزت الموقف الخميني تجاه هذه المؤامرة فهي ميزة المتابعة، فلم يكتف الإمام القائد (رض) بإعلان الموقف الشرعي تجاه المؤامرة التي تعبِّر عنها إساءة «الآيات الشيطانية» فالطرف الآخر في هذا الصراع، طرف مستميت يرى في الاسلام والقيم الإلٰهية التهديد الأخطر على مطامعه غير المشروعة، فهو يتابع ــ وبحركة دؤوبة مستمرة ــ تآمره وجهوده المكثَّفة لاستئصال هذا التهديد الأخطر، وتطويقه، والحيلولة دون تناميه. من هنا تبرز في المقابل الضرورات السياسية والشرعية لمتابعة التصدّي والمواجهة، فبدون هذه المتابعة نساهم في توفير الظروف المواتية للقوى المعادية لكي تطوّق آثار الموقف المبدئي الاسلامي وتزيلها، إذا لم تقم بعكس اتجاه هذا الموقف بأن تسعى لتوظيف آثاره لصالحها، وتشويه نفس الموقف ليتحوّل أحيانا إلى أداة بيدها تضرب بها الاسلام عبر واجهات تضليلية قد تكون أحيانا ذات ظاهر إسلامي بل وعلمائي أيضا، فيما تتابع هي خطواتها التدميرية اللّاحقة باتِّجاه تحقيق هدفها الاستراتيجي الكبير.

ونلاحظ هنا أن الإمام الخميني قد تصدّى بنفسه لمهمة المتابعة حتى تترسَّخ ضرورتها في المسلمين والإسلاميين، منبِّها لهم إلى لزومها، وهذا المتابعة نجدها واضحة في أنَّ جميع البيانات التي أصدرها الامام القائد بعد فتواه التاريخية وإلى حين كتابة هذه السطور، لم تخلُ أبداً من

تأكيد الموقف الشرعي الذي أعلنه في الفتوى، أو تبيان الأبعاد الحقيقية لمجريات القضية، وشمولية واتساع المؤامرة المضادة التي تعبِّر عنها.

فبعد خمسة أيَّام من صدور الفتوى، أصدر مكتب الإمام البيان الذي علَّق فيه (رض) على الأكاذيب التي روَّجتها وسائل الدعاية المضادة بشأن إلغاء الحكم الشرعي الذي أعلنه الإمام بإعدام رشدي حيث كذَّب تلك الادِّعاءات، وأكَّد وجوب قتله على كل مسلم حتى إذا تاب وأصبح زاهد زمانه.

وبعد ثلاثة أيام من ذلك أصدر بيانه التاريخي لعلماء الاسلام في ١٥/رجب/١٤٠٩ هـ، وخصَّص مقاطع واسعة منه لتأكيد هذا الموقف الشرعي وتبيان أبعاد المؤامرة.

وبعد ذلك وفي ٥/شعبان/١٤٠٩ هـ أصدر مكتب سماحته بياناً شكر فيه المسلمين على المشاعر التي أبدوها ضمن رسائل التأييد للموقف الخميني التي تدفَّقت على مكتب سماحته وعبَّرت عن أصالة روح الغيرة على الاسلام ومقدَّساته، وتضمَّن البيان تأكيدات سماحته على ضرورة متابعة المواجهة وحفظ الاستعداد الجهادي لمواجهة مؤامرات أعداء الإسلام التي تُطرح كلَّ يوم بشكل جديد وأُسلوب جديد.

وبعد ذلك بأُسبوع أصدر (رض) بيانه التاريخي بمناسبة ذكرى النصف من شعبان، وفيه تطرَّق للحديث عن جانب من معطيات الموقف الاسلامي الحازم تجاه المؤامرة، وأكَّد الموقف الشرعي تجاهها، كما تحدَّث عن جانب من متطلَّبات المرحلة الراهنة.

ومن خلال التعمُّق والتدقيق في مجريات متابعة الإمام القائد الدؤوبة لهذه القضية؛ يمكننا التعرُّف على قضية هي على درجة كبيرة من الأهميَّة تحمل في طيّاتها إحدى الضروريات المهمة الموجبة لهذه المتابعة، والقضية هي أن الإمام (رضوان الله تعالى عليه) ــ ومن خلال متابعته للموقف

الشرعي تجاه المؤامرة ــ عمد إلى إحباط الخطوات والتحركات التي قامت بها القوى المعادية لتطويق الموقف الاسلامي الحازم والالتفاف عليه، فمثلا بعد أربعة أيّام من إعلان الفتوى التاريخية، بادرت القوى المعادية إلى الترويج لادعاءات إلغاء الفتوى إذا ماتاب رشدي، وفعلاً سارع الأخير إلى الإدلاء ببيان تضليلي أعرب فيه عن أسفه لما سبَّبته روايته (وإن لم يتضمن البيان توبة صريحة)، وهنا سارع الإمام القائد إلى إحباط محاولة الالتفاف هذه، الهادفة ــ كما هو واضح ــ إلى إيقاف حدة ردود الفعل الاسلامية الغاضبة تجاه الإساءة أو التخفيف منها. فأصدر تعليقه الحاسم على تلك الأكاذيب، مؤكّدا وجوب قتل رشدي على كل مسلم، بل ووجوب الجهاد بالأموال والأنفس في هذا السبيل. وقد نقلنا نص هذا التعليق الحاسم فيما سبق.

نموذج آخر على هذه القضية يمكن أن نلاحظه في الحركة التالية التي سعت عبرها القوى المعادية لتطويق الموقف الاسلامي الغاضب الذي كان يأخذ بالاتساع بصورة سريعة والالتفاف عليه، وقد تمثلت هذه الحركة في دفع وتحريك عدد من فقهاء البلاطات والعلماء الرسميين[1] إلى اطلاق تصريحات مكثّفة تتركز حول الإقرار بكون كتاب سلمان رشدي

---

١ ــ نظير مانسبته الوكالات الغربية لرئيس لجنة الفتوى في الأزهر حيث علّق على الفتوى التاريخية قائلا: (إن قرار الخميني مخالف للقواعد والأُصول الاسلامية، ويجب استدعاء الكاتب ومحاكمته) وقد نقلنا سابقا ماورد من نص صريح يجمع عليه علماء المسلمين كافة والمذاهب الاربعة، في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة حيث نص على وجوب قتل السابّ للرسول (ص) دون استتابته بل ولا تقبل توبته ويقتل، ونظير هذا الموقف وأشدُّ منه ماورد في كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول) الذي ألّفه ابن تيمية وجمع فيه آراء فقهاء الاسلام واتفاقهم على هذا الحكم الذي دعمه بالكثير من النصوص الشرعية، وعلى ضوئها يتضح أن لجوء رئيس لجنة الفتوى في الازهر الى الادّعاء بأنّ فتوى الإمام الخميني تخالف القواعد والأُصول الاسلامية، يكشف أنه دفع الى هذا الموقف لأغراض سياسية ولم ينطلق بتاتا

يسيء إلى المقدسات الاسلامية ويجب منعه، ولكن ذلك لايستدعي الحكم عليه بالإعدام، فيجب متابعة الأمر بصورة سلمية، ودعوته للتوبة، ونظائر ذلك. وهنا بادر قائد الأُمة الإسلامية في بيانيه التاريخيَّين في ١٥/رجب و ١٤/شعبان/١٤٠٩هـ إلى الإشارة والتأكيد على إجماع فقهاء المسلمين كافة في الفتوى بارتداد من يتعرض للرسول (ص) بالإساءة، ولا تقبل توبته إن تاب، بل ولايستتاب. وواجه الامام بهذه التأكيدات محاولة تطويق الموقف الاسلامي الغاضب الموحد وإثارة البلبلة الداخلية فيه.

وعلى ضوء هذين النموذجين تتضح الضرورة الشرعية المؤكدة على لزوم متابعة مواقف المواجهة حتى تنجز أهدافها كاملة، وهي أنَّ هذه المتابعة ضرورية لإحباط حركات القوى المعادية لتطويق وإجهاض المواقف الإسلامية المواجهة لمؤامراتها.

وبالطبع فإنَّ متابعة مواقف المواجهة الحاسمة تتمثل في متابعة نفس المصداق المشخص أو المصاديق المماثلة التي قد تلجأ إليها القوى المعادية.

(الخاصية الثالثة)

الخاصية الثالثة للموقف الشرعي الذي اتخذه قائد الأُمة الإسلامية تجاه المؤامرة تمتاز بأهمية واقعية ـ على الصعيد السياسي خاصة ـ تفوق الخاصيَّتين السابقتين، وتتعلق هذه بتدعيمه إعلانه الموقف الشرعي بتركيزه على جوانب عملية ذات اثر تنفيذي، ولعل هنا بالذات

من الأُصول الشرعية وليس ببعيد أن تكون نسبة هذا القول لرئيس لجنة الفتوى كاذبة أساسا، فكثيراً ماتعمد الوكالات الغربية إلى اختلاق الأكاذيب في حالات كهذه مستفيدة من ظروف الضجة المثارة.

يكمن سرُّ القلق الاستكباري من هذا الموقف الشرعي الحازم وإعلانه. ويمكننا ملاحظة تأكيدات الامام على الجوانب العملية في الموقف الشرعي هذا في كافة النصوص الصادرة عنه ــ رضوان الله تعالى عليه ــ تجاه هذه القضية، ففي نفس الفتوى التاريخية يمكن ملاحظة اهتمام سماحته بالجوانب التنفيذية في المقاطع التالية:ــ

«أطلب من المسلمين الغيارى أن يسارعوا إلى إعدام أولئك حيثما ثقفوهم.... وكلُّ من يقتل في هذا السبيل فهو شهيد واذا كان لأحد القدرة على الوصول لمؤلف الكتاب ولكن لاطاقة له على إعدامه فليعرِّفه للآخرين لكي يلقى عقاب ماجنته يداه».

كما يمكن ملاحظة هذا الاهتمام واضحا في التعليق الصادر عن سماحته بتاريخ ١٢/رجب/١٤٠٩هـ، خاصة في العبارات التالية:ــ

«الواجب قائم على كل مسلم بأن يبذل وسعه واستطاعته بالمال والنفس من أجل قتله.

لو أن احداً من غير المسلمين اطلع على مكانه وكان قادرا على إعدامه أسرع من المسلمين، فيجب عندها على المسلمين أن يُعطوه مايريد قبال عمله بعنوان جائزة أو أجر على العمل الذي أنجزه».

ويضاف إلى ماتقدَّم نفس النص الحاسم الذي أوردناه سابقا والذي أكَّد (رض) فيه أنه لوكان قادراً لبادر بنفسه لتنفيذ هذا الحكم الإلهي.

هذا فيما يتعلق بالجوانب العملية والتأكيدات على الأُمور التنفيذية تجاه نفس الواجهة المباشرة لتنفيذ الإساءة (سلمان رشدي وناشري الكتاب العارفين بمحتواه)[1] أمّا فيما يتعلق بالخطوات العملية تجاه البعد

---

١ ــ وقد لاحظنا فاعلية هذا الموقف على قرارات دورالنشر الغربية وتراجع الكثير منها عن قراراتها السابقة بنشر ترجمات الكتاب المذكور وسنشير الى ذلك بصورة أكثر تفصيلا في ◄

الواسع للمؤامرة، فيمكن ملاحظة بعض النماذج للخطوات العملية التي اتخذها الامام (رضوان الله تعالى عليه) ونقتصر على التي أشار إليها صراحة في بياناته. فنها ــ مثلا ــ ماورد في بيانه، المعنون إلى علماء الإسلام ومراجعه، حيث قال:ـــ

«لعل الاستكبار الغربي قد توهم اننا سنتخاذل بمجرد التلويح باسم السوق المشتركة والمحاصرة الاقتصادية فنغض النظر عن تنفيذ حكم ربنا العظيم».

ثم يقول بعد ذلك :ـــ

«لو غفلنا عن هذه الإساءة فإنّها ستكون الخطوة الاولى، فهناك في أكمام الاستعمار الكثير من هذه الأفاعي الخطرة وذوي الاقلام المأجورة، وفي ظل هذه الظروف فلاحاجة لنا بمتابعة اقامة العلاقات وتوسيعها مع الآخرين، فلعل الاعداء يتوهمون اننا اصبحنا في حاجة اليهم إلى درجة أن نلتزم الصمت تجاه إهانة عقائدنا ومقدساتنا الدينية».

وعلى ضوء هذا التوجيه جاء قرار مجلس الشورى الاسلامي الايراني بقطع العلاقات مع بريطانيا مالم تعتذر خلال أُسبوع عن تورُّطها المباشر في قضية الإساءة لمقدسات المسلمين عبر تبنِّيها لنشر كتاب رشدي وحمايتها له، تعتذر للمسلمين كافة عن ذلك وتعلن البراءة ممّاورد في الكتاب، وكانت هذه هي الخطوة العملية في فضح عمق العداء البريطاني للاسلام، وتمتُّع المسلمين بوعي إسلامي ينظر الى كل تحرك بريطاني تجاه المنطقة الاسلامية بأنّه معاد للاسلام.

ومن الخطوات العملية الأُخرى لقائد الأُمّة الإسلامية لمواجهة

الفصول القادمة.

الأبعاد الأوسع لهذه المؤامرة هي تلك التي تتجسَّد في موقفه الحاسم وتصدّيه لقطع أبواب النفوذ الأجنبي إلى داخل التجربة الإسلامية في إيران باعتبارها قاعدة الإسلام المحمَّدي، وقد تمثل أحد مصاديق موقفه الحاسم هذا في موافقته السريعة على أستقالة آية الله المنتظري من منصب خلافة القيادة العامة لنظام الجمهورية الاسلامية وقد جاءت استقالة آية الله المنتظري في رسالة بعث بها إلى الإمام بتاريخ التاسع عشر من شعبان ١٤٠٩، سبقتها رسالة من الإمام إلى آية الله المنتظري بتاريخ الثامن عشر من شعبان المعظم نفسه، فيما جاءت الموافقة على الاستقالة في رسالة بعث بها الإمام القائد لسماحة آية الله المنتظري في العشرين من شعبان[1] وعلى مايبدو فإنَّ سرَّ الموافقة السريعة هذه يرجع الى احساس الامام القائد بضرورة قطع الطريق على اعداء الاسلام الذين حاولوا النفوذ لمواقع

---

١ ــ نص رسالة الامام القائد التي تضمنت الموافقة على الاستقالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ المنتظري دامت إفاضاته.

بعد السلام والدعاء لكم بالموفقية، إنَّ قيادة نظام الجمهورية الاسلامية ــ كما ذكرتم في رسالتكم ــ عمل صعب ومسؤولية جسيمة وخطيرة تحتاج الى قدرة تحمل لاطاقة لكم بها، ولهذا الامر بالذات كنا معا انتم وانا معارضين لانتخابكم لها ولدينا قناعة مشتركة تجاه الامر، ولكن الخبراء كانوا قد توصّلوا الى الاقتناع بهذا الانتخاب فلم ارد انا التدخل حينها في دائرة صلاحيتهم الدستورية بهذا الشأن وحيث قد اعلنتم عدم استعدادكم لتحمُّل مسؤولية مقام خلافة القيادة، فإني ــ وبعد الموافقة على هذا الإعلان ــ اشكركم خالص الشكر وجزيله.

ويعلم الجميع أنكم تمثلون ثمرة عمري و إني أُكِنُّ لكم ودّاً وحبّاً عميقين، و إني أنصحكم وأُوصيكم بالحيلولة دون تكرار الأخطاء السابقة، بأن تطهِّروا بيتكم من الطالحين، وتمنعوا ــ بحزم وصرامة ــ تردد المعارضين للنظام الاسلامي، الذين ــ وعبر المراءاة بحب الاسلام والجمهورية الاسلامية ــ يسعون إلى التسلل إلى المواقع الحسّاسة، وقد سبق أن ذكَّرتكم بهذه النصيحة ضمن مجريات قضية مهدي الهاشمي، و إنّني أرى أن خيركم وخير الثورة يكمنان في أن تكونوا فقيهاً عالماً ينتفع النظام الاسلامي والجماهير بآرائكم.

التأثير فـِي القرار السيـاسي للـجمهوريـة الاسلامية عبر التغلـغل في مكتب آية‌الله المنـتظري والتسـتـربه، وقد تجلّى في هذا المـوقـف مرة اخرى عـمق حرص الامام القائـد على مصلحة الاسلام الـعليا بحيث يوافق على أستقالة الشيخ المنتظري الذي يـكنّ له ودا شديدا ويصفه بـأنّـه ثمرة عمره، يوافق على ذلك عندما تقتضي مصلحة الاسلام، والنظام الاسلامي.

وعلى ضـوء مـاتـقـدم تـتضح ضـرورة أن يـلـحـق إعـلان المـواقف الاسـلامـيـة تجاه تحركات الـقـوى المـعـادية بخطوات عـمـلـية تكسب هذه المواقف المبدئية الفاعلية التأثيرية اللازمة لتحقّق ثمارها المطلوبة، وتأسيسا على ذلك تـتضح ضـرورة تحديـد المـناهـج العمليـة اللازمـة لإعطاء تـلك

لا تتأثـروا ولاتحزنوا لما تطلقه وتـروجه الاذاعات الأجنـبية مـن اكاذيب، فجـماهيـرنا تعرفكم جيدا مثلما عرفت جيدا أحابيل وخدع الاعداء الذين يكشفون عن حقدهم على الاسلام بالصاقهم اي افتراء كان بالمسؤولين في إيران.

وعلى الأعزاء، طلـبة الـعلوم الـدينـية، وأئمة الجمعـة والجماعات المحتـرمين، وكذلك على الصحف والاذاعة المسموعة والمرئية أن يوضحوا للجماهير هذه القضـية البسيطة وهي أنّ مصلحة النظام الاسلامي العليا تعتبر في النظام الاسلامي من القضايا المقدَّمة على أيّ اعتبار آخر وعلينا جميعا الالتزام والعمل وفق مايقتضيه هذا الامر.

آمل من سماحتكـم أن تفعموا بالحيوية الحوزة العلمية والنظام الاسلامي عبر دروسكم وتحقيقاتكم.

والسلام عليكم

روح‌الله الموسوي الخميني

الثامن من اول شهور

السنة الهجرية الشمسية

١٣٦٨

٨/فروردين/١٣٦٨ هـ.ش

٢٠/شعبان/١٤٠٩ هـ.ق

٢٨/مارس/١٩٨٩ م

المواقف الفاعلية المطلوبة ومسؤولية تحديد هذه المناهج لعملية عامة تراعى فيها ملابسات ومجريات كل تحرك ، والظروف المحيطة به وبعبارة أُخرى أن تقام تلك المناهج على أُسس عملية دقيقة ومعمَّقة وسريعة تواكب تسارع تطورات المواجهة.

(الخاصية الرابعة)

وأخيراً هناك خاصية رابعة مهمَّةٌ لموقف الإمام ــ رضوان الله تعالى عليه ــ من قضية «الآيات الشيطانية» أعتقد أنَّها قد اتضحت من خلال استعراضنا لتحليله للأبعاد الأوسع من ظاهر القضية بحدّ ذاتها ومن خلال النموذجين السابقين اللّذين اخترناهما من الخطوات العملية التي واجه بها القضيه. فواضح من ملاحظة ذاك التحليل وهذه الخطوات أنه تعامل عمليّاً مع القضية ذاتها ولكن بملاحظة أبعادها الأوسع؛ فاتخذ الخطوات ودعا لاتخاذ الخطوات المواجهة لنفس القضية وكذلك للأبعاد الأوسع التي تكشف عنها، وهذه ميزة تميَّزَ بها الإمام ومثَّلت أحد معالم نهجه الجهادي في مقارعة القوى المعادية، ومراعاتها تحتل أهمية قصوى ذات آثار على درجة كبيرة من الخطورة والتأثير في مجريات الصراع التاريخي بين الإسلاميين وأعداء القيم الإلٰهية.

* * *

الفصل الثالث

الموقف المضاد

في الفصلين الماضيين تناولنا توضيح نظرة الامام الخميني تجاه الأبعاد الواسعة للمؤامرة المعادية الهادفة إلى ٱستئصال الدين والتديُّن عامة، والاسلام وعلمائه خاصة، التي تعبِّر عنها قضية كتاب سلمان رشدي كخطوة أُولى، وعلى ضوء ماتعنيه هذه الأبعاد الواسعة؛ جاء موقف سماحته تجاه هذه الحركة، وتحدَّثنا عن جانب من مبرِّراته وخصائصه، وفي هذا الفصل نخصص الحديث عن موقف القوى المعادية تجاه الموقف والفتوى الخمينية.

«المفاجأة»

من أُولى الملاحظات التي يمكن طرحها في تبيان طبيعة الموقف الغربي تجاه الضربة الخمينية هي ان هذا الموقف ٱنطلق على أساس حالة المفاجأة التي تلقَّىٰ بها الغرب الموقف الخميني، فممّا لاشكَّ فيه أن الأطراف الغربية عامة ــ بما فيها الاطراف المشتركة مباشرة في التخطيط والتنفيذ لحركة الإساءة إلى المقدّسات الإسلامية والقيم الإلٰهية ــ لم تكن تتوقع لا الموقف الشرعي الحازم الذي اتخذه الامام الخميني عبر فتواه التاريخية ومتابعته لها؛ ولا الاستجابة الاسلامية الواسعة وامتدادات حالة الغضب الإيماني العارم التي فجّرها الخميني القائد وعمت مجتمعات المسلمين في ارجاء المعمورة، فلم يكن الغرب يتوقع هذا الموقف الخميني

لامن جهة طبيعته وحدِّيَّته، ولا من جهة توقيته ومتابعته، ومجريات القضية تثبت أنه قد فوجئ به تماما، وهذا ماصرَّح به العديد من الساسة الغربيين، وعبرت عنه العديد من وسائل الدعاية الغربية. وكمثال على ذلك نشير إلى ماصرَّح به وزيرُ الخارجية البريطاني جيفري هاو وبلغة واضحة، من أنَّ (الخميني قد فاجأنا تماما بتهديداته)[1]، ويرجع سرُّ هذا الحالة (مفاجأة الموقف الخميني بالنسبة للغرب)، إلى أسباب عديدة منها مايتعلَّق بطبيعة شخصية الإمام الخميني القيادية والجهادية، وعجز الغرب وعموم أقطاب النظام الدولي عن إدراكها، وبالتالي عجزها عن تحديد معادلات ولو احتمالية تستطيع بها أن تتوقع الخطوات والقرارات التي يتخذها (رض) ولو على نحو الاحتمالات الاجمالية والاقتراب من نوعية تلك القرارات.

ولو أخذنا بالرأي القائل بأن إقدام الغرب على معركة الإساءة الصريحة للمقدسات الاسلامية، إنَّما هو عملية اختبار تجريبي لمعرفة طبيعة ردود الفعل المحتملة من قبل الوجود الاسلامي، تمهيداً لوضع خطط جديدة لاستئصال هذا الوجود على ضوء معطيات ونتائج عملية الاختبار تلك، نقول ولو أخذنا بهذا الرأي، فإنَّ حالة «المفاجأة» التي صبغت الموقف الغربي؛ تكشف عن أن الموقف الخميني تجاه حركة الإساءة لم يكن قد توقَّعه الغرب ضمن ردود الفعل الإسلامية المحتملة التي وضعها كتوقعات في عملية الاختبار تلك، أو على الاقل ان الاستجابة الاسلامية الواسعة للموقف الخميني لم تكن متوقعة أصلاً؛ الأمر الذي يكشف عن ثغرات أهم في حسابات القوى المعادية. ومهما يكن الحال فإن حالة

---

١ ــ ونظير ذلك ماصرَّح به قبل «هاو» وزيرالخارجية الفرنسي رولان دوما حيث قال: «إن فرنسا صدمت لتهديدات آية الله الخميني، وهي لا تفهم كيف يستخدم احترام الشعور الديني وعدم المس بالحريات الأساسية» الوكالات ١٩٨٩/٢/١٦.

المفاجأة هذه وبحدّ ذاتها تكشف عن حقيقة أنّ معادلات الصراع التي تتحرك على ضوئها القوى المعادية ضد الوجود الاسلامي، فيها الكثير من الثغرات التي يمكن للإسلاميين توظيفها لصالح الحث الاسلامي في عملية الصراع، وهناك إشارة أُخرى لهذه الحقيقة سنوردها عندما نتحدث عن معطيات مجريات حركة الإساءة والموقف الخميني تجاهها في الفصل الرابع:

«حالة الإرباك»

إذن، فعلى قاعدة حالة المفاجأة هذه قام الموقف الغربي المضاد للموقف الاسلامي الحازم، ولذا فمن الطبيعي أن يمتاز بحالة من الإرباك والتحركات الانفعالية والارتجالية. وهكذا تحركات؛ غالبا ماترجع على أصحابها بآثار معاكسة تماما لأهدافهم منها.

يتحدّث قائد الأُمة الاسلامية (رضوان الله تعالى عليه) عن العلاقة بين حالة المفاجأة وحالة الإرباك عبر أحد مظاهرها في موقف الغرب الاستكباري هذا فيقول:

«لقد اتضح اليوم ــ أكثر من أيّ وقت مضى ــ عمق حقد الاستكبار على الاسلام المحمدي وعدائه له، وهذه الحقيقة الواقعية توضحها الحالة التعبوية العامة للمستكبرين في الدفاع عن كاتب مرتزق عميل، ولأنّ كل همّ هؤلاء، هو تحقيق هدفهم المشؤوم ــ استئصال الاسلام والقيم الإلٰهية ــ فيبدو وكأنّهم لم يكونوا يتوقّعون أن يُفتَضَحُوا ويراق ماء وجوههم إلى هذه الدرجة حيث بدوا اليوم مهطعين رؤوسهم نادمين على مافعلوا وبذلة أخذوا يتراجعون»[1].

---

١ ــ من بيانه (رض) في (١٤/شعبان/١٤٠٩)، بمناسبة النصف من شعبان ذكرى ولادة الحجة المنتظر أرواحنا فداه.

فبسبب عدم توقع أقطاب الوجود الاستكباري عامة[1] لهذا الموقف الاسلامي الحازم، وبدافع من حقدهم التاريخي على الاسلام المحمدي الأصيل واندفاعهم لاستئصاله، عمدوا إلى جملة من التحركات الانفعالية المرتجلة، وجعلوا أنفسهم في مواجهة مباشرة مع المسلمين ومشاعرهم، وبذلك فضحوا عمق عدائهم التاريخي للاسلام والمسلمين. هذا من جهة ومن جهة اخرى كشفوا ضعفهم الواقعي المغطّى بالهيبة الاستكبارية التي سعوا عبر جهود دعائية مكثفة آمتدت لعقود متمادية لتركيزها في أذهان وأنفس عموم شعوب دول العالم الثالث، وهذا ما أثبته تراجعهم عن مواقفهم المرتجلة وبتلك السرعة وكل ذلك بسبب الموقف الاسلامي الحازم، وهذا التراجع الذليل السريع أوضح ــ من جانب آخر ــ عمق حالة الإرباك التي سبّبتها للغرب مفاجأة الموقف الاسلامي الحازم، أحد

---

١ ــ الأمر أيضا ينطبق على الموقف الروسي تجاه الفتوى الخمينية وقضية نشر كتاب «الآيات الشيطانية»، ففي بداية الأمر أعلن وزير الخارجية (إدوارد شيفاردنادزه) عن اسفه واسغرابه للفتوى، وأعلن رسميا عن قرار نشر كتاب «الآيات الشيطانية» في الاتحاد السوفيتي انطلاقا من أساس (تقدير الحرية الدينية وحرية التعبير عن الرأي وفقا لتلاؤمها مع مصالح الدولة) إلّا أنّ هذا الموقف سرعان ماتحوّل إلى الصمت، وأصبح أشبه مايكون بالحياد الظاهري في المواجهة بين العالم الاسلامي والغرب بسبب نشرالكتاب، وكان هذا (الموقف الحيادي) لايخلو من إشارات انتقادية للموقف الغربي، وبعد زيارة شيفاردنادزه لطهران حاول الغرب طرق الباب الروسية للتوسط لدى طهران لإنهاء التوتر والحيلولة دون القطيعة الدبلوماسية مع الغرب، فأرسل لهذا الغرض وزير الخارجية الاسباني إلى موسكو، إلّا أنّ موسكو رفضت التدخل في القضية تجنبا لإثارة الغضب الإيراني مع اتضاح جدّيّة موقف الإمام الخميني في هذه القضية المبدئية، أمّا على صعيد نشرالكتاب في الاتحاد السوفيتي فقد تراجعت موسكو عن قرارها السابق فيما بعد ومنعت نشرالكتاب، وصرح ميخائيل نيناشيف رئيس لجنة النشر وتجارة الكتب في الاتحاد السوفيتي خلال وجوده في نيودلهي بأن بلاده لا تنوي نشر (الآيات الشيطانية) موضحا (ان من مبادئ بلاده عدم نشر أيّ كتاب يهين الشعور الوطني او الديني لأيّة أمّة في العالم).

أبرز مظاهر حالة الإرباك هذه يمكن ان نشاهده في مجريات قضية العلاقات مع طهران الجمهورية الاسلامية التي أشار إليها الإمام الخميني في النص السابق. ففور إعلان الامام الخميني للحكم الشرعي بحق مؤلف وناشري كتاب الاساءة، سارعت الأوساط الحكومية والسياسية والإعلامية الغربية الى حركة مضطربة يطبعها السخط الانفعالي[1] فتردّدت على نطاق واسع أحاديث التهديد بقطع العلاقات مع إيران، وفرض محاصرة اقتصادية عليها، وهجمات عنيفة ضد الجمهورية الاسلامية خاصة، ولكنها لم تنحصر في حدود مهاجمتها بالذات، بل تناولت الاسلام وأحكامه بصورة مباشرة وصريحة؛ الأمر الذي صَعَّدَ من حالة الغضب الإيماني لدى المسلمين ــ لاسيما جالياتهم التي تقيم في البلدان الغربية ــ حيث كانت أسرع وأوسع اطّلاعا على تلك الهجمات المعادية للإسلام، وهذه الهجمات الارتجالية والسافرة تمثّل ــ بحدّ ذاتها ــ دليلاً آخر من أدلّة حالة الإرباك التي أصابت الغرب، بحيث يعمد بنفسه ــ من حيث لايدري ــ إلى تأجيج الغضب الإسلامي ضده أكثر وأكثر، وتمخّضت هذه الضجة الواسعة عن اجتماع لدول السوق الأُوربية المشتركة، وقرار ارتجالي سحبت بموجبه ممثّليها الدبلوماسيِّين من طهران[2]، وتحرّكت نحو دول أُخرى لإقناعها

---

١ ــ وهذا أمريمكن ملاحظته في عموم الصحف الغربية الصادرة بعد إعلان الامام الخميني للحكم الشرعي بحق سلمان رشدي، خاصة الصحف البريطانية والفرنسية. أمّا الصحف الامريكية فكانت أقل حدة بحكم ابتعادها عن ساحة المواجهة الساخنة إلّا أنّها عمدت إلى تحذيرات متتالية من تنامي الخطر الاسلامي ونشاطات الجاليات الاسلامية في الدول الغربية. فمثلا نشرت صحيفة نيويورك تايمز وهي من الصحف الكبرى، مباشرة بعد إعلان الحكم الشرعي تجاه نشر «الآيات الشيطانية»، تقارير إحصائية حول التحرك الاسلامي في أميركا فُسّرت بأنها تستهدف جلب أنتباه الإدارات الغربية إلى التيار الاسلامي وتحريضها عليه.

٢ ــ بدأت بهذا الاجراء المضطرب بريطانيا في ٢٠/شباط/١٩٨٩م فطلبت من إيران

باتخاذ إجراءٍ مماثل ومجاراة دول السوق في تهديداتها بفرض عقوبات اقتصادية أوسياسية على الأقل ضد ايران، وقد حدد «جيفري هاو» وزير الخارجية البريطانية دائرة الدول التي تشمل التحرك البريطاني ضد إيران بقوله:

«سيشمل التحرُّك الدبلوماسي آنطلاقا من المجموعة الاوربية وآنتهاءً بالتجمُّعات الإقليمية الأُخرى في المنطقة الخليجية، وجنوب شرق آسيا وأميركا الوسطى ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية.[1] وباستثناء دول السوق المشتركة لم تلق الجهود البريطانية آستجابة تذكر من الدول الأُخرى ــ على الصعيد العلني على الاقل ــ خاصةمع آتساع الاستجابة التأييدية للموقف الخميني في الأوساط الاسلامية، بل وأكثر من ذلك فحتى دول السوق المشتركة تراجعت عن موقفها السابق بسحب ممثليها من

استدعاء دبلوماسيها من لندن وتابعت لندن في ذلك دول السوق الاوربية المشتركة وواضح أن الإجراء الغربي بسحب السفراء وليس قطع العلاقات هو إجراء تهديدي بالدرجة الأُولى ولايمتاز بالجدية التنفيذية، اذ عندما واجهت الجمهورية الاسلامية الإجراء الغربي بإجراء مماثل، وتقدَّمت عليه بأن أنذرت بريطانيا في ١٩٨٩/٢/٢٣ بقطع العلاقات معها مالم تعتذر من المسلمين على تورطها في حركة الإساءة لمقدَّساتهم، وإثر انتهاء مهلة الأُسبوع التي أعطتها لبريطانيا في ١٩٨٩/٢/٢٨ وإقدام طهران على تنفيذ إنذارها في ١٩٨٩/٣/٧ ثبتت للغرب جدِّيَّتها عندها فتراجعت الدول الغربية سريعا عن قرارها السابق وقررت في ١٩٨٩/٣/٢٠ إعادة سفرائها. الأمر الذي يثبت الجنبة التهديدية في هذا القرار أساسا، وتتضح الجنبة التهديدية أكثر عندما نلاحظ تصريح جيفري هاو للتلفزيون البريطاني ــ الذي أدلى به تزامناً مع قرار سحب السفراء ــ حيث قال بأنَّ (على إيران أن تتخلى عن فتوى الخميني وإلّا فإنَّ بريطانيا غير مستعدة للحفاظ على علاقاتها معها، كما هدد بأن حكومته مستعدة للعمل مع أصدقائها في الشرق الأوسط لتقليل حدة الوضع المتوتر) الإذاعة البريطانية ــ القسم الانجليزي.

١ ــ ويبدو أن الجولات المتزامنة التي قام بها في نهاية آذار دوكلاس هيرد وزير الداخلية البريطاني للمنطقة الخليجية، وجيفري هاو للباكستان والهند (جنوب شرق اسيا)، وجولة تاتشر الافريقية التي شملت المغرب ونيجريا، تأتي في إطار هذا التحرك .

طهران وقررت اعادتهم اليها[1]، وقد جاء هذا التراجع بعد أن عمدت الجمهورية الإسلامية إلى المبادرة بقرارها الحاسم الذي لم يتجرّأ عليه الطرف الآخر، حيث أعلنت قطع علاقاتها السياسية مع بريطانيا بسبب تورُّطها المباشر في حركة الإساءة للمقدّسات الاسلامية، وبعد أن أمهلتها أُسبوعا لتعتذر من المسلمين كافة عن هذه الإساءة وعن حمايتها لرشدي، وتعلن البراءة من محتوى كتاب «الآيات الشيطانية» وقد تضمّن الموقف البريطاني تجاه هذا القرار دليلا آخر من دلائل حالة الإرباك تلك. في غضون يومين عمدت رئيسة الوزراء ووزير الخارجية البريطانيين إلى تصريحات خجولة أعلنا فيها تراجعاً آخر عن الموقف العنيف السابق، حيث ذكرا بأن الكتاب يمثل إساءة لمشاعر المسلمين فاستجابا لجزءٍ من الشرط الإيراني إلّا أنَّ الهيبة الاستكبارية وأحلام امبراطورية بريطانيا العظمى السالفة منعتها من الاعتذار الصريح من المسلمين.[2]

---

١ ــ نلاحظ حالة الارباك واضحة مثلاً في التذبذب الفاضح الذي طرأ على الموقف الفرنسي تجاه الفتوى الخمينية ففيا تصدّى (ميتران) بنفسه لانتقاد هذه الفتوى وبعنف ووصفها بأنها (شرٌّ مطلق) وتابعه في ذلك وزير خارجيته رولان دوما بدرجة أقل عنفاً وشدة، عمد الأخير في نفس الوقت إلى انتقاد قرار نظيره الهولندي بإلغاء زيارته إلى طهران مبرّرا الانتقاد بأنه (لايمكن طرح حكم شامل على الأوضاع في إيران من خلال إعلان وآخر) مؤكدا على ضرورة الإبقاء على الا تصالات. ولكن فرنسا سرعان ما التزمت بنفس هذا الموقف الذي أنتقدته وساهمت في صنع قرار دول السوق المشتركة في سحب سفرائها من طهران بل وسبقتها بأن أجّلت عودة سفيرها في طهران (كريستين غراف) الذي كان يقوم بزيارة عادية إلى باريس.

٢ ــ التصريح الأول أدلى به هاو في ٢/آذار/٨٩، وقد أضطر اليه بعد أن قدم النائب العمّالي (ماكس مادن) وهو ممثل غرب مدينة برادفورد التي تضم جالية إسلامية كبيرة قدم في نفس التاريخ مشروعا سرياً لم يعلن عن تفصيلا ته لمجلس العموم البريطاني إلّا أنه قد ذكر بأن المشروع يستهدف محاصرة الوضع المتفجّر حول كتاب رشدي. وعلى هامش تقديمه المشروع صرح النائب العمالي محذّراً الحكومة البريطانية من عواقب عدم الإسراع في معالجة الأمر، وقال (مالم

إنَّ استقراء مجريات الصراع التاريخي بين الغرب الاستكباري والوجود الاسلامي يثبت بما لايدع مجالاً للشك أنَّ الغرب لم يمرَّ بحالة إرباك فاضحة كتلك التي سبَّبها له الموقف الخميني من حركة الإساءة للمقدّسات الاسلامية، وهذا الاستقراء يشمل أيضا حدث انتصار الثورة الاسلامية في إيران بنفسه، فعلى الرغم من أهميَّة وخطورة حدث الانتصار بحدِّ ذاته على المطامع الغربية، وعلى الرغم من أهميَّة التفاعلات التي أحدثها في العالم الغربي، إلّا أنه لم يوجد حالة الإرباك التي أوجدها الموقف الخميني تجاه حركة الإساءة للمقدّسات الإسلامية، يتّضح ذلك بملاحظة أنَّ الموقف الخميني الأخير جاء بعد عقد كامل من حدث الانتصار، لذا فإنَّ الحالة التعبوية الإسلامية الواسعة التي أوجدها الموقف الخميني ضدَّ الإساءة الغربية للمقدّسات الاسلامية اعتمدت على حصيلة ثمار مسيرة الثورة خلال الأعوام العشرة الماضية وتفاعلاتها وآثارها على الساحة الاسلامية خاصة والدولية عامة.

«التعبئة الفاضحة»

في ظل حالة الإرباك تلك، لجأ العالم الغربي ــ ومعه العديد من (المتغرِّبين) ــ إلى استنفار قواه وطاقاته في حركة تعبوية انفعالية فضحت عمق عدائه للأحكام الإلهية، حيث اتخذت هذه الحركة التعبوية هدفاً

تقم الحكومة بعمل يرضي المسلمين فإنَّ أو امر الخميني لن يمكن عزلها أو الحيلولة دون انتشارها) واثر ذلك بساعات قليلة أطلق (جيفري هاو) تصريحه قائلاً: (اننا نتفهم سبب امتعاض المشاعرالاسلامية من الكتاب ونحن أيضا نعتبر الكتاب مسيئاً. فهو يشبِّه بريطانيا بألمانيا الهتلرية) وكانت إشارة هاو لإساءة الكتاب لبريطانيا محاولة لتبرير الاعتذار والتقليل من الهزيمة النفسية التي يعبِّر عنها والطريف في الأمر أنَّ صحيفة الغارديان اللندنية طلعت في اليوم التالي (٨٩/٣/٣) لتكذب ادعاء هاو بشأن تضمن الكتاب لما يشير الى تشبيه بريطانيا بألمانيا الهتلرية. أمّا تصريح تاتشر فقد ورد بكلمات مماثلة لعبارات هاو في اليوم التالي.

محوريّاً لها، هو معارضة الحكم الشرعي الذي يُجمِعُ عليه فقهاء المسلمين ضد الذي يسيء إلى أنبياء الله عموما، ولا سيا خاتمهم محمداً (ص). فهذه المعارضة العنيفة ضدَّ واحد من أبرز الاحكام الإلٰهية التي يجمع عليها المسلمون، جعلت العالم الغربي في مواجهة سافرة، مع عموم الأحكام الإلٰهية التي يقدّسها المسلمون حتى لولم يلتزموا بها، وبالتالي نقلتهم هذه المواجهة إلى مواجهة أخطر هي مع المشاعر الاسلامية مباشرة، وهنا بالذات يكمن أحد أسباب تراجعات الأطراف الغربية عن مواقفها الأوَّليَّة تفادياً لمخاطر هذه المواجهة المباشرة التي يقوّي المواقف الاسلامية فيها العواطف التاريخية المقدسة المتأصِّلة في الوجدان الاسلامي.

معارضة هذا الحكم الشرعي غطيت في معظم الأحيان بشعار الدفاع عن حرية التعبير عن الرأي الذي روَّج له الغربيون كثيراً سواء بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، عبر المتغرِّبين من عملاء الغرب أو من الذين يخدمون السياسات الغربية بصورة غير واعية. وعلى النموذج الأول يمكن الإشارة إلى تصريح تاتشر خلال لقائها المستشار الألماني الغربي هلموت كول حيث قالت: (إنَّ حرية الكلام والتعبير هي من المقومات الأساسيَّة لأيِّ مجتمع حرٍّ ويجب أن لايحدث أيُّ تدخُّل خارجي فيها)[1]، ومثله تصريح وزير خارجيتها جيفري هاو: (إنَّ التسامح هو أمرٌ أكثر من

١ ــ من المفارقات الفاضحة التي تدحض أهم شعار طرحته الدوائر الغربية ــ وخاصة البريطانية ــ لتغطية الدوافع الحقيقية لمعارضتها للحكم الشرعي الذي أعلنه الإمام الخميني ــ وهو شعار حرية التعبير عن الرأي ــ هي أنَّ سلمان رشدي نفسه كان أحد الكتاب والأُدباء البريطانيِّين الموقعين على ماعرف بميثاق ٨٨، والذي تضمَّن انتقادات عنيفة لما وصف بالرقابة الصارمة التي تفرضها حكومة تاتشر وتمنع بموجبها نشر العديد من الكتب والمقالات الصحفية، وقد أثيرت الضجة التي أسفرت عن توقيع الميثاق المذكور بعد أن أصدرت الحكومة البريطانية قراراً بمنع نشر كتاب لنائب في مجلس العموم البريطاني.

ضروري، ولابدّ من التمسك بمبادئ الحرية واحترام وجهة نظر الآخرين).

ومن الصنف الثاني (المتغرِّبين) يمكن الإشارة إلى الرأي المماثل الذي طرحه الروائي المصري نجيب محفوظ في مقابلة معه نشرتها صحيفة دير شبيغل الألمانية في ٢٧/شباط/١٩٨٩، وقد ذكر أنَّ محفوظاً يسعى ــ بعد أن طرحه الغرب عالميا بعد منحه جائزة نوبل (للآداب لعام ١٩٨٨) التي تسيطر عليها دوائر غربية معروفة الاتجاهات ــ لاستصدار قرار حكومي برفض الحظر الذي فرضه الأزهر على روايته (أولاد حارتنا) التي كتبها عام ١٩٥٩، إلا أنَّ الأزهر لم يسمح بنشرها لتضمنها إساءات صريحة ومباشرة للاسلام[١].

كما سعت الاطراف العربية إلى معارضة الحكم الشرعي بحق مؤلف «الآيات الشيطانية» بحجة أنه يمثل تدخُّلا في الشؤون الداخلية لبريطانيا التي يحمل المؤلف جنسيتها، فجيفري هاو اعتبر أنَّ هذا الحكم

---

١ ــ نجيب محفوظ أحد أهمّ الكتاب العرب الذين لقيت الروايات والقصص التي كتبها رواجا في مصر وعموم العالم العربي بل ترويجا متعمَّداً تمثَّل في أحد صوره في تحويل معظمها إلى أفلام سينمائية، وتميَّزت هذه الروايات باحتوائها الكثير من الصور الهادفة إلى تمييع القيم الاخلاقية لدى المسلمين، كما استهدفت تشويه صورة عالم الدين في أذهان العامة بطرحه ــ كمرتزق جشع ــ او مرتش ــ او وحشي الطباع ــ خاصة في تعامله مع النساء ــ أو جبان ــ أو موال للأنظمة الجائرة أو الاقطاعيين الظلمة وما الى ذلك، كما عمد بصورة مبطّنة إلى تشويه الكثير من العقائد الدينية. ففي عام ١٩٥٩ ألّف رواية (أولاد حارتنا) التي منع نشرها من قبل الأزهر لتضمُّنها إساءات لنبي الإسلام (ص)، وقد اضطرت الحكومة آنذاك إلى المصادقة على قرار الأزهر بسبب اتضاح الإساءة للنبي (ص) فيها وهو من المعروفين بتأييدهم الشديد لخطوة السادات في زيارة القدس، وتأييده لمعاهدة كمب ديفيد، وقد فُسِّر ذلك بكون زوجته يهودية إلّا أنَّ الأمر ولاشك أكبر من ذلك، ونتيجة لموقفه هذا فقد منح عام ١٩٨٨ جائزة نوبل للآداب، وهو يمثل نموذجاً بارزاً للمتغرِّبين الذين سعوا جاهدين لتدمير الهوية الاسلامية للمسلمين.

(أمرٌ مرفوض بالكامل، وهو يمثّل تدخُّلاً في الشؤون الداخلية البريطانية، ولا يحق لأحدٍ أن يحرِّض على العنف في الأراضي البريطانية أوضد المواطنين المقيمين في هذا البلد)[1].

ونفس هذا الرأي طرحته الدوائر الغربية بصورة غير مباشرة، أي عبر عملائها سواء الواعين منهم لهذه العمالة، أو الذين ينفذّون سياسات الاستكبار بصورة غير واعية، فمثلا روَّجت وسائل الدعاية الغربية تصريحا لمهدي روحاني أحد ذوي الظاهر العلمائي الذي يقيم في لندن ويعارض الجمهورية الاسلامية إذ يقول روحاني في تصريحه: «إنَّ تنفيذ حكم الشريعة حتى لوكان في حق مسلم لايمكن أن يتمَّ عندما يشكل الأمر إساءة إلى سيادة دولة أجنبية لها قوانينها الخاصة»[2].

كما لجأت القوى المعادية الى معارضة هذا الحكم الإلٰهي الحازم بصورة غير مباشرة عبر واجهات تضليلية وبشعارات تضليلية تمحورت حول الإدّعاء بأنَّ إعلان هذا الحكم يشوِّه الاسلام أو يُلصِقُ به تهمة الإرهابية، ومعظم الذين تصدّوا للترويج لهذا الرأي هم من الدبلوماسيِّين العرب العاملين في العالم الغربي أو من فقهاء السلطة والمؤسسات الاسلامية الحكومية، وكذلك المتغربين وكنماذج لذلك تمكن الإشارة إلى تصريح حمّادي الصّيد رئيس بعثة الجامعة العربية في باريس حيث قال: ــ (إنَّ الهجوم بهذا العنف يعطي انطباعا بأنَّ الإسلام هو ديانة هشة وغير

---

١ ــ وكالات الانباء ــ ١٥/شباط/١٩٨٩.

٢ ــ لعل روحاني هنا لم يدرك أنَّ قوله الذي لم يقدم عليه أيّ دليل، يمثّل إساءة صريحة للاسلام والأحكام الإلٰهية بتقييد أحكامه تعالى بما لم ينزل الله به سلطانا من قوانين وضعية. ومهما يكن الأمر فإنَّ هذه القضية ــ نشر كتاب سلمان رشدي ــ تحوّلت إلى مقياس ومحكٍّ لكشف المدافعين عن المقدسات الاسلامية حقا من أعدائها الحقيقيين الظاهرين أو المتسترين.

متماسكة لدرجة أن قصة يمكن أن تهزّها) وفي هذا التصريح إساءة مباشرة لله عزّوجلّ الذي شرّع ذلك الحكم الحازم بحق من يسيء إلى المقدسات الإلٰهية، واتّهاما لساحته المقدّسة بالخطأ في التقدير. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. ونفس ذلك يصدق على ما أعلنه الشيخ محمد حسام الدين، والاعتذار من الثاني أبعد قبولا بحكم كونه عالم دين، حيث قال هذا الشيخ، بأن (حكم الإعدام يجعل الإسلام يبدو عنيفا دمويّاً)، وهو ماتبنّاه أيضا مبروك عثمان رئيس جمعية الدعوة الاسلامية العالمية في ليبيا حيث صرّح قائلا: (إنَّ دعوة الإيرانيين لقتل سلمان رشدي تجعل المسلمين يبدون كمتعصّبين ومصّاصي دماء، ويجب أن تعالج المشكلة بحكمة وهدوء)!

وكان واضحا أن لجوء الغرب إلى هذه المعارضة غير المباشرة للحكم الشرعي الذي أعلنه الإمام الخميني، إنّما استهدفَ بلبلة الموقف الاسلامي الجماهيري الحازم ضد الإساءة الغربية، وإثارة حالة التشكيكات ضده بما يوفّر للغرب تفتيت هذا الموقف الإسلامي الحازم وتطويقه والالتفاف عليه، وهو نفس الهدف الذي أُريد تحقيقه أيضا عبر المحاولة الأُخرى غير المباشرة التي لجأ إليها الغرب عبر نفس الأطراف السابقة أو أطراف أُخرى تشترك معها في كونها تعبّر عن الإسلام الحكومي المضادّ للإسلام الجماهيري[٢] وقد تجسدت هذه المحاولة في طرح

---

١ ــ واذا لم نحمل أصحاب هذه التصريحات على المقصد السيّئ، فهم بلاشك خاضعين لتأثيرات وسائل الدعاية الغربية ومارَوّجته من أفكار محرّفة استطاعت تسريبها إلى العالم الاسلامي، وحتى الحوزات الدينية، وفعلت فعلها فيها بحيث أصبح مثلاً دفع تهمة الإرهابية مبرّراً للتقاعس عن إقامة الحدود الإلٰهية والصدع بالاحكام الشرعية.

٢ ــ اصطلاح استحدث استخدامه مؤخراً للتفريق بين الاسلام الأصيل النقي، والاسلام المحرّف الذي تتبنّاه الحكومات الجائرة وتتخذه غطاءً للتعتيم على محاربتها لقيم العدالة

أغطية ذات ظاهر شرعي للتشكيك بهذا الحكم الإلٰهي الأصيل، وفي المقابل تمييعه عبر طرح موقف قريب منه يكون البداية التمييعية للحكم الأصلي لوكان قد كتب لها النجاح في جذب الرأي العام الاسلامي إليه، وقد تمثّلت هذه المحاولة الثانية بالمعارضة الصريحة للحكم الإلٰهي الذي أعلنه الإمام مقابل المطالبة بمحاكمة سلمان رشدي وآستتابته. وقد تقدّم أنَّ ذلك خلاف إجماع فقهاء المسلمين، فلم يستتب رسول الله (ص) الذين آذوه بالسبِّ والشتم في حياته ولم يحاكمهم، بل أهدر دمهم فوراً دون ان يعطيهم فرصة الدفاع عن النفس والتوبة. فمثلا روي في المحلّى (ج ١١/ص ١٩٢ وهو من الكتب المعتمدة عند أهل السنة) عن عبد الرزاق عن معمر عن سماك بن الفضل عن عروة بن محمد عن رجل من بلقين قال: «كان رجل يشتم النبي (ص) فقال النبي (ص): من يكفيني عدوا لي؟!، فقال خالد بن الوليد أنا، فبعثه النبي (ص) اليه فقتله»[1] وهذا يناقض صراحة ماروّجته وسائل الدعاية الغربية نقلا عن ناطق أزهري زعمت الوكالات أنه من لجنة الفتوى في الأزهر الشريف من أن (لايهدر الدم إلّا بعد المحاكمة، وبعد إعطائه ــ سلمان رشدي ــ فرصة الدفاع عن النفس والتوبة والتراجع، فإذا تاب وتراجع انتهى الموضوع) والغريب أن

الإلٰهية وتخدير شعوبها وهذا هو مايعرف بالاسلام الاميركي، أمّا الإسلام الجماهيري فيُطلَق على الإسلام المحمّدي المدافع عن حقوق المظلومين والمتصدّي لجرائم ظالميهم. وقد انتشرت هذه التسمية خلال العقد الأخير في الكتابات الغربية عن الاسلام.

١ ــ واوضح من ذلك مارواه أبوداود عن الشعبي عن علي (رض) حيث اهدر الرسول (ص) دم يهودية كانت تشتم الرسول (ص) فنفذ أحد المسلمين الأمر وقتلها والرواية تفند دعوى من يقول بأنَّ الحكم بقتل ناشري الكتاب العارفين بفحواه غير صحيح لأنهم غيرمسلمين، وهناك روايات عديدة في هذا المضمار يمكن مراجعتها في كتب الصحاح كافة السنية والشيعية وراجع أيضا مثلا المنتقى من أخبار المصطفى ج ٢ والمغني لابن قدامة الجزء ١٦ وسائر الموسوعات الفقهية الاسلامية المعتبرة.

الازهر نفسه رفض إعطاء الروائي المتغرّب نجيب محفوظ فرصة الدفاع عن النفس عندما أصدر روايته (أولاد جارتنا) عام ١٩٥٩ التي يتعرَّض فيها لإساءة تقلُّ بكثير وكثير عن إساءة سلمان رشدي في «الآيات الشيطانية» فحظر الازهر الرواية ورفض مطالبة هذا العلماني بالتدخل لمناقشة المسألة كما ذكر ذلك بنفسه في مقابلته المشار إليها سابقا مع صحيفة دير شبيغل الألمانية، وقد ذكر فيها أنه يأمل أن يزال الحظر قريبا عن هذه الرواية. ويبدو أن موقف الأزهر الجديد من قضية إعدام رشدي قد أطمعه بإمكانية ذلك، ونظير هذا الموقف ما أعلنه رئيس هيئة كبار العلماء في السعودية عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، فحسبما نقلته صحيفتا السياسة الكويتية والاتحاد الظبيانية فقد ذكر ابن باز (أن مجمع الفقه الاسلامي في السعودية قد ناقش الكتاب على مدى ثلاثة أيام وأدان مؤلِّفه باعتباره مرتدّاً ومتزندقا) ولكن رغم ذلك لم يعلن الحكم الاسلامي الصحيح بحق المرتد الفطري والمتزندق، وإنما (دعا الى محاكمته غيابيا) بل وأكثر من ذلك أكسب محاكم النصارى في بريطانيا الصبغة الشرعية الاسلامية حيث دعا (إلى محاكمة رشدي أمام المحاكم البريطانية) وكأن هذه المحاكم تحكم بما أنزل الله، فيفوض الأمر إليها ويقبل حكمها وهذا يعبِّر عن حقيقة أنَّ المطالبة بالمحاكمة ومعارضة إهدار الدم فوراً، إنَّما هي محاولة غربية غير مباشرة تستهدف تمييع الحكم الشرعي، خاصة عندما نلاحظ المطالبة بتحويل الأمر إلى المحاكم البريطانية[1] كما أن هذه المحاولة تستهدف ــ من جانب آخر ــ النيل من وحدة الموقف الإسلامي المؤيد للحكم الشرعي الذي أعلنه الإمام الخميني بحق رشدي، فهذه المحاولة أيضا لاتخرج عن إطار محاولات الغرب لإحباط هذا الحكم الإلٰهي الحازم وتطويقه،

---

١ ــ أو المحاكم السعودية كما اقترح بعض الوعّاظ الرسميين، والهدف التمييعي واحد في كلتا الحالتين.

والحيلولة دون انتشار الإدراك العملي له بين المسلمين[1] ومن المحاولات المباركة التي بذلت في تفنيد مدعيات المتورطين في عملية التمييع هذه؛

---

١ ـــ هناك محاولة ثالثة في سلسلة هذه المحاولات تشترك معها في هدفها المضاد وإن كانت تقلُّ عن سابقتها أهمية، وهي المحاولة التي يمثلها مانسب لشيخ الأزهر جاد الحق من دعوته الكتاب الاسلاميين إلى الرد على كتاب سلمان رشدي، فواضح أن هذه الدعوة تمثل حركة انحرافية تستهدف صرف الجهد الاسلامي عن مستلزمات الموقف الاسلامي الحازم تجاه الحالات المماثلة لحالة «الآيات الشيطانية» وواضح فقدان هذه الدعوة لمبرراتها الموضوعية الضرورية للرد العلمي كما أشرنا لذلك في الفصل الاول ـــ فالكتاب عبارة عن رواية من الأدب المبتذل لا تضم سوى شتائم فجة تعتمد الخيال وتفتقد أي شكل من أشكال الاستدلال العلمي فكيف يتسنى الردُّ عليها، كما أن السنة النبوية تكشف بصراحة عن ان الرسول الأعظم (ص) لم يواجه أمثال سلمان رشدي في زمانه (ص) بأيِّ شكل من أشكال الردّ، ولم يطلب حتى من شعراء صدر الإسلام الرد على إساءتهم بل انحصر الرد النبويُّ بهدر دمائهم والدعوة لتنفيذ الحكم الإلٰهي الحازم تجاه هكذا سفهاء..، يقول الدكتور المصري محمد يحيى هو استاذ في الأدب الانجليزي في جامعة القاهرة وضمن تعليقه على قضية نشر «الآيات الشيطانية»: (يقال إنه يجب عدم التعرض لهذه الرواية من باب حرية الرأي والفكر، ولكن القائلين بهذا الرأي يغفلون حقيقة أنها عمل فني مزعوم، وليست كتابا علميا أو مقالة [تعبِّر عن] رأي، فهي تنطلق من التشهير والسباب والسخرية وإلصاق الأكاذيب المفضوحة والشنيعة بالاسلام، ولايمكن في هذه الحالة أن نعتبر هذا رأياً أو فكراً يرد عليه برأي مضاد، أو يقارع بالحجة،. فالذي يشتم لايرد عليه إلّا بالعقاب، ولايمكن كذلك الاحتجاج بمبدأ حرية الإبداع الفني لأنَّ ماتطرحه هذه الرواية ليس أمراً مقدّسا يعلو على النقد أو الضوابط، بل هو نشاط اجتماعي يخضع لعقيدة المجتمع ويتوجه به ويعبِّر عنها، ولذا فإنَّ مبدأ حرية الابداع الذي ورد الينا من الغرب، والذي يقدّس الفن بصرف النظر عن مضمونه، والذي يقدّس أيضا كل عمل مادام قد لبس رداء الفن، هذا المبدأ مرفوض ولا يمكن أن يستخدم للدفاع عن شتائم فاضحة وسباب هابط، والذي ألحظه أن ردود الأفعال لدى الدوائر العلمانية المحلية كانت تهدف ـــ في المقام الأول ـــ إلى إبطال غيرة المسلمين على دينهم بالتسامح وحرية الرأي وطالبوا المسلمين بعدم إبداء أيِّ ردٍّ فعل تجاهها، وإلّا اعتبروا متطرِّفين أو متعصبين وهم يرمون بذلك الى ترسيخ نزعة أن يتخلّى المسلمون عن إبداء أيِّ قدر من الغيرة والحمية في الدفاع عن دينهم) صحيفة الهلال الدولي الصادرة في لندن ١ ـــ ١٥ نيسان ١٩٨٩.

ما قامت به العديد من الوسائل الإعلامية الإسلامية من توضيح جانب الإجماع المتوافر لدى علماء الاسلام بمختلف مذاهبهم على صيغة التعامل الشرعي مع أمثال سلمان رشدي بالصورة التي أعلنها الامام الخميني في فتواه، وكمثال على هذه المحاولات المباركة التي حفلت بها الوسائل الإعلامية الإسلامية في أرجاء المعمورة (وخاصة في الحواضر الاسلامية الرئيسية كمصر والباكستان والخليج وتونس ولبنان وغيرها) كمثال عليها، نشير إلى محاولة الدكتور (ادريس كتاني) التي نشرتها صحيفة الإصلاح المغربية في عددها الصادر في (٢٤/رجب/١٤٠٩)، حيث قام بتلخيص بليغ لكتاب ابن تيمية «الصارم المسلول على شاتم الرسول» الذي أشرنا إليه سابقا، فقد ركز في تلخيصه على إبراز تأكيد فقهاء الإسلام على عدم الاستتابة، بل وعدم فاعليتها حيث لا تقبل توبة أمثال رشدي حتى لوتاب، مثلما أكّد عليه الامام في تعليقه على ماروّجته وسائل الدعاية المضادة من احتمال العفو عن رشدي إذا ماتاب. لنلاحظ تلخيص الدكتور كتاني للكتاب المذكور:

.. كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول) للامام شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية. وهو أكبر تحقيق علمي إسلامي لهذا الموضوع القديم الجديد، وكتبه في القرن السابع الهجري في وقعة عساف النصراني الذي سبَّ النبي صلّى الله عليه وسلّم، ويشتمل على ٦٠٠ صفحة، أرى من المفيد للرأي العام أن يعرف الحكم الاسلامي في هذه القضية من خلال تحقيق علمي موسّع، لأحد أئمة الاسلام القدماء، بعيداً عن التيارات السياسية المعاصرة، وقد بوّبه على أربع مسائل:

الاولى: في أنَّ السابَّ يُقتلُ سواء كان مسلماً أو كافراً.

الثانية: في أنَّه يتعيَّن قتله و إن كان ذمّيّاً.

الثالثة: في أنَّه السابَّ يُقتل ولا يستتاب سواء كان مسلماً أو

كافراً.

الرابعة: في بيان السبِّ وما ليس بسبٍّ، والفرق بينه وبين الكفر.

في المسألة الأُولى، أكَّد ابن تيمية وجوب قتل من سبَّ الله تعالى أو النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أو دينه أو كتابه، مسلماً كان أو كافراً، بنص القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين، وإن هذا مذهب عامة أهل العلم، وممَّن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي، قال الإمام أحمد: كل من شتم النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم، أو تنقَّصه (مسلماً كان أو كافراً)، فعليه القتل، وأرى أن يُقتل ولايُستتاب. قال ابن تيمية، وهذا مذهب أهل المدينة (ص ٥٢٧) خالد بن الوليد قتل رجلاً شتم النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ولم يستتبه (ص ٢٩٦).

وقال ابن قاسم عن مالك: من سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلَّم قُتِلَ ولم يُستَتَبْ، قال ابن قاسم: أو شتمه أو عابه أو تنقَّصه فإنَّه يُقتَلُ كالزنديق، وقد فرض الله توقيره، وكذلك قال مالك في رواية المدنيين عنه، من سبَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أوشتمه أوعابه أوتنقَّصه قُتِلَ، مسلماً كان أو كافراً، ولا يستتاب (ص ٥٢٨).

وقال القاضي عيَّاض: جميع من سبَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أو عابه أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله، أو عرَّض به شبهة بشيء على طريق السبِّ له، والإزراء عليه، أو البغض منه والعيب له فهو سابٌّ له، والحكم فيه حكم السابِّ، يقتل ولا تستثنِ فصلامن فصول هذا الباب عن هذا المقصد، ولا تمترِ فيه، تصريحا كان أو تلويحا، وكذلك من لعنه أو تمنّى مضرَّةً له، أو دعا عليه، أو نسب إليه مالايليق بمنصبه على طريق الذم، أو عيبه في الجهة العزيزة بسخف من الكلام، وهجر ومنكر من القول، وزور أو غيره بشيء مما يجري من البلاء

والمحنة عليـه، أو غمزه ببـعض الـعوارض البشريـة الجـائزة والمعهودة لـديه، قـال: وهذا كـلّـه إجماع مـن العـلماء وأئمة الفـتوى مـن لدن أصـحابه (ص ٥٢٨).

وقد ذكر القاضـي أجوبة جماعة من فقهاء المالكية المشاهير بالقتل بلا استتابة في قضايا متعددة، أفتى في كل قضية بعضهم (ص ٥٢٩).

وقال محمد بن سخنـون وهو أحد الأئمة من أصحاب مـالك: أجمع العلماء أن شاتم النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّـم المنتقص له كافر، والوعيد جار عليـه بعذاب الله وحكمـه عـند الأُمة الـقتل، ومـن شـكَّ في كفره وعـذابه كَفَرَ، وقد نصَّ مثل هذا غير واحد من الأئمة (ص ٥١٤).

وكـذلك قال أبوحنيـفـة وأصحابه، فيمـن تـنقَّصه أو برئ منه، أو كـذَّبـه: إنه مـرتـد، وكذلـك قـال أصـحاب الشـافـعي: كـلُّ مـن تعرَّض لرسول الله صلَّى الله عليه وسـلَّـم بما فيه آستهانة فهو كالسبِّ الصريح (ص ٥٢٩) بـل روىٰ آبن وهب عن مالك: مـن قال: إن رداء النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وسخ وأرَادَ به عيبه قتل.

وروى بـعض المالكية إجماع الـعلماء على أنَّ من دعا على نبيٍّ مِنَ الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه فانه يقتل بلا استتابة (ص ٥٢٩).

وعقد ابن تيميـة فصلا من الآيات الدَّالَّـة على كفر الشـاتم وقتله، منهـا قوله تعـالى: «والذين يؤذون رسول الله لهـم عذاب اليم» (٦١/التوبة) ومنها قـولـه تـعـالى، «إنَّ الـذيـن يؤذون الله ورسولـه لـعنهـم الله في الـدنـيا والآخرة وأعَدَّ لهم عذاباً مُـهـيـنـا» (٥٧/الاحـزاب) وقوله تـعـالى «ومنهم من يلمزك في الصدقات» (٥٨/الاحزاب).

كما عـقـد فصلا مـن السنن والأحـاديث الـدالَّـة على حـكم شاتم الـنبيِّ صـلَّى الله عليه وسلَّم، وأورد عـدداً من قضايـا السبِّ والهجاء التي حدثت في حياة رسـول الله منهـا قصـة الأعمى الذي قتل أُمَّ ولـده اليهـودية

التي لم تتوقف عن شتم النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم واذيته فلما أصبح ذكر ذلك للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فنشد الناس في أمر هام، وقام الأعمى فذكر قصته معها، فقال عليه السلام: ألا فاشهدوا أنَّ دمها هدر، رواه أبوداود والنسائي، وهذا الحديث آحتج به الإمام أحمد (ص ٦٧) كما احتج به الإمام الشافعي بقصة قتل كعب بن الأشرف اليهودي المشهورة عندما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله، فقام محمد بن مسلمة وقال: أنا يا رسول الله، أتُحِبُّ أن أقتله؟ قال: نعم (ص ٧٠)، وقصة قتل العصماء بنت مروان التي هجت النبيَّ (ص) وقصة آبن أبي سرح الذي طعن في النبوَّة وافترى على النبيِّ (ص) فأهدر دمه (ص ١١٦)، كما أمر بقتل من كان يهجوه ويؤذيه من شعراء قريش بمكة، وقصة قتل أبي رافع اليهودي الذي أهدر النبي (ص) دمه مشهورة أيضا رواها البخاري في صحيحه (ص ١٤٨) وقصة قتل أبي جهل وقصة هلاك المستهزئين (ص ١٦٠).

فالردَّة نوعان: مجردة ومغلظة، والتوبة إنَّما هي مشروعة في المجردة فقط، دون المغلّظة، والسب ردَّة مغلَّظة، وقوله تعالى: «إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم آزدادوا كفراً لن تقبل توبتهم» (٩٠/آل عمران). إنَّما دلَّت على قبول توبة من كفر بعد إيمانه إذا لم يزدد كفراً، أمّا من كفر وزاد على الكفر فلم تدلَّ الآيةُ على قبول توبته (ص ٤٥٩).

وقال القاضي أبو يعلى: إنَّ سبَّ النبيِّ (ص) يتعلق به حَقَّان: حقُّ الله وهو القدح في رسالته وكتابه ودينه وحق الآدمي، فإنه أدخل المعرَّة على النبي (ص) بهذا السبِّ، والعقوبة إذا تعلَّق فيها حق الله وحق الآدمي، لم تسقط بالتوبة، كالحدِّ في المحارب فإنَّه يتعيَّن قتله (ص ٤٤٤ من الطبعة الأُولى بمدينة حيدرآباد بالهند).

ونظائر هذه المحاولة لايسع المجال لاستقصاء نماذج أُخرى منها

وهي في مجموعها تمثل أحد العوامل الرئيسية التي حالت بين عمليات التمييع المشبوهة تلك وتحقيق أهدافها الخبيثة، ومهما يكن الحال فإن هذه المحاولات المضادة للحكم الشرعي المذكور تكشف عن وجود حالة تعبوية عامة بين القوى المعادية تتمحور ضد ترسُّخ هذا الحكم الشرعي الإلهي ظاهرها حماية سلمان رشدي والدفاع عنه، على الصعيد الغربي المباشر، والتشكيك بشرعية هذا الحكم عند الأدوات الغربية غير الواضحة في هويتها الغربية من وعّاظ السلاطين وغيرهم، فما هو سر هذه الحالة؟!

نراجع البيان التاريخي الذي اصدره الامام القائد (رضوان الله تعالى عليه) بتاريخ ١٥/رجب ١٤٠٩ حيث يقول (رض):

«إن منبع مخاوف وقلق الاستكبار هو من أن يكتسب الفقه والاجتهاد صفة واقعية ويتجسَّد عمليّاً ويوجد لدى المسلمين قدرة التعامل مع القضايا المعاصرة وفق أحكام الفقه الاسلامي و إلّا فما سرُّ تلك الحالة التي اصابت غزاة العالم بمجرد إعلان ذلك الحكم الإسلامي الشرعي الذي يجمع عليه كافة علماء الإسلام تجاه مرتزق للأجانب، لماذا استشاطوا غيظاً؟! ولماذا عمد قادة الكفر والسوق المشتركة وأمثالهم إلى سعيهم المستميت ضد هذا الحكم الشرعي؟! ليس لهذه الحالة من تفسير سوى انهم قلقوا من القدرة العملية للمسلمين في تشخيص مؤامراتهم المشؤومة والتصدّي لها».

إذن فالسبب الرئيسي للاضطراب الذي أصاب العالم الغربي تجاه إعلان الامام الخميني لذاك الحكم الإلٰهي الحازم يرجع إلى المخاوف التي أصابت القوى المعادية من امتلاك القدرة العملية على إدراك مؤامراتها والأهمُّ من التصدّي لها وإحباطها وفق الأحكام الإلٰهية وهذا يعني إحداث نقلة حضارية كبرى لدى المسلمين تمكّنهم من التعامل مع القضايا المعاصرة والسياسات الاستكبارية تجاههم وفق أحكام الفقه الإسلامي، وهذا بدوره يعني إعادة الإسلام عمليّاً وليس شعوريا للفاعلية

في مجريات ووقائع الحياة السياسية في عالمنا المعاصر، ودخول الاسلام عمليا ــ وهو البديل الحضاري الأخطر على المطامع الاستكبارية ــ بزخمه المعنوي الكبير في الصراع مباشرة ضد هذه المطامع وسياسات أصحابها، وهذا الدخول العملي هو الذي تخشاه القوى المعادية وترى فيه الأخطار الماحقة لمصالحها غير المشروعة، أمّا بقاء الاسلام وأحكامه في قيود الأُطر النظرية والمصاديق التاريخية دون تطبيق أحكامه الحازمة تجاه المصاديق المعاصرة التي تشهدها كل يوم حركة الصراع التاريخي بين المسلمين وأعدائهم وبأُسلوب جديد، أمّا هذا فلن يضر القوى المعادية شيئا ولن يخدم الحق الاسلامي شيئا. يقول قائد الأُمة الإسلامية (رضوان الله تعالى عليه) في بيانه التاريخي لعلماء الاسلام:ــ

«إنّنا وبدون الالتفات إلى الغرب الماكر والشرق المعتدي، وبعيداً عن معادلات الدبلوماسية الحاكمة على العالم يجب أن نسعى لتحقيق وتجسيد الفقه الواقعي للإسلام عملياً، وإلّا فمادام هذا الفقه حبيس الكتب وصدور العلماء فلن يضر ناهبي العالم شيئاً، وما لم يكن لعلماء الإسلام حضورهم الفاعل في جميع القضايا والمشاكل فلن يستطيعوا إدراك حقيقة عدم كفاية الاجتهاد الإصطلاحي. على الحوزات الدينية والعلماء أن يمسكوا بأيديهم دائما حركة التفكير للمجتمع ويحيطوا باحتياجاته المستقبلية، وأن يكونوا دائما متقدّمين عدة خطوات على الحوادث ليكونوا قادرين على اتخاذ ردود الفعل الصحيحة تجاهها، وربما تتغير في السنين القادمة الأساليب المألوفة حالياً لإدارة وتسيير أُمور الناس، وتحتاج عندها المجتمعات البشرية إلى الإسلام وحلوله الجديدة ليحل مشاكلها، لذا يجب أن يفكّر علماء الاسلام العظام من الآن بهذا الأمر».

ورغم أنَّ القسم الأول من هذا النص هو الذي يتعلّق مباشرة بحديثنا إلّا أنّنا رجّحنا أن ننقله كاملاً، لاحتوائه على إشارتين: الأُولى،

تتعلَّق بعدم كفاية الأُطر النظرية والمصاديق التاريخية لمجال تحرك حركة الاجتهاد لتلبية احتياجات الصراع والحوادث الواقعة، والثانية إلى كون الاسلام هو البديل الحضاري المكلَّف بطرح الحلول لكافة مشاكل المجتمعات البشرية، وكذلك لتضمُّن هذا المقطع لاثنتين من حقائق الصراع الكبرىٰ بين الإسلام والكفر:

الحقيقة الأُولى: هي أنَّ السبيل الوحيد الكفيل بإحباط اعتداءات المستكبرين ومؤامراتهم ضد الاسلام والمسلمين ــ الظاهرة منها والخفية المقنَّعة ــ هو نقل الفقه الإسلامي الشامل من إطاره النظري ومصاديقه التاريخية إلى الحيِّز العملي ومصاديقه المعاصرة، ويتم ذلك عبر تحديد المواقف الشرعية الواضحة تجاه كافة القضايا الراهنة ومجريات واقع المسلمين، وتعريف المسلمين بتلك المواقف الشرعية وبحقيقة المؤامرات التي تحاك ضدهم والتي تطرح كل يوم بأساليب جديدة وأغطية تضليلية جديدة، ومبادرة الطلائع الاسلامية للعمل بجرأة وشجاعة وفق تلك المواقف والأحكام الإلٰهية ليكونوا قدوة للجماهير.

والحقيقة الثانية: هي ضرورة أن تكون الطلائع الإسلامية وعلماء الإسلام خاصة، متقدِّمين دائماً على مسار الحوادث الواقعية بخطوات، يتنبأون بها وفق خصائص ومجريات الواقع المعاصر ومواقف اطراف الصراع، ويحدِّدون المواقف الشرعية سلفاً تجاهها، فيكونون المبادرين للمواقف الانقاذية الحازمة، وكذلك لايكتفون بالمواقف الدفاعية في مجريات الصراع القائم، بل يبادرون إلى تطوير هذه النقلة الحضارية في التعامل مع أحكام الفقه الاسلامي وتوجيهها نحو تحقيق الأهداف الإلٰهية السامية للإسلام في إنقاذ البشرية من أشكال العبوديات.

إنَّ هذه النقلة الحضارية المتمثلة في امتلاك المسلمين القدرة على التعامل العملي الحازم مع قضاياهم المعاصرة وفق أحكام الفقه الإسلامي

تفعل فعلها الناجز في تشخيص مؤامرات الأعداء والتصدّي وفي هذه النقطة بالذات ـــ كما أشرنا سابقاً ـــ تكمن مخاوف أعداء الاسلام، وتطوير تلك القدرة وتبيان آراء الاسلام تجاه القضايا المعاصرة وتعريف المسلمين بها من شأنه بالطبع أن يحدد كثيراً من مجالات ممارسة وتنفيذ القوى المعادية لمؤامراتها ضدَّ الاسلام، يقول قائد الأُمة الإسلامية (رضوان الله تعالى عليه) في نفس بيانه آنف الذكر:ـــ

«إن قادة الكفر قلقون لأنهم يرون المسلمين اليوم، وقد عرفوا الاسلام ديناً سامياً متفوِّقاً مفعما بالحركة، مفجِّراً للملاحم، لقد تملك الاضطراب ناهبي العالم حيث يرون أن مجال ممارسة شرورهم قد أصبح محدوداً، وأن مرتزقتهم لن يستطيعوا أن يواصلوا ماكانوا يفعلونه في السابق من تسخير اقلامهم للإساءة لمقدسات المسلمين».

على مدى عقود متمادية كثفت دوائر الغرب المعادي للإسلام جهودها لعزل الاسلام عن الحياة والإبقاء على أحكامه مجمَّدة في الأُطر النظرية لأنها أدركت أنَّ ٱلتزام المسلمين بها كفيل بإحباط كافة خططها السلطوية والاستنزافية لبلاد المسلمين وثرواتهم وإمكاناتهم، لذلك فمن الطبيعي أن يصيبها الاضطراب وهي تجد اليوم أنَّ جهودها الخبيثة وإن ٱستطاعت تجميد فاعلية الإسلام وأحكامه لفترة موقتة إلّا أنَّها فشلت في قتل هذه الفاعلية وقطع احتمالات عودتها، فالدوائر الغربية تجد اليوم انَّ المسلمين قد أخذوا بالعودة إلى إسلامهم الحق النقي، مدركين حقيقته الإنقاذية وٱقتداره، وكفاءته الإلٰهية في إنقاذهم من واقعهم المأساوي، وتحويلهم إلى الأُمة الرائدة الماجدة القادرة على قيادة وهداية البشرية جمعاء إلى السعادة الحقة، ومفهوم أنَّ في هذه العودة بالذات تكمن المخاطر الكبرى على المطامع الاستكبارية والمؤامرات السلطوية. فتطبيق حكم واحد من أحكام الاسلام وهو حكم معاقبة المرتد المسيء للمقدسات الاسلامية، بل

وتشخيص هذا الحكم على أحد المصاديق المعاصرة ـ مؤلف الآيات الشيطانية وناشريه ـ ، وتطبيقه فقط يؤدي إلى هذه النتائج الخطيرة على صعيد إحباط أحد أهم وسائل الحرب المضادّة التي يشنُّها العالم الاستكباري ضد الوجود الاسلامي، وهو سلاح تجنيد الأقلام المرتزقة الساعية لتهديم مكانة القيم الاسلامية وفاعليتها في حياة المسلمين، فكيف سيكون الحال لو نفذت سائر أحكام الإسلام الأُخرى المتعلقة بعملية الصراع ضد أعداء الله؟!

إنَّ تطبيق هذا الحكم يضيِّقُ من مجال ممارسة القوى المعادية لشرورهم وتنفيذ مؤامراتهم ضد العالم الاسلامي على هذا الصعيد ليس لأنَّه يقضي بالقتل المادي لشخص المرتد سلمان رشدي، بل الأهم من ذلك يقضي بالقتل المعنوي لنوع الكتّاب المرتزقة من أمثال سلمان رشدي، باعتبارهم يمثلون أدوات لتنفيذ خطط القوى المعادية، بل و إحدى أخطر تلك الأدوات، فمعلوم أن تشخيص مصداق الحكم الشرعي آنف الذكر ينطبق على كل من يرتكب أمثال الإساءة التي وردت في رواية «الآيات الشيطانية»[1]، لذا فكل من يفكّر او يُدفع ويُطلب منه القيام

١ ـ تلاحظ هنا اللهجة الانفعالية التي طغت على رد فعل الروائي المصري نجيب محفوظ على إعلان الامام الخميني للحكم الشرعي الحازم بحق رشدي وناشري «الآيات الشيطانية» فقد قال محفوظ مانصه (يجب معاقبة الخميني لإهداره دم سلمان رشدي، فالقتل جريمة والتحريض وفكرة القتل نفسها مروعة) الوكالات، والرعب واضح في هذا التعليق، كما أن الانفعال واضح في تصريحاته لصحيفة دير شبيغل الألمانية والتي أشرنا إليها سابقاً حيث قال: (لا أحد في مصر يتمنّى الموت لسلمان رشدي) وقد جاءت هذه التصريحات بعد أن شنت مجلة النور الأُسبوعية الصادرة في القاهرة هجوما على نجيب محفوظ ووصفت سلمان رشدي بأنه نسخة أُخرى من نجيب محفوظ مذكرة بروايته «أولاد حارتنا» التي أساء فيها للنبي (ص)، وقد ذكر محفوظ بأن هذا الوصف لايقلقه لأنَّ في مصر قانونا للعقوبات، مشيراً بذلك إلى الحماية الحكومية له، وتصل لهجة الانفعال ذروتها

بماقام به رشدي، سيفكر أيضا باحتمالات أن يصيبه ما أصاب رشدي، وأن يبادر المدافعون عن المقدسات الاسلامية لتنفيذ حكم الاسلام العادل به، في رسالته الى المسلمين التي اعلن فيها الحكم الشرعي بحق مؤلف رواية «الآيات الشيطانية» وناشريها، العالمين بفحواها؛ يقول قائد الامة الاسلامية (رضوان الله تعالى عليه) مانصه:ـــ

> «أُريد من المسلمين الغيارى أن يسارعوا إلى إعدام أُولئك ـــ مؤلف الرواية وناشريها ـــ وحيثما ثقفوهم لكيلا يتجرّأ أحد على التعرُّض بالإهانة لمقدسات المسلمين».

وصريح ان التحديد والأثر المشار إليه سابقا لايشمل الأقلام المرتزقة وحسب، بل يشمل كذلك شبكة مؤسسات النشر المتشعّبة التي تدفع للترويج لما يريد أعداء الاسلام ترويجه مساهمة في محاربة الحسّ الديني لدى المسلمين.

وتزداد دائرة ممارسة هؤلاء لشرورهم ضيقا عندما نلاحظ أنَّ وعي المسلمين سائر باتجاه تشخيص سائر الانتهاكات والإساءات غير الصريحة للمقدسات الاسلامية ليطبق تجاهها الحكم الشرعي الحازم ووفق تحديدات فقهاء الاسلام، بحق المسؤولين عن تلك الإساءات المبطّنة وهم كثر ولا تقل خطورتهم عن خطورة سلمان رشدي وأمثاله، وما تضمّنه كتابه من إساءات صريحة للمقدّسات الاسلامية، وهذه الحقيقة يدركها

عندما يتهجم محفوظ على المسلمين الذين أيّدوا حكم الإمام الخميني واعربوا عن ذلك في تظاهرات خرجت في أرجاء المعمورة بأنهم (مجموعة من الأُمِّيِّين وقد استغلّهم الخميني) وورّط نفسه بطرح اجتهاد فقهي لايجرؤ أحد على إنكار عدم صلاحية محفوظ لإعطاء رأي فيه (إنَّ الاسلام لايمنح الحق لأحد وحتى أُولئك الروحانيين الذين يتعاملون في السياسة بإصدار حكم بالموت على أُناس آخرين) وعلى كل حال فإنَّ رد الفعل الانفعالي هذا قد طغى على تصريحات معظم أمثال رشدي ومحفوظ تجاه فتوى الامام.

ولاشك أقطاب القوى المعادية، ويدركون أنَّ النقلة في تطبيق الحكم على أمثال سلمان رشدي وتشخيص مصاديق الإساءات الصريحة للمقدسات الإسلامية، ستليها ــ إذا توافرت الجهود الواعية لعلماء الاسلام وطلائعه ــ نقلة أُخرى لتطبيق الأحكام الشرعية الحازمة بحق أُولئك المتورِّطين في إساءات مقنَّعة لهذه المقدسات، وتشخيص هذه الإساءات المقنَّعة و إزالة الحجب التضليلية عنها.

ومن هنا فلاغرابة في أن يصاب الغرب بكل ذلك الاضطراب تجاه إعلان الحكم الشرعي الحازم بحق سلمان رشدي، ويعمد إلى تسخير كافة إمكاناته وأدواته المباشرة وغير المباشرة، الظاهرة والخفية؛ لمحاربة هذا الحكم الشرعي، والحيلولة دون انتشاره بين المسلمين، والقيام بمايستطيعه من محاولات تشويه وتطويقه، معلنين جميعا حمايتهم لسلمان رشدي، ولكن ليس الهدف هو حماية هذا الكاتب المرتزق بحد ذاته بل حماية ماهو أكبر من سلمان رشدي؛ حماية التيار المحارب للقيم الإلٰهية، تيار يمثل إحدى أهم أدوات الدفاع عن المطامع الاستكبارية، يقول قائد الأُمة الاسلامية (رضوان الله تعالى عليه):ــ

«ان قضية الغرب ليست الدفاع عن شخص واحد بل إنها قضية دعم وحماية تيّار كامل مضادٍّ للاسلام وللقيم، و إلّا فإنَّ قضية سلمان رشدي بذاتها ليست مهمة إلى درجة أن يقف معه الصهاينة والاستكباريون كافة»[1].

---

١ ــ فيما يتعلق بالدور الصهيوني في مجريات قضية «الآيات الشيطانية» يمكن الاشارة الى القضايا التالية:ــ

أ ــ إنَّ مؤلف الكتاب نفسه ــ سلمان رشدي ــ محسوب على التيار اليساري الغربي الذي يضم مجموعة ضغط صهيونية معروفة بتوجهاتها الصهيونية الحادة (مجلة العالم العدد ٢٦٤ (٢٦/رجب/١٤٠٩) (١٩٨٩/٣/٤).

ب ــ إنَّ ظهور كتاب رشدي «الآيات الشيطانية» المسيء لمقدسات المسلمين ◄

وقد ذكرت صحيفة (ذي ستاندارد) اللندنية أنَّ تكاليف حماية رشدي وحده كبدت دافعي الضرائب البريطانيين مالايقل عن ٧٠ ألف جنيه استرليني (خلال شهرين) بتكلفة يومية تبلغ (١٠٦٨) جنيه استرليني كما ذكرت صحيفة الديلي ميل، واضافت صحيفة (ذي ستاندارد) أنَّ هذا الرقم يتضاعف الى ثلاثة اضعاف مع احتساب تكلفة حراسة مسؤولي دار النشر (فايكنغ بنغوين) التي نشرت الكتاب (وقد تعرضت خمسة من فروع هذه الدار لهجمات خلال شهر نيسان وحده) وذكرت الصحيفة

تزامن مع ظهور رواية كتبتها زوجة رشدي الانجليزية ـ ماريان فيغتر ـ وفيها تسيء الى العالم المسيحي، وكلتا الروايتين جاءتا بعد فترة قليلة من إنتاج وعرض فيلم (الاغواء الاخير للمسيح) الذي أشرنا إليه سابقا وفيه إساءة مبتذلة للسيد المسيح ومريم العذراء عليهما السلام (مجلة الوحدة الاسلامية اللبنانية العدد ١١٩ ـ ٢٥/رجب/١٤٠٩) الأمر الذي يمكن أن يدعم الرأي القائل بأن نشر «الآيات الشيطانية» جزء من حركة صهيونية أساسا لضرب الدين والتديُّن عامة، انسجاما مع الخطط الصهيونية المعروفة التي تضمنها كتاب برتوكولات حكماء صهيون، وهذا الدور الصهيوني المثير لحركة الإساءة للمقدسات والقيم الإلٰهية لاينفي التبنّي الغربي لهذه الحركة، فمثلما هو معروف التأثير الصهيوني في السياسة الغربية معروف بالمقابل ايضا أنَّ هناك قاسماً مشتركاً كبيراً بين الصهاينة والاستكباريين في محاربة الدين والقيم الدينية، وعلى ذلك يمكن القول إنَّ حركة الإساءة للمقدسات الإلٰهية للأديان غير اليهودية هي حركة مثارة أساسا صهيونيا ومتبنّاة فيما بعد من قبل الغربيين، وقد أُتيح الدعم اللازم لها لأنَّها تتعرض للاسلام والمسيحية ولا تقترب من اليهودية تجنّبا لاثارة مجموعات الضغط اليهودية في الغرب.

جـ ـ ويمكن اعتبار الإعلان الإسرائيلي عن الاستعداد لاستقبال رشدي في فلسطين المغتصبة وتوفير الحماية اللازمة له، حركة انفعالية ألقت المزيد من الاضواء حول الهوية الصهيونية لسلمان رشدي والدور الصهيوني في حركة الإساءة للمقدسات الإلٰهية.

د ـ قرار عرض فيلم «الإغواء الاخير للمسيح» في تركيا من المرجح أن تكون وراءه أيدٍ صهيونية مباشرة تستهدف إثارة الرأي العام المسيحي ضد المسلمين، فتركيا لازالت تمثل في أذهان المسيحيين مركز آخر كيان سياسي موحَّد للمسلمين (دولة الخلافة العثمانية) ومن الطبيعي أن يفسر عرض الفيلم المذكور في تركيا (وإن كان الفيلم من صناعة غربية)، يفسَّر بانه إساءة من المسلمين لمقدسات المسيحيّين، الأمر الذي يرجّح أن تكون القضية أساسا حركة

◄

اللندنيـة: أنَّ هذه التكاليف لا تشمل تكاليف حراسة المؤسسات والمجالس البريطانيـة فيما وراء البحار وخاصـة المجالس الواقعة في بـاكستان وماليـزيا وبـنغلاديش التي تـعرضت لهـجمات من قـبل المسلمين هناك . وأكدت الصحيفة اللنـدنية أنها استقت معلوماتها هذه من تقارير الشرطة البريطانية وقارنتها بالسجـلات الأمنية السابقة، وأضافت أنَّ تكاليف حراسة سلمان رشدي ــ الذي غيِّب عن الانظـار مـنذ إعلان الـفتوى الخـمـينيـةــ آخذة بالارتفاع حالـيا ــ نهاية شهـر نيسان ــ وقد شمـلت أطرافاً أمنـيّة ومسؤولة كثيـرة غيررشـدي نـفسه، وهـذا مـا أكَّدته أيضـا الـديلي ميل في عـددها الصادر (١٩٨٩/٤/٢٧) وما نقلته الصحيفة اللندنية يمثل رقما بسيطا يوضح جانبا مـن حجم الحـماية الاستـكبارـية لهذا الكاتب المرتد، ويؤكدماذكره الامام من أنَّ أهداف هذه الحمـايـة هي أكبر بكثير من الحفاظ على حـياة رشدي نـفسه الذي انتهى عمـليـا، فالقلق الاسـتكـباري الأكبر هو من أن يصبح مصير أمثال رشـدي كمصيره، وهـذا الـقلق بدأت مصاديـقه العملية تتوالى فعلى سبيل المثال، أصدر الدكتور الشيخ عمر عبدالرحمٰن أحد كبار الـعلماء الإسـلاميين في مصـر فـتـوىً بإهدار دم الـروائي المصـري المـتغرب «نجيـب محفوظ» بسبب كـتابـته روايـة (أولاد حارتـنـا) المشار إليها سابقا، وأكَّـد الشيخ عـبدالرحـمٰـن في مقابـلة مع صـحيفة الأنـبـاء الكـويـتية أن

صهيونيـة لضرب المسلمين بالمسيحيين وهذا أُسلوب صـهيوني قديم في إضعـاف الأديان الأُخرى، وقـد وردت إشارات عـديدة لهـذا الاسلـوب في بـرتوكـولات حكماء صـهيـون، وواضـح أن هذه الإثارة تخدم مصالح الساسة الغربيين أيضا حيث أنها تدعم موقفهم الضعيف في مواجهة غضب العالم الاسلامي، بسبب تورطهم المباشر في قضية «الآيات الشيطانية».

هـ ــ في ١٩٨٩/٢/٢٠ أعـلـنت الحكومـة الإسـرائيـلية أنها سـتـعمـد إلى ترجمة رواية «الآيات الشيطانية» إلى العـبرية ونشرها، وفي ٨٩/٢/٢٦ نشرت صحـيفة (الصنداي اوبزرفر) خبراً مـفاده أن الموساد الاسـرائيلـية قدّمت لـرشـدي حماية مدى الحياة. وقـد جاء نشر الخبر بعد عدة تصريحات اطلقها عدد من الساسة الصهاينة بنفس هذا المضمون.

(لوكان قد نفّذ هذا الحكم بحق محفوظ في حينها لما تجرّأ سلمان رشدي على تأليف «الآيات الشيطانية») وقد أيّد الدكتور عبدالرحمٰن في المقابلة فتوى الإمام الخميني بحق رشدي ووصفها (بأنها شرعية وان رشدي يجب أن يقتل) ويبدو أن إعلان الشيخ عبدالرحمٰن لهذا الحكم قد كان الدافع وراء إقدام النظام المصري على اعتقاله بعد هذه المقابلة مباشرة في السابع من نيسان ١٩٨٩، إلّا أنَّ هذا الاعتقال لم يستطع تطويق آثار هذا الاعلان الذي بدأ يفعل فعله حيث تراجع محفوظ عن موقفه السابق، ولأوّل مرة أدان رواية «الآيات الشيطانية» ووصفها بأنها (مبتذلة حقّاً) (صحيفة العالم اللندنية الصادرة بالعربية العدد ٢٧٠، ١٥/٤/١٩٨٩) وقد نشرت الصحيفة تقريراً لمراسلها في القاهرة يوضح اتساع ردود الفعل المتفاعلة مع الفتوى الخمينية في الأوساط العُلـمَائِيَّة وأوساط المفكرين في مصر وهي ردود فعل معظمها إيجابية شملت حتى الازهريين، الأمر الذي يثير اكثر من اتهام لوكالات الأنباء العالمية بتحريف ردود فعل علماء الأزهر تجاه الفتوى، بل ويثبت تحريفها للعديد منها بصورة صريحة، أو بنقلها مبتورة بحيث تشوّهُ مضمونها الحقيقي وبصورة متعمدة.

«محاولات الالتفاف والتطويق»

في ثنايا الحديث عن ملابسات موقف القوى المعادية المضاد، تناولنا العديد من محاولات الالتفاف على الموقف الاسلامي الحاسم تجاه حركة الإساءة للمقدسات الاسلامية وتطويقه و إحباطه، ونحن هنا لسنا بصدد استقصاء كافة محاولات التطويق والإحباط هذه، ولكنا نرى من الضروري الإشارة إلى نقطتين مهمتين تتعلقان بها.

الأُولى: إن من الطبيعي ان نتوقع استمرار محاولات الالتفاف والتطويق هذه وتوسع إطارها لتشمل السعي من أجل تلافي آثارها

وتفاعلاتها على الساحة الاسلامية، وهذا أمر مفهوم في ظل إدراك القوى المعادية لخطورة تنامي قدرة المسلمين على التعامل مع القضايا المعاصرة وفق الأحكام الإلٰهية؛ خطورته على مطامعهم غير المشروعة، من هنا فإنَّ معركتهم مع الاسلام هي معركة مصيرية مستمرة على الوجود. فمن السذاجة بمكان توقّع أن ترعوي القوى المعادية وتكفَّ عن الكيد للاسلام بمجرد تلقِّيها لضربة قوية أحبطت إحدى خططها وحركاتها المعادية وفي المقابل يستلزم هذا الامر من القوى الاسلامية مواصلة جهودها المضادة لهذه المحاولات.

الثانية: إن محاولات التطويق والالتفاف تلك ستكون في أشكالها القادمة أشدَّ خبثاً ومكراً وخطراً من سابقاتها، بحكم أنَّ المحاولات السابقة جاءت في ظل حالة الإرباك والاضطراب التي سببتها الضربة الخمينية للقوى المعادية، مع زوال هذه الحالة تتوفر للقوى المعادية الظروف اللازمة لوضع خطط أشدّ خبثاً ومكراً تُبعد عنها الأخطاء التي ميَّزت سابقاتها، ويتمُّ تخطيطها وتنفيذها في أجواء بعيدة وخالية من الانفعال الذي قيَّد المحاولات الفورية السابقة.

وبملاحظة هذه النقطة يتضح في المقابل أن مواصلة الضربات الاسلامية للقوى المعادية أمر ضروري للحيلولة دون نجاح الخطط الإحباطية الجديدة، بل والحيلولة دون توفر الظروف الآمنة الهادئة التي تستطيع بها تلك القوى التخطيط لمؤامرات جديدة ضد الوجود الاسلامي، واستمرار الضربات الاسلامية هو وحده الكفيل بالإبقاء على حالة الإرباك والاضطراب مسيطرة على القوى المعادية، وهذا هو الذي يضمن الأمن من شرورهم وانحسارهم، وإزالة العقبات من طريق الاسلاميين نحو تحقيق أهدافهم الإلٰهية السامية. وبعكس ذلك فإن تلك القوى المعادية سوف تخلق في كل يوم مشكلة جديدة للوجود الاسلامي وتشغله

بـردود الأفعال والـدفاع ومحاولـة اغلاق الثغـرات الجديدة بـدلا من السعي لمواجهة سيـاساتها ومؤامراتهـا المستمرة لضرب الـعالم الاسلامي واستـئصال الوجود الاسلامي.

لِنُنْعِمِ النظر في المقطع الـقصير الآتي الوارد في البيان الذي أصدره الإمـام الخميني في الرابـع عشـر من شعبـان عام ١٤٠٩. يقول (رضوان الله تعالى عليه):ـــ

«راقبـوا بـدقـة وبصيـرة وبـاستمـرار الأعـداء ولا تـدعـوهـم يهدأون ويطمئنون، فإنْ جعلتموهم يطمئنون ويأمنون فلن يدعوكم تطمئنون وتأمنون ولا للحظة».

وفي هذه العبارة القصيرة، حقيقة ثابتة وكبرى من حقائق الصراع التـاريخي بين الإسلام والكفـر، وما أشـرنا إليه في النـقطتين السابقتين هو مجمل هـذه الحقيقـة الكبـرى التي تستحق تـفصيلاً أكثر وأكثر.. وأهم من ذلك تحتاج إلى مناهج وخطط عـملية في مجاهدة أعداء الله تـنقلها إلى حيِّـز التأثير العملي في مجريات هذا الصراع التاريخي.

* * *

الفصل الرابع

معطيات وثمار

من الممكن استنباط العديد من المعطيات المهمة لقضية سلمان رشدي من خلال الفصول الثلاثة السابقة التي استعرضنا فيها أبعاد المؤامرة أو الحركة الجديدة الأوسع التي بدأتها القوى المعادية ضد الوجود الإسلامي والقيم الإلٰهية، وكذلك من خلال مجريات الموقف الاسلامي الحازم تجاه الخطوة الأُولى من هذه الحركة الجديدة، والموقف المضاد المضطرب الذي اتخذته القوى المعادية تجاه هذا الموقف الاسلامي الحازم، وفي هذا الفصل سنعمد إلىٰ تثبيت جانب من تلك المعطيات التي استنبطناها من مجريات الخطوة الأُولى من حركة الإساءة الجديدة للمقدّسات والقيم الإلٰهية، مع تثبيتنا في البداية لثلاث ملاحظات رئيسية في هذا الصدد:ـ

الملاحظة الأُولى:ـ هي أن اهتمامنا انصبّ بالدرجة الأُولى على المعطيات ذات الأثر العملي والمرتبط مباشرة بقضايا الصراع التاريخي بين المدافعين عن قيم العدالة الإلٰهية وأعدائها باعتبار الأولوية التي نرى ضرورة تخصيصها لهذه القضايا بالذات. من هنا لم نتطرق إلى العديد من المعطيات المهمة خارج نطاق هذه القضايا. فرغم أن حركة الإساءة الجديدة بحد ذاتها ترتبط مباشرة بهذا الصراع، إلّا أنّها تحمل معطيات خارج نطاق دائرة القضايا المتعلّقة مباشرة بمسار وحركة ذلك الصراع التاريخي، منها على سبيل المثال المتعلق بطبيعة الحركة الفكرية والأدبية في العالم الغربي ذاته، وطبيعة الحالة القيمية التي آل إليها في ظل الحضارة

المادية التي تحكمه، ومعطيات كهذه تحمل قيمة حضارية مهمة أيضا تشكل دوافع لاستكشافها وفتح ملفها.[1]

الملاحظة الثانية:ـ هي أنَّ المعطيات التي سنشير إليها تمثل رؤوس أقلام ومجملات تحتاج إلى المزيد من التفصيل والمزيد من البحث الذي لا تسعه هذه المحاولة، كما أنها متعلِّقة بمجريات الأشهر الأُولى من بدء حركة الإساءة الجديدة، لذا فإنَّ الحوادث الآتية والمرتبطة بهذه القضية تحمل ولاشك معطيات جديدة جديرة باستقرائها والبحث فيها، فالصراع مستمر، وتيار الإحياء الجديد لازال في خطواته الأُولى من درب مجاهدة دنيا الاستكبار.

الملاحظة الثالثة:ـ وعلى ضوء الملاحظتين السابقتين فإننا وبالإشارة إلى المعطيات التي يتضمَّنها هذا الفصل لاندَّعي بأنَّ جهدنا أكثر من فتح الباب أمام استقصاءٍ جادٍّ ومعمَّقٍ لمعطيات القضية موضوع البحث وترتيب الآثار العملية على ضوئها، وهو موضوع يحوز بلاشك على درجة كبيرة، من الأهمية خاصة في الواقع المعاصر، حيث تحتدم المواجهة بين المدافعين عن القيم الإلٰهية، الساعين لنشرها عالميا وأعدائها الساعين إلى قتلها و إطفاء نورها و إبقاء البشرية في ظلمات طاغوتيَّتهم.

---

١ ـ ومن المفيد هنا أيضا دراسة تأثيرات الدور الصهيوني ونشاطات المؤسسات اليهودية الخفية والعلنية في مسار الحركة الفكرية والأدبية في العالم الغربي. فهناك العديد من القرائن على فاعلية هذا الدور، كما أن «برتوكولات حكماء صهيون» تتضمن العديد من الإشارات الصريحة للأهداف الصهيونية في سوق هذه الحركة باتجاه تدمير القيم الأخلاقية في المجتمع الغربي، بل وعموم المجتمعات غير اليهودية، وقد أشرنا في فصل سابق إلى بعض جوانب الدور الصهيوني في قضية سلمان رشدي نفسه وكتابه، ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن إشاعة (الأدب المبتذل) هي احد الأساليب التنفيذية التي أشارت اليها تلك (البرتوكولات) الشهيرة كوسيلة لتدمير القيم الأخلاقية في المجتمعات غير اليهودية.

«دليل حياة قلب التجربة»

لنبدأ عملية البحث عن المعطيات من بدايات حركة الإساءة الجديدة عبر الإعداد لنشر رواية «الآيات الشيطانية»، فكما أشرنا سابقا فإن تاريخ نشر مؤسسة (فايكنغ ــ بنغوين) للرواية هو نهاية شهر أيلول ١٩٨٨ (١٩٨٨/٩/٢٦) ويبدو أنَّ أنباء عزم المؤسسة على نشر هذه الرواية قد سربت قبل هذا التاريخ عن قصد بلاشك[١] كما سرِّب موضوعها أيضا وهذا مايمكن استنباطه مما نقلته الوكالات في أواسط شهر أيلول من أن عضو مجلس العموم البريطاني المسلم (سيد شهاب الدين) قدشنَّ حملة استهدفت منع نشر كتاب «الآيات الشيطانية» وحظره في الهند (صحيفة الهلال الدولي الصادرة في لندن ١/١٥ نيسان ١٩٨٩).[٢]

وبناءً على ذلك فإنَّ بدء الغرب بتنفيذ حركة الإساءة الجديدة جاء بعد فترة وجيزة من إعلان الجمهورية الاسلامية عن الموافقة على القرار الدولي ٥٩٨ (١٩٨٨/٧/١٨) ووقف إطلاق النار على جبهات الحدود الإيرانية العراقية (١٩٨٨/٨/٢١) وانتقال الدولة الاسلامية الى مرحلة اعادة البناء والاعمار، ومعالجة الخسائر التي سببتهاسني الحرب الثماني، وهي بلاشك مهمة جسيمة تحتاج إلى تكثيف الجهود وتوجيهها باتجاه الإعمار، وبالنسبة لأيِّ دولة في العالم تحتاج مرحلة كهذه إلى حالة من الاستقرار والعلاقات الهادئة مع الدول الأُخرى تمكِّنُ الدولة المعنيَّة

---

١ ــ لعل الهدف من عملية التسريب هو قياس حجم ردود الفعل الاسلامية تجاهها لاتخاذ الخطوات التطويقية اللازمة، إذ انَّ مجريات نشر الرواية تكشف عن وجود إصرار كامل على نشر الرواية رغم كل التحذيرات (كما تقدم الحديث عن ذلك مفصلا).

٢ ــ كما صدر العديد من الاعتراضات من الجمعيات والاتحادات الاسلامية في بريطانيا طالبت حكومة تاتشر للتدخل لوقف نشر الرواية قبل المباشرة بطبعها.

من النهوض بمتطلبات الإعمار هذا حتى في حالة افتراضنا آستغناء تلك الدولة عن المشاركة الأجنبية في عمليات الإعمار، أمّا في حالة آحتياجها لهذه المشاركة فالأمر يستلزم أكثر من علاقات هادئة أو آنعدام حالة المواجهة والتوتر فيها، فيفترض مع وجود هذه الحاجة أن تكون العلاقات أكثر من منفتحة خاصة مع الدول الغربية التي تمسك بايديها زمام حركة الاقتصاد العالمي ورساميله ومعظم وسائل تكنولوجيا الاعمار والبناء التي تحتاج اليها دول العالم الثالث خاصة، وكلُّ هذه تعتبر من بديهيات المعادلات السياسية الحاكمة على عالمنا المعاصر، ويبدو أنَّ الغرب الاستكباري قد سعى إلى تطبيق نفس هذه المعادلات على إيران الإسلامية، فبنى حساباته الجديدة على أن إيران الموافقة على القرار الدولي ٥٩٨، و إيران مرحلة الإعمار والبناء وتلافي الخسائر الجسيمة التي سبَّبتها لها الحرب، لن تكون على استعداد لمواجهته بتلك الحدّيَّة في حالة بدئه بتنفيذ خطوات المؤامرة الشاملة لاستئصال الدين والقيم الإلهية والاسلام بالخصوص، خاصة و إن المتسلِّلين إلى داخل التجربة الإيرانية من عملائه وأقطاب مايسمّيه بالخط المعتدل قد آزداد نفوذهم وتأثيرهم بعد بروز ماتوهّمه بحالة الإحباط للخط الثوري التي سببتها الموافقة على القرار الدولي ٥٩٨ وبالتالي انحسار نشاط هذا التيار بفعل حالة الاحباط ـ تلك على حدّ مدعيات التحليلات الغربية ـ من هنا توهّم الغرب أنَّ الظروف السياسية مواتية لبدء تنفيذ تلك المؤامرة دون أن يواجَه بموقف مضادٍّ قويٍّ من قبل الجمهورية الاسلامية يلتف حوله الاسلاميون في العالم، إذ انَّ موقفا قويّاً يسبب لإيران «مرحلة الإعمار» مشاكل جمة لاطاقة لها بتحمُّلها، كما أن للمتسلِّلين دورهم في ثنيها عن هكذا موقف قوي من شأنه أن يعرقل عمليات الإعمار والبناء التي تحتاج فيها إلى علاقات هادئة مع الدول الأُخرى يوفر الاستقرار اللازم توفره لإنجاز تلك العمليات،

فضلاً عن ضرورتها لمشاركة الدول الأُخرى فيها.

في بيـانه التاريخي لـعلماء الاسـلام (١٥/رجب/١٤٠٩) يشير قائد الامة الاسلامية (رضوان‌الله تعالى عليه) إلى هذه الأوهام فيقول:ـــ

«لعل الأعداء يتوهمون أنـنا أصبَحنا في حاجـة إليهم لدرجة أن نلتزم الصمت تجاه إهانة عقائدنا ومقدساتنا الدينية».

ومما يؤكد اعتمـاد الـغرب في حساباته بشأن نشـر روايـة «الآيات الشيـطانية» على أوهام هذه الـتحليلات هو كثـرة تركيزه فور إعلان الإمام الخميني لفتواه التأريخية، على قضية قطع العلاقات مع إيران وبالذات قطع العلاقـات الاقتصادية مـعها[1] فـواضح أنَّ التركيز على هـذا الجانب بالذات مبنيّ على نـفس تـلـك الحـسابات، إذ توهم الـغـرب أنَّ هـذه التهـديدات وخـاصة مـع التـركيز على الجنبـة الاقتصـاديـة كفـيلـة بـإجبـار الجمـهورية الاسلاميـة على التـراجع عن المـوقف الخـميني، ودفعـها لـلتفكير بمتطـلبات الإعمـار حسب التحلـيلات الغربية، و إلى هذا المعنى والحسابات الخاطئة بشأنـه يشير الإمام القائد (رضـوان‌الله تعالى عليه) في جانـب آخر من بيانه التاريخي المذكور حيث يقول:ـــ

«لعل الاستكبار الغربي قد توهَّم أننا سنتخاذل بمجرد التلويح باسم السوق المشتركة والمحاصرة الاقتصادية، ونغضُّ النظر عن تنفيذ حكم ربِّنا العظيم».

ويعزز حقيقة كون أنَّ تلك المواقف لم تكن جدِّيَّـة، (وأن الغالب عليها هو الجنبة التهـديدية، بناءً على تلك الحسـابات)، سرعة تراجع الدول الغربية عـن قرارها بسحب ممثليها الدبلوماسيين، وعدم إقدامها على إجراء عملي جديٍّ على هـذا الصعيد. فـعلى العكس كانت الجمهـورية الاسلامية

---

١ ـــ يراجع الفصل الثالـث وملابسات الموقف الغربي المضـاد لإعـلان الامام للحكم للقرآني بشأن نشر «الآيات الشيطانية».

هي المبادرة لقطع العلاقات السياسية عمليا مع بريطانيا، وهي المبادرة الى تحديد العلاقات الاقتصادية معها.[1]

ويبدو أن الغرب وعلى ضوء تلك التحليلات كان يفكر بإمكانية تمرير الخطوة الأُولى من المؤامرة مع غياب الجمهورية الاسلامية ودورها الحازم في الدفاع عن الاسلام، وكان يعتقد بقدرته على استيعاب وتطويق ردود فعل الإسلاميّين تجاه حركة الإساءة للمقدسات الإلٰهية.

موقف الامام الخميني الحازم تجاه هذه المؤامرة نسف كل تلك التحليلات الغربية التي روّجت لها وسائل الدعاية المعادية طويلا، وبالتحديد منذ الموافقة الإسلامية على القرار الدولي ٥٩٨، وشنّت عبرها حربا نفسية مكثّفة ضد الإسلاميّين في أنحاء المعمورة، ساعية للإيحاء (بأنّ إيران الثورية قد تمّ تقليم أظافرها وإخضاعها للمعادلات السياسية الدولية، وأنها لم تعد على استعداد لمواجهة النظام الدولي دفاعاً عن الإسلام) وما إلى ذلك.

الموقف الخميني الحازم بقدر ما أثبت حياة مركز التجربة الإسلامية المعاصرة وقاعدتها الرئيسية فإنّه أثبت قدرة هذه القاعدة على تعبئة الجهد الاسلامي ليس في داخل إيران فقط بل وفي خارجها أيضا في مسيرة الدفاع عن القيم الإلٰهية ومجاهدة كلاقطبي الاستكبار الدولي، فبعث الموقف الخميني الحازم الروح المعنوية لدى الاسلاميين، وأحبط آثار حملات الدعاية المضادة تلك، وأثبت أنّ الجمهورية الاسلامية مازالت وستظل ثابتة على مبادئها الأساسية في الدفاع عن الاسلام ومقدساته،

---

١ ــ بتاريخ ٢٥/شباط/١٩٨٩ ألغت الجمهورية الاسلامية معرضا اقتصاديا كان مقرّراً إقامته في طهران بمشاركة خمسين شركة بريطانية كما بادرت إلى الغاء زيارة كان مقرّراً ان يقوم بها وفد اقتصادي إيراني إلى ألمانيا الغربية وفق ماتقرر خلال زيارة وزير الخارجية الألماني لطهران عام ١٩٨٨ وبعد وقف إطلاق النار.

وتهشيم ركائز النظام الدولي الظالم، و إن قضية الموافقة على القرار الدولي لا تعدو أن تكون خطوة اَقتضتها مصلحة النظام الاسلامي ومصلحة الاسلام العليا، فهي خطوة على نفس الطريق الجهادي الذي تبنَّته الجمهورية الإسلامية منذ البداية وليست خطوة انعطاف عن هذا الطريق المقدس، وقد تناولنا في الفصل الثاني العديد من نماذج الخطوات العملية التي اَتخذها الإمام والجمهورية الاسلامية والتي تثبت هذه الحقيقة. لذا نكتفي هنا بالإشارة إلى أنَّ جميع البيانات التي أصدرها قائد الثورة الاسلامية بعد فتواه التاريخية تضمنت التأكيد على حقيقة ثبات الجمهورية الاسلامية على مجاهدة النظام الدولي الظالم، وهذه ملاحظة لها مدلولاتها المهمة، ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض فقرات من تلك البيانات.

يقول (رضوان‌الله تعالى عليه) في بيانه التاريخي لعلماء الإسلام الذي أعقب فتواه التاريخية بأُسبوع:ـــ

«إنَّني أُعلنها صراحة لكل من له يدٌ في الإذاعة المسموعة والمرئية والصحافة وحتى أُولئك الذين قديردِّدون أقاويل الآخرين أُعلنها صراحة أنَّني مادمت حيّاً فلن أسمح بوقوع الحكم بأيدي الليبراليِّين، ومادمت موجوداً فلن أسمح للمنافقين بتدمير إسلام الجماهير التي لامأوى لها. ومادمت حيا فلن اعدل عن مبادئ اللّاشرقية واللّاغربية، ومادمت حيّاً فسأقطع أيدي أميركا وروسيا في كافة المجالات».

وفي بيانه بمناسبة ذكرى النصف من شعبان يقول (رضوان‌الله تعالى عليه) مؤكدا الثبات على المبادئ الأساسية للثورة الاسلامية وأشد من ذي قبل بحكم طبيعة وشراسة وشمولية المؤامرات الجديدة للقوى المعادية فيقول (رض):ـــ

«على المسؤولين أن يقفوا أقوى من أيِّ وقت مضى وبكامل قواهم

دفاعا عن الاسلام بوجه اعتداءات ناهبي العالم سواء العسكرية منها أو السياسية والثقافية، إذ أنَّ العالم الاستكباري ــ ولاسيَّما الغربي ــ قد أدرك اليوم عمق خطر تنامي تيّار الإسلام المحمَّدي النقيِّ على مطامعه غيرالمشروعة فالشرق والغرب يدركان جيّداً أنَّ الاسلام هو القوة الوحيدة القادرة على طردهما من الميدان».

وفي نفس البيان آنف الذكر يقول (رضوان الله تعالى عليه) مؤكداً المعنى نفسه:

«إنَّ الدفاع عن الاسلام وعن حزب الله هو الأساس المبدئي الثابت لسياسة الجمهورية، وهو الأساس الذي لايمكن المساس به».

وقد وردت في هذا البيان تأكيدات عديدة على البعد العالمي للثورة الاسلامية الايرانية، ومسؤولية الجمهورية الاسلامية في تأسيس الحكومة الاسلامية العالمية، سنشير إليها في الفصل الخامس عند حديثنا عن متطلبات المرحلة الراهنة. أمّا هنا فنشير إلى المقطع التالي من البيان المذكور حيث يمثل ذروة البلاغة في تصوير صلابة الموقف الإسلامي في تحدي النظام الدولي الظالم وثباته و إصراره على هذه المواجهة مهما كان الثمن. يقول قائد الأُمة الاسلامية (رضوان الله تعالى عليه): ــ

«ومرَّةً أُخرى أطلب من كبار المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية أن لايخشوا من أيِّ شيءٍ ومن أيِّ كان سوى من الله العظيم، وليشُدُّوا أحزمة العزم ولايتخلَّوا عن مقارعة ومجاهدة الرأسمالية الغربية وفحشائها وفسادها، ولاعن مقارعة ومجاهدة خواء الشيوعية وعدوانها فنحن لازلنا في الخطوات الأُولى في طريق جهادنا العالمي ضد الشرق والغرب... ومم الخشية؟!

فهل الأمر أكثر من أن نهزم ظاهريا أمام غزاة العالم فنباد؟!

وهل الأمر أكثر من أن يطرحونا أمام العالم كمثال للوحشية والتحجُّر؟!

وهل الأمر أكثر من أن يسعوا لسحق عزة الاسلام والمسلمين عبر عملائهم القتلة والمنحرفين المتسلّلين إلى المواقع والمراكز والمحافل؟!

وهل الأمر أكثر من أن يصعد إلى أعواد المشانق الأعزّاء أبناء الاسلام المحمدي الأصيل في أرجاء المعمورة؟!

وهل الأمر أكثر من أن تساق النساء وأطفال حزب الله أُسارى في هذا العالم؟!

فدع عالم الماديات الخبيث يفعل بنا كل هذا، ولكن لننهض نحن بتكليفنا وواجبنا الإسلامي».

فكيف يهزم من يجاهد بهذه الروح الإلٰهية الصلبة؟

وكيف يمكن أن ينحرف قيد أنملة عن مبادئه الاساسية؟

هذه الروح هي التي تقود التجربة الاسلامية المعاصرة وقاعدتها المركزية (الجمهورية الاسلامية)، فكيف تسمح بانحرافها عن مبادئها الاساسية وصاحب هذه الروح يتصدى حتى لطرح التحليلات أيّاً كان نوعها اذا ما أدت ولو الى الايحاء بعدول الجمهورية الاسلامية عن مبادئها الجهادية؟

في بيانه إلى علماء الاسلام يقول قائد التجربة المحمدية المعاصرة (رضوان الله تعالى عليه):—

«على صعيد الإعراب عن وجهات النظر والآراء لاينبغي أن نفعل ذلك بصورة خاطئة تجعل الأعزَّاء في حزب الله يتصوَّرون أنَّ الجمهورية الاسلامية أخذت تعدل عن مواقفها المبدئية».

ويقول (رضوان الله تعالى عليه) في مكان آخر من نفس البيان:

«إنّني أنصح أولئك الذين يتّهمون — عن جهل — شعبنا النبيل العزيز بالإعراض عن المبادئ والثورة وعن علماء الدين المجاهدين، أنصحهم بالتدقيق والتفحُّص في أقوالهم وكتاباتهم فلايحمِّلوا الثورة وجماهيرها

استنتاجاتهم وتصوّراتهم السقيمة».

وواضح أنَّ المخاطب في هذه الفقرة هم بعض الاسلاميين الذين تأثروا بتلك التحليلات الغربية الخاطئة، ولو لم يكونوا من الاسلاميين لما نصحهم (رض) بالتدقيق والتفحص وعلى هذا فهو (رض) وفي نفس الوقت الذي لايجامل أحداً فيما يتعلّق بثبات الجمهورية الإسلامية على مواقفها المبدئية يسعى لإغلاق كافة أبواب تسرُّب تشكيكات وسائل الدعاية المضادة أيّاً كان شكلها. وانطلاقا من هذا المبدأ عمد (رض) في نفس البيان آنف الذكر الى نسف الاساس الذي استندت إليه تلك التحليلات الخاطئة والحسابات الغربية التي استندت عليها، وهو موضوع الموافقة الاسلامية على القرار الدولي ٥٩٨ فيضعه في إطاره الصحيح، ويوضح منطلقاته الحقيقية، قاطعاً الطريق على تلك التحليلات السقيمة، فيقول (رضوان الله تعالى عليه) في البيان المشار إليه:ـــ

«إنَّنا حاربنا قياما بواجبنا الشرعي أساسا، والنتيجة كانت أمراً ثانويّاً. إنَّ شعبنا عندما رأى توافر الاستطاعة لديه على الحرب نهض بواجبها، وطوبى لأُولئك الذين لم يرتابوا حتى النهاية وعندما رأى هذا الشعب ان مصلحة الثورة وديمومتها واستمرارها هي في الموافقة على القرار الدولي وأذعن لهذه الموافقة فقد عمل بتكليفه أيضا، فهل يقلق من يعمل وفق مايقتضيه واجبه الشرعي؟»[1].

---

١ ـــ في بيانه التاريخي المعنون إلى مراجع الاسلام وعلمائه خصص الامام رضوان الله تعالى عليه فقرة طويلة لتقييم معطيات سني الحرب الثماني، من المفيد أن ندقق النظر فيها. يقول رضوان الله تعالى عليه متحدثا عن الانجازات الحضارية للحرب:ـــ

(لقد كانت لنا في كل يوم من أيام الحرب ثمرة مباركة، انتفعنا بآثارها في جميع المجالات ففي الحرب صدرنا ثورتنا للعالم، وفي الحرب أثبتنا مظلوميتنا وبشاعة ظلم المعتدين، وفي الحرب أزلنا القناع عن أوجه ناهبي العالم وكشفنا حقيقتهم التضليلية وفي الحرب عرفنا من هم أصدقاؤنا ومن هم أعداؤنا

◄

فالقضية هي قضية الثورة واستمرارها، والدافع لاتخاذ قرار الموافقة هو ضرورته لديمومة الثورة فهو علامة الاستمرارية وليس العكس، والقضية هي قضية الواجب الشرعي في الحفاظ على الثورة واستمرارها والقيام بهذا

ونحن في الحرب حطمنا هيبة كلتا القوتين العظميين ـ الشرقية والغربية. نحن في الحرب عززنا دعائم وجذور ثورتنا الاسلامية المباركة. نحن في الحرب أثبتنا لشعوب العالم عامة والمنطقة خاصة إمكانية الصمود والاستمرار لسنين متمادية في مواجهة جميع القوى السلطوية، والقوى الكبرى كافة).

أمّا عن معطيات ملحمة الدفاع المقدس في بعث روح المقاومة والجهاد الاسلامية فيقول رضوان الله تعالى عليه: ـ

(إنَّ حربنا هي التي ساهمت في انتصار افغانستان، وستساهم في انتصار فلسطين المغتصبة وفتحها إنَّ حربنا هي التي جعلت كافة أقطاب الأنظمة الفاسدة يحسون الذلة في مقابل الاسلام.

حربنا هي التي أوجدت الصحوة في باكستان والهند.. وما أضيق أُفق الذين يتوهّمون أنَّ عدم وصولنا إلى الهدف النهائي في الجبهات يعني أنْ لافائدة من درع الشهادة والبسالة والتضحية والفداء، في حين ان صوت التوجّه إلى الإسلام في أفريقيا هو نتيجة حربنا في الأعوام الثمانية، و انَّ تطلُّعَ شعوب أُوربا وأميركا وآسيا وأفريقيا وكل شعوب المعمورة، هذا التطلُّع للاسلام ومعرفته هو من ثمار حربنا في الأعوام الثمانية).

أمّا على الصعيد الداخلي، فقد تحدث (رض) عن جانب من معطيات الملحمة المقدسة فقال: ـ

(في حربنا توصّلنا إلى ضرورة أن نعتمد على أنفسنا ونقف على أرجلنا، نحن في الحرب عمّقنا شعور الأُخوّة وحبّ الوطن في وجدان كل فرد من جماهيرنا.

وفي الحرب وحدها حققت صناعاتنا العسكرية كل هذا التطور، والأهم من ذلك هو أنّه في ظل الحرب ظلت حية اندفاعة روح الاسلام الثوري، وكل هذه هي من الثمار المباركة التي جاءت بها الدماء الزكية للشهداء الأعزّاء خلال الأعوام الثمانية من المعارك، وكل تلك هي ثمار جهود الأُمّهات والآباء وجماهير إيران الأبيّة خلال عشرة أعوام من مقارعة أميركا والغرب، وروسيا والشرق).

الواجب حتى لوكان بمثابة «تجرُّع السُّمِّ» هو بحد ذاته أقوى دليل على سلامة التجربة والتزامها ـــ مهما كان الثمن ـــ بالأسس الشرعية التي قامت عليها، والأهداف الإلٰهية السامية التي تفجرت من أجل تحقيقها.

وبنفس اللّغة الصريحة التي يتحدّث بها قائد الأمة الاسلامية (رضوان الله تعالى عليه) عن بواعث ومنطلقات تلك الموافقة؛ يتحدّث صراحة عن حضارية الحرب بين هذه التجربة المحمدية وأعداء القيم الإلٰهية واستمرارية هذه الحرب فيقول في ذات البيان: ـــ

«بفضل الله عزّ اسمه، لم نُغلَبْ ولم نُهزَمْ على أيِّ صعيد، وحتى في الحرب، فإنَّ النصر هو حليف شعبنا إذ لم يحصل الأعداء ـــ من فرضهم الحرب ـــ على شيء، على الرغم من كلِّ هذه الخسائر. بديهي لوكانت قد توافرت لدينا الوسائل اللازمة لكنّا قد تطلعنا لأهدافٍ أسمى وأكبر، وحقّقْنا هذه الأهداف، ولكن هذا لايعني أنّنا غُلبنا في هدفنا الأساسي، أيْ في صدّ العدوان وإثبات صلابة الإسلام وصموده...».

وبعد أن يتطرق (رض) إلى معطيات سنيِّ الحرب الثماني على الصعيدين الداخلي والخارجي يقول الامام رضوان الله تعالى عليه: ـــ

«إنَّ حربنا كانت حرب الحق ضد الباطل، فلا نهاية لها. حربنا كانت حرب الفقر ضد الترف حربنا حرب الايمان ضد الخسة، وهذه الحرب مستمرة منذ آدم إلى نهاية الحياة».

واستمرار هذه الحرب المقدسة يستلزم على الدوام الجهاد ومتطلباته، والتضحية وروحها، والشهادة وأبطالها، والصلابة في الدفاع عن الحق والقيم العادلة، وموقف الامام المبدئي الشجاع تجاه حركة الإساءة الاستكبارية دليل على استمرار هذه الحرب المقدسة والروح الجهادية الرائدة.

«العلاقة المصيرية»

مابين نشر رواية «الآيات الشيطانية» (٢٦/ايلول/١٩٨٨) (من قِبَلِ دار بنغوين) و إصدار الإمام الخميني لفتواه التاريخية التي تضمنت الحكم الشرعي بحق مؤلفها وناشريها، هناك أكثر من أربعة أشهر ونصف، هذه الفترة شهدت جملة من النشاطات والتظاهرات احتجاجا على نشر هذه الرواية، تصدَّت لها الجالية الاسلامية في بريطانيا، وقد وصلت إلى درجة إحراق نسخة من الرواية بطريقة استعراضية من قبل المسلمين في مدينة (برادفورد البريطانية) (١٤/١/٨٩)، كما تحرَّكت المؤسسات والجمعيات الاسلامية في بريطانيا وقامت بعدة نشاطات لمنع نشر الكتاب على مدى الأشهر الأربعة تلك، و إقناع المسؤولين البريطانيين بتوسيع نطاق قانون حظر نشر الكتابات المسيئة للدين المسيحي ليشمل الدين الاسلامي أيضا، إلّا أنَّ هذه الجهود لم تثمر شيئا[1] بل العكس تحولت في بعض الأحيان إلى أداة بيد الحكومة البريطانية للالتفاف وامتصاص ردود الفعل الغاضبة التي أبدتها الجالية الاسلامية في بريطانيا تجاه هذه الإساءة الوقحة والنشاطات الاحتجاجية التي مارستها ضدَّها، وفي أحيان أُخَرَ تحولت تلك الجهود التوسطية إلى أداة بيد مؤسسات الإسلام الرسمي أو الحكومات التي تتبنَّى هذا الاسلام الحكومي الشكلي لتبرير معارضتها النشاطات الاحتجاجية ضد هذه الإساءة، أو لتبرير

---

١ ــ في ١١/١١/٨٨ ردت تاتشر على طلبات تلك المؤسسات بصورة حازمة وأعلنت ان (ليس ثمة أسباب للملاحقة القضائية) وجاء هذا الرد بعد أن سعت تلك الجمعيات لملاحقة الكتاب والكاتب عبر القضاء البريطاني، ونذكِّر بأن أحد أبرز وجوه (هيئة كبار العلماء السعودية) عبدالعزيز بن باز كان قد طالب مرة أخرى وبعد إعلان الفتوى الخمينية الحازمة بمحاكمة رشدي أمام المحاكم البريطانية.

تقاعس هذه الحكومات أو تلك المؤسسات عن اتخاذ إجراء ردعي حازم ضد الإساءة الوقحة للمقدسات الإسلامية، يوقف أو يحدُّ من نطاق ترجمة ونشر تلك الرواية المبتذلة.

وعلى مدى الأشهر الأربعة الأُول لم تتجاوز دائرة النشاطات والتظاهرات الاحتجاجية ضد حركة الإساءة هذه حدود بريطانيا، ولم تنتقل حتى إلى الجاليات الإسلامية في الدول الأُوربية القريبة من بريطانيا، رغم أنها استطاعت أن تكسر بعض الشيء جدار التعتيم الاعلامي الذي فرض على تلك الاحتجاجات، وفي الشهر الخامس تمكنت تلك النشاطات الاحتجاجية من الانتقال إلى الهند والباكستان بحكم انتماء مؤلف الكتاب العرقي إليها، ولكون غالبية الجالية الإسلامية في بريطانيا تعود لأُصول هندية أو باكستانية ووجود قنوات ارتباط مستمرة بين تلك الجالية والهند والباكستان، يضاف الى ذلك وجود فروع لمؤسسة (بنغوين) فيها وانتشار عزمها على نشر هذا الكتاب المبتذل فيها باللغة الانجليزية ثم نشره بالأُوردية بعد ترجمته اليها.

أمّا على صعيد ردود الفعل الرسمية تجاه هذا الكتاب فلم تتجاوز طيلة الأشهر الأربعة التي تلت نشر الكتاب ـــ وعلى الرغم من أن العزم على نشره كان معلوما حتى قبل ذلك ـــ لم تتجاوز قرارات بمنع دخوله الى بعض البلدان القليلة[1] وهذه القرارات كان بالامكان الالتفاف عليها إذا ماكان المخططون لحركة الإساءة قد نجحوا في تمرير الحركة. والملاحظ هنا أن ردود الفعل الرسمية هذه لم تتجاوز قرارات منع دخول الكتاب بشيء فلم ترد فيها أدنى أشكال الاحتجاج على الحكومة البريطانية التي رفضت طلبات إيقاف الكتاب ومنعه وأعلنت صراحة ورسميا حتى على لسان

---

١ ـــ بدأتها الهند بتاريخ ٥/١٠/٨٨ بعد فترة وجيزة من نشر الكتاب.

رئيستها مارغريت تاتشر عن تأييدها الكامل لنشر الكتاب، ودون ذلك لم تتضمن ردود الفعل الرسمية أيَّ شكل من أشكال الإجراءات العقابية ضد مؤسسة (بنغوين) المتصدية لنشر الكتاب وتوزيعه عبر شبكة مكاتبها الواسعة.

ونتيجة لذلك فقد أخذت دائرة انتشار الكتاب تتسع تدريجيّاً طيلة تلك الأشهر الأربعة وفي حركة محمومة سريعة معلومة الاهداف. فخلال هذه الفترة القصيرة انتشر الكتاب من استراليا واليابان مروراً بالدول الأُوربية وحتى اميركا وكندا، بل والعديد من دول العالم الثالث أيضا، وكان من المتوقع أن تتَّسع دائرة انتشاره أكثر من ذلك بكثير لولا أن تصدَّى الإمام الخميني والجمهورية الاسلامية مباشرة لحركة الاساءة هذه.

وفي قبال مجريات هذه القضية قبل الموقف الخميني وتبنّي الدول الاسلامية لمواجهة حركة الإساءة هذه لنلاحظ مجريات ماطرأ على هذه القضية خلال شهر واحد فقط من تاريخ إعلان الفتوى الخمينية أي أقل من ربع الفترة السابقة: —

أولا: استطاع الموقف الخميني الحازم نقل القضية من دائرة الجالية الإسلامية في بريطانيا وردود الفعل الغاضبة لمسلمي الهندو الباكستان كحد أقصى؛ إلى الساحة الدولية، فكَسَرَ الطوق الإعلامي المفروض عليها بصورة كاملة، وطَرَحَها أمام الشعوب الاسلامية كافة، بل وشعوب العالم أجمع. ومفهومٌ أنَّ لهذه النقلة معطيات كثيرة من الصعب استقصاؤها هنا. وتكفي الاشارة مختصرا إلى أبرزها: نظير تعريف مسلمي العالم — بل عموم الوجود المؤمن بالقيم الإلٰهية — بما يحاك ضد هذه القِيَم من مؤامرات تهدف إلى استئصالها وقتل فاعليتها في الحياة الانسانية، وبالخصوص تعريف مسلمي العالم بحجم وأشكال العدوان التي تتعرَّض لها مقدَّساتهم،

وعمق العداء الاستكباري لديهم، وما الى ذلك من ثمار تحويل تلك القضية إلى قضية عالمية تشخِّص ردودُ الفعل تجاهَها؛ حقيقةَ وهويةَ كافة الاطراف المطروحة على الساحة الدولية، وتوضِّح طبيعة مواقفها الواقعية تجاه الإسلام والقِيَمِ الإلٰهية.

ثانيا: علىٰ العكس ممّا قيل في البداية بأنَّ الموقف الخميني تجاه حركة الإساءة تلك، وتحويله القضية إلى مسألة دولية قد أدّى إلى الدعاية للكتاب والكاتب، وإسماع من لم يسمع بها من قبل[1] فإنَّ هذا الموقف الحازم ٱستطاع الحدَّ بدرجة كبيرة من دائرة ٱنتشار الرواية المبتذلة، سواء في العالم الغربي أو في دول العالم الثالث. وعلى الرغم من بعض الإصرار على نشر الرواية أو مقاطع منها وهو الإصرار الذي أبدته بعض الجهات والمؤسَّسات الاعلامية الصهيونية والغربية المعروفة الاتجاهات، إلّا أنَّ نطاق نشاط هذه الجهات كان محدوداً للغاية ومحكوماً عليه بالفشل في تحقيق أهدافه في ظل الجوالنفسي المضادِّ الذي أوجده الموقف الخميني

---

١ ــ اعتراض أوردته بعض النشرات والشخصيات الاسلامية في بداية الأمر تأثّراً بالضجة التي أثارها الغرب في حماية ودعم سلمان رشدي بعد إعلان الفتوى الخمينية، وبالطبع فإنَّ هذا الاعتراض ضعف إلى درجة كبيرة بعد اتضاح معطيات إعلان الحكم الشرعي وتأثيره في ٱنحسار نشر الرواية المبتذلة، وأهمُّ من ذلك تبيانه لصلابة الموقف الاسلامي الحازم، وآثار ذلك في ردع كل من تسوِّل له نفسه الإساءة للمقدسات الاسلامية، وهذه الثمرة لم يكن بالإمكان تحققها لو عمل بالرأي القائل إنه كان بالإمكان تنفيذ حكم القصاص العادل بحق رشدي دون إعلانه، أمّا من يقول بأن إعلان هذا الحكم قدوفَّر لرشدي حماية امبريالية مشددة تجعل من الصعب الوصول إليه فإنَّه ولاشك لم يتنبَّه لمعطيات إعلان هذا الحكم ودور نفس هذه الحماية في تعريف المسلمين بأعدائهم الحقيقيِّين. أمّا بالنسبة لرشدي الذي لم يظهر منذ إعلان الفتوى الخمينية فيكفي لتصور حالة التدقيق في تعليق «رضا فاضلي» وهو مخرج سينمائي إيراني معارض للنظام الاسلامي، تعرَّض لمحاولة ٱغتيال، وقد قتل ابنه عام ١٩٨٦، حيث قال معلقا على الفتوى (ان سلمان رشدي واجه جحيما ولاشك، فعليه ان يتعلم النظر فوق كتفه، اذا قتلوك تنتهي ولكن بهذه الطريقة فانهم يقتلونك مئات المرات يوميا).

ضدها، بل إنَّ إصرار تلك الجهات نفسه عاد عليها بآثار معاكسة حيث انّه فضح موقفها العدائي المسبق، ألأمر الذي يجعل تأثيرها حتى على القارئ غير المسلم معدوما، ومهما يكن الحال، فإنَّ دائرة نشاط هذه الجهات محدودة للغاية، مقارنة بمجال الانحسار الذي شهدته عملية نشر الرواية، ووصلت الى مستوى إجبار بعض الدول (وحتى الكبرى منها) على التراجع عن قرارات سابقة لنشر الكتاب، نظير ما طرأ على الموقف الروسي الذي أشرنا إليه سابقا، وكذلك نظير موقف هولندا المعروفة بقوة وفاعلية النفوذ الصهيوني فيها، فعلى الرغم من أنها ألغت زيارةً كان من المقرَّر أن يقوم بها وزير خارجيتها لطهران احتجاجا على الفتوى الخمينية، إلَّا أنّها في نفس الوقت اضطرت إلى توقيف نشر الكتاب في هولندا، أو على الأقل اتخاذ قرار رسمي بهذا المعنى، ومطالبة وزير الخارجية الهولندي القضاء الهولندي بتشكيل لجنة لدارسة الرواية والبتِّ في صلاحية نشرها في هولندا[1] أو نظير اضطرار كبرى مؤسسات بيع الكتب في الولايات المتحدة إلى جمع الرواية من معارضها ووقف بيعها حفاظا على أمن موظفيها، وقد اتخذت هذا القرار في ١٩٨٩/٢/١٧ أي بعد ثلاثة أيّام فقط من الفتوى الخمينية[2] وقد تابعتها أو سبقتها في اتخاذ هذا القرار عشرات

---

١ ــ ونفس الشيء يصدق على كندا التي (على الرغم من تأييدها ومتابعتها لدول السوق المشتركة في قرار سحب سفرائها من إيران) أصدرت قراراً بمنع دخول الكتاب إلى كندا وحظره فيها، وكانت أول الدول الغربية التي تتخذ هذا القرار رغم أنَّ وزارة العائد القومي الكندية أكَّدت بأن نشر الكتاب في كندا لايخالف القانون الكندي.

٢ ــ تمتلك دارالنشر (والدنبوك) الأميركية ومركزها الرئيسي نيويورك ١٢٠٠ فرع في اميركا امرت بسحب الكتاب منها جميعا، وقد تابعتها الكثير من دورالنشر الغربية فمثلا اعلنت دور نشر (كيبنهوير اندويج) و (دركيلن هور) و (ويج) وهي من كبريات دور النشر في المانيا الغربية اعلنت في نفس اليوم المذكور (٨٨/٢/١٧) انها صرفت النظر عن قرارها السابق بترجمة كتاب «الآيات الشيطانية» الى اللغة الالمانية وقالت الدور المذكورة في بيان

دور النشر العالمية في العالم، وهذا مايمكن للمراقب ملاحظته من خلال مراجعة يوميات وكالات الأنباء العالمية في تلك الفترة ليكتشف بيسر أنّه وعلى الرغم من بعض مواقف الاصرار الدعائية التي اتخذتها بعض الدول والجهات الغربية أو الصهيونية؛ فإنَّ دائرة نشر الكتاب قد انحسرت كثيراً على المستوى العالمي، في حين انها كانت آخذة بالتوسع المضطرد والمقصود قبل إعلان الفتوى الخمينية، ولو لا هذه الفتوى ماكان بالإمكان تصوُّر انحسار دائرة النشر هذه، وتوقع أن تتراجع الكثير من الدول عن قرارات سابقة بنشر الكتاب، وتعلن رسميا منعه.

ثالثا: حالة التراجع في انتشار الكتاب امتدت أيضا لتشمل مواقف التبنّي الغربي لرواية «الآيات الشيطانية». ففيما كانت مواقف الحكومة البريطانية تجاه الاحتجاجات الاسلامية على نشر الرواية، مواقف عناد و إصرار ورفض كامل حتى للاعتراف بجانب الإساءة في الكتاب (مارغريت تاتشر في ٨٩/١١/١١: ليس ثمة أسباب للملاحقة القضائية[١] والنائب العام البريطاني باتريك ميهيو: الكتاب لم يشكل جريمة جنائية) هذه المواقف تحولت في غضون أُسبوعين من إعلان الحكم الشرعي الحازم من قبل الإمام الخميني، إلى مواقف (تتفهم لماذا شعر المسلمون بالإساءة العميقة بسبب كتاب الآيات الشيطانية) تاتشر في ٨٩/٣/٣، أو إلى مواقف إقرار (بأنَّ الكتاب مسيء) جيفري هاو في ٨٩/٣/٢، بل وامتد التراجع ليشمل موقف مؤلف الكتاب المرتد سلمان رشدي نفسه، فسلمان رشدي الذي كان يواجه احتجاجات المسلمين، بالقول بجرأة بالغة بأن (النبيَّ محمداً ماكان ليعترض على الكتاب) (٢٥/ينايركانون

مشترك انها تخذت القرار لتفادي المخاطر التي تهدد العاملين فيها.

١ ــ نفي اسباب الملاحقة القضائية يعني نفي الإساءة التي تستلزم هذه الملاحقة.

الثاني/١٩٨٨) وسلمان رشدي الذي صرّح في نفس اليوم الذي أُعلنت فيه الفتوى الخمينية من على شاشة التلفزيون البريطاني (بصراحة: أتمنّى لوكتبت كتابا أكثر انتقاداً و إساءة للإسلام)، سلمان رشدي هذا تحوّل بعد أربعة أيام فقط من إصدار الفتوى الخمينية إلى معتذر يُصدِرُ بياناً يعرب فيه عن (أسفه العميق لما سبَّبه كتابه من كرب للمسلمين المخلصين) (١٩٨٩/٢/١٨)[١].

رابعا: أمّا على صعيد الدائرة الاسلامية فقد استطاع الموقف الخميني نقل ردود الفعل الاسلامية الغاضبة تجاه حركة الإساءة لتشمل كافة وجودات المسلمين في أرجاء المعمورة. فعلى مدى الأشهر الأربعة الأُول لم يتعدَّ إطار النشاطات الاحتجاجية الحدود البريطانية، وفي نهاية الفترة تمكّن من الانتقال إلى الهند والباكستان لأسباب اشرنا إليها سابقا، أمّا بعد إعلان الموقف الخميني فقد تحوّلت القضية إلى قضية إسلامية عامة، وامتدت دائرة ردود الفعل الغاضبة لتشمل كافة بقاع العالم التي يستطيع فيها المسلمون التعبير عن آرائهم[٢]، وفضلاً عن ذلك فقد عزَّز وصعَّد الموقف الخميني من موقف الدائرة الأُولى لحركة الاحتجاجات،

---

١ ــ وصفت وكالة رويتر بيان الاعتذار (بأنَّ عباراته اختيرت بدقة فائقة) أمّا وكالة اليونايتيدبريس فكانت قد علَّقت على إصدار البيان بأن (رشدي يهدف كمايبدو الى التخلص من عقوبة الموت التي أصدرها ضده آية الله الخميني).

٢ ــ تأثير الموقف الخميني لم يتوقف عند حدود نقل ردود الفعل الاسلامية الغاضبة تجاه حركة الإساءة لتشمل كافة المسلمين في أرجاء المعمورة فحسب، بل أوجد وعياً إسلامياً ملحوظاً، وصعَّد من الغيرة الإسلامية عند المسلمين على إسلامهم ومقدساتهم بحيث تأهّبوا للردِّ على أيّة إساءة جديدة للمقدسات الاسلامية، كما حصل ذلك في الصين، فبينما يمثل كتابنا للطبع والإخراج قامت في الصين تظاهرات واحتجاجات واسعة النطاق، ضد كتاب دعا فيه كاتبه إلى الإباحة الجنسية، إذ آستمر المسلمون الصينيون في آحتجاجاتهم تلك إلى أنْ أصدرت الحكومة الصينية، قراراً بحظر الكتاب المذكور، وسحبه من المكتبات.

فشهدت تظاهرات المسلمين في بريطانيا آتّساعا كبيراً وقوّةً ملحوظة في الموقف، ونفس الشيء يصدق على تظاهرات مسلمي الهند والباكستان. فمثلاً: فور إعلان الفتوى الخمينية تفجّرت ردود الفعل الإيمانية الغاضبة لتعمَّ إيران بأكملها، وتنتقل إلى لبنان، وتتجدَّد في الهند والباكستان، وتمتدَّ إلى بنجلادش وتشمل الجاليات الاسلامية في دول أُوربا كافة، بل وتنتقل إلى أميركا وكندا واستراليا، وحتى اليابان التي خرجت فيها نهاية آذار (٢٩/٣/٨٩) تظاهرة حاشدة في طوكيو تأييداً لحكم الإمام الخميني بشأن رشدي رُدِّدت فيها شعارات الموت لرشدي، وقد وصفت وكالات الأنباء هذه التظاهرة بأنها الأُولى من نوعها التي تقوم بها الجالية الاسلامية في اليابان تجاه الحوادث المتعلّقة بالعالم الاسلامي، فيما وصف المراقبون السياسيون التظاهرات التي شهدتها تركيا في مدن: اسطنبول ــ وانقرة ــ وبورسا ــ وأزنه ــ (١٤/٣/٨٩) والتي تميَّزت بشعارات عنيفة ضد أعداء المسلمين، وصفوها بأنها أوسع تظاهرات تشهدها تركيا حول حدث إسلامي واحد منذ عقود عدة.

خامسا: وعلى صعيد الموقف الرسمي للبلدان الاسلامية، شهد تطوراً ملحوظا بعد إعلان الفتوى الخمينية، إذ انّه وحيث لم يتجاوز قبل ذلك حدود قرارات هادئة بمنع دخول الكتاب إلى بعض البلدان التي لايتجاوز عددها عدد الأصابع، اتسعت هذه الدائرة لتشمل كافة البلدان الإسلامية بل وبلداناً عديدة غيرها من التي تضم أقليات أوجاليات إسلامية، وأكثر من ذلك فقد اضطرت منظمة المؤتمر الاسلامي إلى إدراج موضوع الكتاب في جدول أعمال مؤتمر وزراء خارجيتها الذي عقد في جدة (١٥/٣/٨٩) بل وضمن أعمال اللجنة السياسية. وهذه هي أول قضية من نوعها تدرج ضمن أعمال اللجنة السياسية للمؤتمر منذ تأسيس المنظمة بعد حادثة إحراق المسجد الأقصى. وقد اضطرت المنظمة إلى إصدار

بيان أيّدت فيه ـــ رسمياً ـــ ارتداد سلمان رشدي، ودعت فيه دول المنظمة إلى مقاطعة مؤسسة بنغوين المتصدّية لنشر الكتاب رغم رفض المنظمة اتخاذ أيّة إجراءات مضادّة لبريطانيا مباشرة، ويقيناً أنّ مثل هذا الموقف ماكانت لتتجرأً عليه منظمة المؤتمر الاسلامي باتجاهاتها المعروفة لولا الظروف الخاصة التي أوجدتها الفتوى الخمينية في عموم العالم الإسلامي، والتي أجبرت المنظمة على رفض الضغوط الانجليزية، وإصدارها لذلك البيان الختامي كحدٍّ أدنى لايمكن أن تتلافى الإحراج أمام الرأي العام الاسلامي بدونه.

ويلاحظ هنا أنَّ هذا الموقف جاء على الرغم من كل الضغوط التي مارستها بريطانيا على السعودية وسائر حلفائها في منظمة المؤتمر الاسلامي لدفعها نحو اتخاذ موقف مضادٍّ للفتوى الخمينية على الأقل فيما يتعلق بحكم القتل لكاتب يحمل الجنسية البريطانية، ورغم إحجام دول الخط الغربي في المنظمة عن الاستجابة لهذا الطلب، إلّا أنّها سعت إلى أن يكون موقفها (موقف موازنة) فهي أيّدت ارتداد رشدي ولم تدعُ لتنفيذ الحدّ به صراحة، وأدانت مؤسسة بنغوين ولم تتعرَّض بشيءٍ للموقف الحكومي البريطاني، ويبدو أن الحكومة البريطانية قد اقتنعت بأنه من المحال أن تطمع بأكثر من هذا الموقف، لاحظ ما كتبته صحيفة التايمز اللندنية بتاريخ (٨٩/٣/١٣) «إنَّ الحكومة البريطانية أبلغت العربية السعودية أن لو اتخذ المؤتمر الاسلامي قرارات عنيفة حادة ضد كتاب «الآيات الشيطانية» فإنَّها ستُلغي زيارة وليعهد بريطانيا للمنطقة، وعلّقت الصحيفة بأنَّ (إجراء هذه الزيارة واستمرارها اثبتا أن الطلب البريطاني قوبل بموقف سعودي متجاوب) وقدقيّمت صحيفة النيوزويك الامريكية نتائج هذا المؤتمر بقولها: (رغم أن الدول الاسلامية الأُخرى لم تقتدِ بالموقف الإيراني ولم تُبدِ استعداداً للمخاطرة بعلاقاتها مع

الغرب ولكن الحصيلة النهائية للمؤتمر لم تكن مريحة لمؤلف «الآيات الشيطانية» حيث أنَّ من حق كل مسلم متطرف أن يقتل سلمان رشدي الآن ومؤتمر الرياض لم يغيِّر من هذا الواقع شيئا».

وكحصيلة لكل ما تقدم يمكن تثبيت النتيجة التالية من عموم مجريات قضية «الآيات الشيطانية» قبل إعلان الموقف الخميني وبعده، وهي أنه لولا الموقف الخميني الحازم تجاه حركة الإساءة، ولولا الموقف الاسلامي العام المستجيب والمؤيد للموقف الخميني الحازم؛ لما كان بالإمكان تحقيق تلك المكاسب الاسلامية، وإحباط حركة الإساءة، وإحداث تلك الحالة الشديدة من الإرباك في موقف القوى المعادية. وعلى ضوء هذه النتيجة تتَّضح مرة أُخرى طبيعة العلاقة بين المسلمين والدولة الاسلامية، وأهمية التنسيق والتعاضد بينهما في تحقيق الأهداف الإلٰهية السامية، وهي علاقة تتأكَّد وتتَّضح فيها مركزيةُ وأساسيةُ دور الجمهورية الإسلامية في الدفاع عن الإسلام وقضايا المسلمين، واستحالة دفع المسيرة الإسلامية إلى الأمام، وإحباط مؤامرات القوى المعادية دون الدور المباشر للدولة الإسلامية في ايران، كما أنَّ لاستجابة المسلمين لتوجيهات القيادة الإسلامية والدولة الإسلامية أثرها الفاعل أيضا في تحقيق الأهداف الإلٰهية وإحباط مؤامرات العرقلة التي تحوكها القوى المعادية، وعلى ضوء ذلك فإنَّ أيَّ انتصار تحققه الجمهورية الاسلامية على قوى النظام الدولي يمثل انتصاراً للمسلمين كافة، يقوِّي جانبهم وشوكتهم، ويعزِّز احترامهم العالمي، وبالمقابل فإنَّ أيَّ هزيمة أو انتكاسة تمرُّ بها الجمهورية الإسلامية؛ تلقي ظلالها النفسية والمعنوية على الإسلاميين في أرجاء المعمورة، بل وتغري أعداءهم ــ في الكثير من الأحيان ــ بتصعيد عملياتهم الإرهابية ضدهم.

وفي ظل هذه العلاقة المصيرية المتداخلة يمكن الاستنتاج بأن

تعرُّضَ الجمهورية الاسلامية للجزء الأكبر من سهام الحرب الشرسة ضد الوجود الاسلامي، إنَّما يعبِّر عن موقعها المركزي في حفظ الوجود الاسلامي، أي إنَّ تلك السهام تستهدف هذا الوجود برمَّته، وبعبارة أُخرى فإن الدفاع عن الجمهورية الاسلامية في مواجهة السهام الاستكبارية إنَّما هو دفاع عن الوجود الاسلامي بأكمله، كما إنَّ خذلانها يعني خذلان الوجود الاسلامي بأكمله.

ومما لاشك فيه أنه كلَّما احتدمت حركة الصراع بين الوجود الاسلامي ـ ممثَّلاً بالجمهورية الإسلامية ـ والقوى المعادية كلَّما تأكَّدت المسؤولية الشرعية على الاسلاميين والمسلمين كافة في ممارسة الآثار العملية لتلك العلاقة المصيرية مع الدولة الاسلامية.

«أصالة الهوية الاسلامية»

من المعطيات الرئيسية ذات الدلالات المهمَّة التي حملها اتساع تجاوب الرأي العام الاسلامي تجاه الحكم القرآني الذي أصدره قائد الأُمة الاسلامية بشأن مؤلف كتاب «الآيات الشيطانية» والمسؤولين عن نشره وتوزيعه، هي أنه أثبت فشل كل حملات التغريب المكثَّفة التي شنَّتها القوى المعادية عامة والغرب الاستكباري خاصة، لإضعاف الحسِّ الاسلامي لدى المسلمين وقتله؛ ضمن جهودها لإبعاد الإسلام عن الفاعلية والتأثير في حياة المسلمين، فعلى مدى أكثر من قرن سعت تلك القوى إلى تجميد فاعلية الإسلام وأحكامه المقدسة، وعزلها عن أيِّ شكل من أشكال التأثير العملي على واقع المسلمين، وقصر علاقة المسلمين بدينهم في حدود التقديس الظاهري الجامد لاأكثر، وعملية التجميد هذه كانت المرحلة الأُولى في الاستراتيجية المعادية لاستئصال الدين والتديُّن، وكان يفترض أن تليها عملية ضرب قدسية الإسلام ورموزه لدى المسلمين

باعتبارها المرحلة الثانية انطلاقا من أنَّ التعرُّض مباشرة لهذه القدسية من شأنه أن يثير ردود فعل عنيفة لدى المسلمين ــ كما حصل بالفعل في العديد من الحالات بداية هذا القرن ــ ويبدو أنَّ القوى المعادية قد شرعت عمليّاً بتنفيذ الخطوة الأُولى من عملية الضرب المباشر لقدسية الإسلام ورموزه، لقطع كافة احتمالات العودة، وذلك عبر قضية نشر كتاب «الآيات الشيطانية» حيث كان مخطّطا لها أن تلحقها خطوات أُخرى أشدُّ خطورة فيما لوكتب للخطوة الأُولى أن تُمَرَّرَ.

ومفهوم أن لجوء الغرب لتنفيذ الخطوة الأُولى تلك يعبِّر عن أنه قد اَطمأنَّ إلى نتائج جهوده على صعيد إضعاف الحسِّ الإسلامي والغيرة على المقدسات الإسلامية لدى المسلمين، ولعل مجريات مجزرة مكة المكرَّمة في ذي الحجة الحرام عام ١٤٠٧ للهجرة[1] قد زرعت لديه الأوهام التي بعثت فيه ذلك الاطمئنان حيث إنه وبما جنَّده من وسائله الدعائية المتشعِّبة اَستطاع إلى حدٍّ ما التعتيم على حقائق انتهاك حرمة الكعبة المعظَّمة ــ أقدس المقدَّسات الإلٰهية ــ ، خاصة و إن الاعلام الإسلامي لم يستطع كسر حجب التعتيم الإعلامي المضادِّ بصورة كاملة، و إطلاع المسلمين على

١ ــ في يوم الجمعة السادس من ذي الحجة الحرام عام ١٤٠٧ وفي حدود الساعة الرابعة من بعدالظهر هاجمت القوات السعودية مسيرة البراءة من المشركين في مكة المكرمة قرب جسر الحجون وبصورة مباغتة، وانهالت في بداية الامر على المشاركين في المسيرة ومعظمهم من الحجاج الايرانيين بالحجارة والعصي الكهربائية والقناني والماء الحار، وأخيراً بالأسلحة النارية. فاستشهد بهذه الجريمة قرابة الخمسمئة من ضيوف الرحمن بينهم تسعة من الحجاج الفلسطينيِّين.. وكان واضحا أن الجريمة مهيَّأً لها مسبقا ضمن خطة أوسع لمحاصرة الجمهورية الاسلامية. وقد جنّدت وسائل الدعاية المضادة للتعتيم على الجريمة وطرحها في البداية كحادث مروري، ثم (مؤامرة ايرانية لاحتلال المسجد الحرام واخذ البيعة للخميني) ورغم التهافت والتناقضات التي ملأت الطرح المعادي للواقعة إلَّا أنَّ كثافة التغطية سببت العديد من مصاديق التضبيب على الرأي العالم الإسلامي.

حقيقة تلك المجزرة الفظيعة التي مثّلت أكبر وأهم ممارسة إجرامية كانت كافية في فضح حقيقة المدافعين عن الاسلام الاميركي والمروّجين له، وتبيان عمق عدائهم للاسلام ومقدساته بصورة لم يكن بالإمكان لأضخم جهاز إعلامي تبيانه مهما بذل من جهود، وحيث إن الغرب الاستكباري قد وجد أنَّ حجم الردود الإسلامية على الجريمة العظمى بانتهاك حرمة أقدس المقدّسات الإلٰهية، (الكعبة المعظمة)، لم تكن بذلك الاتساع الذي يردعه عن القيام بجريمة انتهاك مماثلة. فقد تجرّأ على الإقدام على خطوة أُخرى في مسلسل انتهاكاته المتعمّدة للمقدسات الإسلامية وصولاً إلى هدفه الخبيث في تهشيم مكانتها وقدسيتها في الوجدان الاسلامي على هذه الأرضية، وبملاحظة المعطيات التي توهّمها من موافقة الجمهورية الاسلامية على القرار الدولي ٥٩٨ وتوهُّمه غيابَها عن معترك الدفاع عن المقدسات الإسلامية، انطلق لتنفيذ خطوته الجديدة في حركة الإساءة للمقدّسات، وجلُّ ماكان يتوقعه هو ردود فعل متناثرة تقلُّ كثيراً عن ردود الفعل تجاه جريمته العظمى بانتهاك قدسية الكعبة العظيمة، فكان يتصوَّر أنَّ بإمكانه استيعاب وتطويق ردود الفعل المحدودة هذه، والإجهاز عليها، إلّا أنَّ هذا لم يتحقق، ولم تسر الأُمور وفق ماخططت له القوى المعادية، فالموقف الخميني الحازم والمفاجئ استطاع بقوة وسرعة تعبئة الرأي العام الاسلامي (سنيِّه وشيعيِّه) للدفاع عن المقدسات الإلٰهية وإحباط الخطوة الأُولى من حركة الإساءة، ولم تستطع الدوائر المعادية أن تعتِّم على حقيقة الموقف وطبيعة الصراع مثلما فعلت مع مجزرة الحرم المكي، كما إن الأيدي المتسلِّلة إلى الوجود الإسلامي والواجهات النفاقية فشلت هذه المرة في إثارة البلبلة والتشكيكات تجاه الموقف الإسلامي الحازم، وفي أن تحول دون تأثيراته على الرأي العام الاسلامي برغم كل مابذلته من جهود مكثفة لم تقلَّ بشيءٍ عمّا بذلته خلال مجريات فاجعة انتهاك قدسية حرم الأمن

الإلٰهي، فعلى رغم أمانيها؛ كان ذلك التجاوب الإسلامي الواسع مع الموقف الخميني الحازم، والحكم المحمدي الأصيل الذي أعلنه بشجاعة، وآتساع تجاوب الرأي العام الاسلامي وظهوره عبر نشاطات احتجاجية في كل مكان آستطاع منه المسلمون التعبير عن آرائهم بل ووصوله مستوى التجاوب الى حد الاستعداد للشهادة من أجل الدفاع عن قدسية الرسول الاعظم (ص) وقطع أيادي كل من يتعرَّض لها بالإساءة كالذي حدث في الهند والباكستان و بنغلادش مثلاً قبل إعلان الفتوى الخمينية، وبعدها، كل ذلك أثبت حقيقة أنَّ الغيرة على الإسلام ومقدّساته لازالت حية في الوجدان الاسلامي، وأنَّ جميع جهود القوى المعادية لقتلها قد باءت بالفشل في تحقيق هدفها، حتى و إن بدت مظاهر نجاحها في إضعاف هذه الروح المقدسة فهي قابلة للانطلاق والتعبير عن نفسها في صور شتّىٰ شريطة أن تتصدّى الطلائع الإسلامية لمهمة تبيان أوجه العدوان الاستكباري الظاهرة الواضحة أو المقنَّعة الخفية على الإسلام ومقدّساته.

ومما لاشك فيه أن الظروف القائمة حاليّاً مواتية للغاية لتفجير هذه الروح المقدَّسة وتوجيهها باتجاه تحقيق الأهداف الإلٰهية السامية، و إنقاذ المسلمين من واقعهم المأساوي المعاصر، وأهم هذه الظروف الموضوعية يكمن في ثمار وآثار تجربة الثورة والدولة الإسلامية في إيران وما أحدثته من صحوة إيمانية في أقطار المسلمين، فهذه التجربة تفجَّرت أساسا بدافع من روح الغيرة على الإسلام ومقدّساته، حيث بادر قائدها لمواجهة قانون منح الحصانة القضائية للأميركيّين العاملين في إيران، وهو القانون الذي خول الاميركان الأجانب حق انتهاك أيِّ حرمة من حرمات المسلمين في إيران دون أن يتعرضوا للملاحقة القانونية في إيران. فدفاعا عن حرمات المسلمين وكرامتهم اندفع الإمام (رضوان الله تعالى عليه)

لمواجهة هذا القانون وأعلن أن:

«لو قدّمنا مئة ألف شهيد منّا من أجل إزالة عار قانون الحصانة هذا وإلغائه فالأمر يستحق، لما يمثله هذا القانون من إساءة لكرامة الاسلام والمسلمين»[1].

وبالفعل كان لهذا الموقف الغيور دوره الفعال في إلغاء قانون الحصانة القضائية ذاك ، وأهمُّ من ذلك تفجير تلك الروح الغيورة المقدّسة لدى الشعب الإيراني والتي تجلّت مظاهرها العملية في الاستجابة للمواقف الخمينية الصلبة ضد النظام الطاغوتي التي ٱنطلقت من نفس الأساس ــ الدفاع عن المقدسات والكرامة الإسلامية ــ وفجّرت الثورة، وأسقطت النظام الملكي ــ الانتصار الأول ــ ثم حققت سلسلة الانتصارات المتلاحقة على معادلات النظام الدولي الحاكم الظالمة. فهذه التجربة مثلما أثبتت عمق تأصل تلك الروح المقدّسة في الوجدان الاسلامي وإمكانية تفجيرها مع توافر المواقف الغيورة الصلبة من قبل الطلائع المجاهدة، فإنّها في نفس الوقت تركت آثارها على عموم الوضع الاسلامي، وبعثت فيه ماجعله أكثر ٱستعداداً لتقبُّل جهود الطلائع المجاهدة باتجاه تفجير روح غيرته على المقدّسات الاسلامية، وتحرير طاقاته

---

١ ــ في (١٩٦٤/١٠/١٣) قدمت لائحة الحصانة القضائية للأميركيين العاملين في إيران إلى البرلمان الشاهنشاهي للمصادقة عليها، وفور ٱطّلاع الإمام الخميني عليها تصدّى لها بحزم لما تضمّنته من إساءة صريحة لكرامة المسلمين في إيران، حيث تتيح للكفار ارتكاب ماشاءوا من جرائم بحقهم دون أن يحقّ للمسلمين ملاحقتهم قانونيا في محاكمهم، وقد ألقى الإمام خطابات علنية وأصدر بيانات وُزِّع منها أكثرُ من أربعين ألفاً في طهران وحدها؛ فضح فيها هذه اللائحة، ومقولته الواردة في المتن تعبّر عن عمق إدراكه لما كانت تمثل هذه اللائحة من إساءة للكرامة الإسلامية للشعب الإيراني، وفي نفس الوقت تعبّر عن عمق غيرته على الكرامة الإسلامية، وبسبب موقفه الحازم ــ من هذه اللائحة ــ أقدم نظام الشاه على نفي سماحته إلى تركيا في العام نفسه.

في الدفاع عنها وذلك بتعريفه بأشكال الإساءات المقنَّعة التي تمارسها القوى المعادية ضد المقدَّسات والقيم الإلٰهية؛ بحيث تصبح تلك الإساءات واضحة في أذهان الرأي العام ٱلإسلامي وضوح الإساءة الوقحة التي وردت في رواية «الآيات الشيطانية»، ومفهومٌ أنَّ عملية «التعريف» هذه تحتاج إلى جهد جماعي منسَّق، ومناهج عملية واضحة؛ تحدد الأولويات والأكثر خطورة من ممارسات القوى المعادية ضد الوجود الاسلامي ومقدساته، كما أنَّها تستلزم متابعة جادَّة وواعية لتحركات القوىٰ المعادية لرصد كل ماتُقدِمُ عليه من مؤامرات ضد الوجود الاسلامي، والتصدِّي لها في الوقت المناسب، وٱتخاذ المواقف المناسبة لإحباطها.

(الهدف: كلُّ الوجود الإسلاميِّ)

من المعطيات الرئيسية والمهمة لقضية حركة الإساءة الغربية الجديدة هي أنها قدَّمت دليلاً عملياً مشهوداً حول تاريخية العداء والحقد الاستكباري على مقدَّسات المسلمين كافة وبمختلف مذاهبهم. فالرموز المقدَّسة التي ٱختارها هدفاً لحركة الإساءة ــ في رواية المرتد رشدي ــ كالقرآن الكريم وشخصية الرسول الاعظم (ص) وأمَّهات المؤمنين؛ هي رموز يُجمِعُ المسلمون كافة على ٱحترامها وتقديسها ووجوب الدفاع عنها واهدار دم كل من يسيء إليها.

وٱختيار هذه الرموز يعبِّر في جانب منه عن عمق الحماقة المتأصِّلة في العقلية الاستكبارية بحكم انطلاقها من المكر الشيطاني الضعيف، والضعيف جدا مهما تشعبت وسائله وكثرت جنوده، حيث أنَّها بهذا الاختيار تعبِّئُ ضدَّها عموم الرأي العام الاسلامي، والأهمُّ من ذلك هو أنَّ هذا الاختيار يعبِّر في جانب آخر منه عن أنَّ المستهدَفَ من أشكال

العدوان الاستكباري هو الاسلام والوجود الاسلامي برُمَّته لافرق في ذلك بين سنة وشيعة، وبين المسلم في هذا البلد والمسلم في ذاك .

وإذا حدث أن ركَّزت الدوائر الاستكبارية في ممارستها الإرهابية ضد طرف إسلامي معيَّن، وسعت إلى تأليب الأطراف الإسلامية الأُخرى وإثارتها ضده بألف وسيلة ووسيلة، فهي إنَّما تهدف من وراء ذلك إلى تمزيق الجهد الإسلامي، وإثارة المواجهات الداخلية؛ ليتسنّى لها القضاء على ذاك الطرف الاسلامي المعيَّن ــ الذي قد يكون أكثر خطورة مثلاً ــ ثم التوجه إلى الأطراف الإسلامية الأُخرى للإجهاز عليها وعلى هويتها المبدئيَّة.

هذا الاسلوب الاستكباري يمكن بيسر فهم دوافعه، ويمكن أيضا طرح المئات من مصاديق استخدام المستكبرين له في محاربة الوجود الاسلامي من التاريخ البعيد ومن مجريات العصر الراهنة وخاصة خلال العقد الاخير (بعد انتصار الثورة الاسلامية في إيران وتنامي تيار العودة الاسلامية في عموم بلاد المسلمين) ونفس هذه المصاديق تحمل في طياتها أدلّة على حقيقة أنَّ المسلمين كافة هم هدف للدسائس الاستكبارية، فكل مؤمن بالاسلام الرافض للظلم والاستكبار، وكل مسلم يؤمن بأحكام الاسلام الداعية إلى استقلالية الكيان الاسلامي وإنهاء كافة أشكال التسلُّط الأجنبي على ديار المسلمين سواء كانت سياسية أو عسكرية أو اقتصادية، وكل مسلم تكمن في قلبه روح الدفاع عن مقدّساته؛ هو هدف للدسائس الاستكبارية.

لقد أوضح تلاحم الموقف الإسلامي تجاه حركة الإساءة المغربية للمقدسات الاسلامية أنَّ هناك إدراكاً عمليّاً من قبل المسلمين لتلك الحقيقة، وهذا الإدراك العملي تمثَّل في أوضح صورة في فشل المحاولات العديدة التي بذلتها القوى المعادية لتفتيت الموقف الخميني الموحد، وإثارة

الخلاف بشأنه، وهي محاولات اعتمدت بالدرجة الأُولى على محاولة إثارة الحسّ الطائفيّ، وتصوير الفتوى الخمينية بأنّها موقف شيعي، في حين أن موقف شيخ الأزهر ــ مثلاً ــ هو المعبّر عن موقف السنّة، إلا أنّ هذه المحاولات لم تستطع أن تحقق أهدافها، حيث تجلّى الغضب الإيماني في مواقف المسلمين السنة في الهند والباكستان مثلا بنفس الحزم والحدّة التي تجلّى بها في مواقف المسلمين الشيعة في إيران ولبنان.

وهذا الموقف المشترك يشكّل بحد ذاته دعامة أساسية يمكن للإسلاميين تطويرها واستثمارها لتعزيز أواصر الوحدة الاسلامية، والانطلاق إلى المزيد من التنسيق والتعاون بين الاسلاميين ــ من مختلف المذاهب ــ حول محور الدفاع عن الاسلام ومقدساته، وهو ثابت مشترك لايختلف عليه اثنان من المسلمين.

لقد أثبتت مجريات قضية رشدي أنّ أحد أبرز العوامل التي أجبرت الغرب على التراجع عن مواقفه تجاه القضية هو هذا الموقف الإسلامي المشترك المتلاحم على أرضية تأييد الحكم الشرعي الصارم الذي أعلنه الإمام الخميني بحق رشدي والمسؤولين المباشرين عن نشر الكتاب الإلحادي، ألأمر الذي يوضّح مدى فاعلية المواقف الموحدة وعمق تأثيراتها في تحقيق الأهداف الاسلامية المشتركة وتحقيق المصالح الاسلامية.

إنّ نظرة متفحّصة لوقائع الأعوام العشرة المنصرمة من عمر التجربة الإسلامية المعاصرة في إيران؛ تقودنا إلى التوصّل إلى نتيجة على درجة كبيرة من الأهمية، وهي أنّ الجمهورية الإسلامية ــ على الرغم من تبنّيها الكامل لمبدأ توحيد الجهد الاسلامي منذ البداية، وسعيها العملي بهذا الاتجاه عبر الكثير من الخطوات العملية ــ لم تستطع إيجاد موقف عملي موحد للجهد الاسلامي تعبّئه باتجاه هدف موحد، كالذي أوجدته في

مواجهة حركة الإساءة للمقدّسات الإلٰهية ورواية «الآيات الشيطانية»، وهذه المسألة جديرة بالاهتمام والدراسة لمعرفة أسرارها والمعطيات التي تفرزها، والتي يمكن على أساسها وضع مناهج عملية لتطوير العمل على صعيد جهود الوحدة الإسلامية، وما يمكن لي أن أقوله هنا هو أنَّ من العوامل الأساسية التي أوجدت ذلك الموقف الاسلامي المشترك تجاه قضية رشدي هو طبيعة الموقف العملي الشجاع والمحدَّد الذي اتخذه الامام الخميني تجاه المسؤولين عن هذه الإساءة المباشرة، فالموقف الخميني تتَّضح فيه الجنبة الدفاعية عن قضية معاصرة ومحدَّدة من قضايا المسلمين.

وعلى هذا يمكن القول إنَّ من الأُمور العاملة على إيجاد مواقف مشتركة من نوع الموقف الاسلامي تجاه حركة الإساءة، هو أن يسعى الإسلاميون إلى طرح المواقف الشرعية العملية تجاه القضايا المعاصرة التي تهمُّ المسلمين كافة، والتصدّي للدفاع عنها، أي أن تكون أرضية وقاعدة الجهود الوحدوية هي المواقف الشرعية العملية المتعلِّقة بالقضايا المعاصرة التي يعايشها المسلمون مباشرة، والموضوع يحتاج ولاشك إلى مزيد من البحث وتحديد الجوانب العملية والمصاديق التنفيذية التي تعزِّزُ وتفتح آفاق الوحدة الاسلامية أكثر من ذي قبل، خاصة وأنَّ مجريات قضية رشدي أثبتت ــ وعبر تجربة عملية ــ أنَّ الأرضية اللازمة لإيجاد المواقف الاسلامية الموحدَّة موجودة ومتينة للغاية.

«أوهن البيوت»

من المعطيات الرئيسية الأُخرى لقضية نشر كتاب «الآيات الشيطانية»، هي أنها قدّمت دليلاً قويّاً آخر على تاريخية عداء الاستكبار العالمي ــ والغربي خاصة ــ للإسلام ومقدّساته واستمرارية سعيه لاستئصال الإسلام وطلائعه، وضرب كافة أشكال ارتباط المسلمين

بدينهم. فهناك عداء تاريخي بامتداداته، مستمر في التعبير عن نفسه، عبر مظاهر متجددة في كل يوم. في بيانه إلى مراجع الاسلام وعلمائه يقول قائد الأُمة (رضوان الله تعالى عليه):ـــ

«لقد شاءت الإرادة الإلٰهية أن تقع حادثة نشر كتاب «الآيات الشيطانية» المليء بالكفر، في هذا الظرف بالذات، لتكون نموذجاً يفضح ـــ وعلى رؤوس الأشهاد ـــ الوجه الحقيقي لعالم التفرعن والاستكبار الهمجي، وعمق عدائه التاريخي للاسلام».

وهذا العداء التاريخي لايفتأ يعبِّر عن نفسه وأهدافه الحقيقية في سلوكيات متنوعة الأشكال، لكنها تلتقي حول محور محاربة الوجود الاسلامي والقيم الإلٰهية. في بيانه بمناسبة ذكرى النصف من شعبان يقول الإمام رضوان الله تعالى عليه:ـــ

«ان مستكبري الشرق والغرب لن يهدأوا ولن يسكنوا إلّا بنزعكم عن هويتكم الاسلامية كما تمنِّيهم أوهامهم الساذجة».

إذن فالمؤامرات الاستكبارية ضد الوجود الاسلامي مستمرة مادامت القوى المعادية قادرة على تنفيذها، ولانهاية لها إلّا بتحقيق هدفها الأبعد، وهو أن يردُّونا عن ديننا، أو أنْ نتمكن نحن من إبادة تلك القوى كاملا او سلبها كاملاً القدرة على التآمر ضد الوجود الاسلامي، فلامناص من هذه المواجهة للحفاظ على الوجود الإيماني، ولتحقيق الأهداف الإلٰهية المكلفون بتحقيقها. وعلى هذا نصل إلى القطع بضرورة استمرار المواجهة الاسلامية لإحباط تلك المحاولات المعادية، والحذر منها، وعدم الغفلة عنها، إذ أن الغفلة تؤدِّي إلى دمار الوجود الإسلامي بكامله، فضلاعن المكاسب التي حققها بتضحياته. فالغفلة تفسح المجال أمام القوى المعادية للتعبير العملي عن عدائها التاريخي والمستمر ضد الوجود الاسلامي على شكل ضربات عنيفة قاصمة نقوِّي فاعليَّتها نحن بغفلتنا عنها. في بيانه آنف

الذكر يقول قائد الامة (رضوان الله عليه):ـــ

«إنَّ الله تبارك وتعالى جعلنا اليوم في موقع المسؤولية، فلا تنبغي لنا الغفلة اليوم، اليوم تجب مكافحة ومقارعة الجمود والسكون والصمت، وتثبيت وتعزيز روح حركة الثورة وملحميتها».

«الحقد القاتل»

أوضحت مجريات الخطوة الأُولى من حركة الإساءة إلى المقدّسات، ميِّزة أُخرى من مميزات تعامل القوى الاستكبارية مع الوجود الاسلامي، هذه الميِّزة تحدّث عنها الامام الخميني في العديد من المقاطع التي تناول فيها معطيات قضية الآيات الشيطانية.. في بيانه إلى علماء الاسلام يقول (رضوان الله عليه):ـــ

«كم هي مفارقة فاضحة أن يعتبر أُولئك المتظاهرون بالتحضُّر أنَّ من الديمقراطية والتحضُّر قيام كاتب مرتزق ببث سموم قلمه ليسيء بذلك إلى مشاعر أكثر من مليار مسلم، فيؤدي إلى استشهاد مجموعة من الناس فلا يتأثرون لذلك. ولكن عندما يأتي حديث تنفيذ الحكم الإلٰهي والقصاص والعدالة، نجد أن أُولئك المتظاهرين بالتحضُّر ينصبون المآتم وينوحون على حقوق الانسان؟!

إننا نستنبط من نفس هذه المفارقات عمق حقد العالم الغربي على الإسلام والتفقه في أحكامه».

إذن فالميزة هذه، ـــ مع اعتبارنا العداء الميزة الأُولى، واستمراريته في التعبير عن نفسه في أشكال التآمر الميزة الثانية ـــ هي الميزة الثالثة، وهي تتجسد في حالة الحقد المتأصّل لدى الاستكبار الغربي على الاسلام وأحكامه والتفقه فيها باعتبار أنَّ هذا التفقه يقود إلى أخشى ما تخشاه القوى المعادية وهو نقل أحكام العدل الاسلامي من الإطار النظري إلى حيِّز التطبيق العملي.

وعلى الرغم من كل الأساليب و الوسائل العلمية الحديثة التي تمتلكها القوى المعادية وتمكنها من وضع أخبث الخطط وأدقّها في محاربة الاسلام وتُبعدها عن الانفعال والشطحات الارتجالية، إلّا أنَّ حالة الحقد بطبيعتها تقود القوى المعادية إلى الاندفاع الارتجالي المتسرِّع وراء تحركات قبل أوانها، نظير الموقف الارتجالي الذي اتخذته بعد إعلان الحكم الشرعي بحق رشدي، حيث انبرت للدفاع عنه دون أن تحسب مردودات ذلك. يقول الامام القائد (رضوان الله عليه): ـــ

«لقد اتضح اليوم أكثر من أيِّ زمن آخر عمق حقد الاستكبار وعدائه للاسلام المحمدي، وهذه الحقيقة الواقعية توضحها الحالة التعبوية العامة للمستكبرين في الدفاع عن كاتب مرتزق عميل».

هذا الموقف المتسرِّع المدفوع بدافع حالة الحقد تلك من الطبيعي أن يعود بآثار عكسية تُجبِرُ القوى المعادية بعد أمد قصير على التراجع عنه، وهذا مايشير إليه قائد الامة حيث يقول في تكملة النص السابق: ـــ

«ولأنَّ كلَّ همِّ هؤلاء هو تحقيق هدفهم المشؤوم فيبدو وكأنهم لم يكونوا يتوقَّعون أن يُفتضحوا ويُراقَ ماءُ وجوههم إلى هذه الدرجة حيث بدوا اليوم مهطعين مقنعي رؤوسهم، نادمين على مافعلوا، وبذلة أخذوا يتراجعون».

وفي بيانه إلى علماء الإسلام كان قائد الأُمة الاسلامية قد أشار إلى العلاقة بين حالة الحقد الاستكباري تلك ومظاهر تجسيدها عمليا، حيث قال: ـــ

«إنَّ قضية الغرب، ليست هي في الدفاع عن شخص واحد، بل إنَّها قضية دعم وحماية تيَّارٍ كاملٍ مضادٍّ للاسلام والقِيَمِ، فقد عمدت الدوائر الصهيونية والبريطانية والأميركية إلى تحريك هذا التيار، وبحماقة واستعجال وتسرُّع وضعت نفسها في مواجهة العالم الاسلامي برُمَّته».

ومفهوم ان جعل العالم الغربي نفسه في مواجهة مباشرة وسافرة مع المشاعر الدينية للعالم الاسلامي بأكمله، كان السبب الرئيسي لإضعاف موقفه في هذه المواجهة، و إرباكه ودفعه إلى سلسلة من المواقف المتناقضة، و إجباره فيما بعد على التراجع؛ وقد مني بالعديد من الخسائر، ونسف بيده مابناه خلال فترة ليست بالقصيرة[1] وعلى ضوء ماتقدم فمن الضروري بمكان بل اللازم معرفة هذه الميزة للتعامل الاستكباري مع الوجود الاسلامي، ووضع مقاييس ومعايير خاصة لتشخيص موارد ومصاديق بروزها، والتحركات العملية الناتجة عنها والمدفوعة بعوامل الحقد. فمعرفة ورصد هكذا تحركات مرتجلة تمكّن الاسلاميين من الإمساك بزمام المبادرة في مجريات الصراع، وتوظيف إفرازات وآثار الحقد والحماقة الاستكبارية لصالح الحق الاسلامي وموقفه من مسار هذا الصراع التاريخي.

بل والأهم من ذلك هو أن الإحاطة بملابسات هذه الميزة، والبواعث التي تحرِّك حالة الحقد الاستكباري تلك والمواقف المضادة التي تصعِّدها وتجعلها تتجسَّد عملياً في مواقف ارتجالية متسرِّعة تنسف الكثير من موارد المصالح الاستكبارية، هذه الإحاطة من شأنها أن تعين الاسلاميين على وضع وتحديد المناهج الصراعية العملية وفق مقتضيات تلك المعرفة والإحاطة، وآختيار وتحديد مواقف المواجهة الأكثر إثارَة للحقد الاستكباري بدءاً والأقدر على التعامل معه بعد إثارته بمايقوده إلى المزيد

---

١ ــ بعد اتخاذ دول السوق الأُوربية المشتركة قرار سحب سفرائها من طهران نقلت الصحافة الاميركية عن أحد المسؤولين في الخارجية الاميركية قوله: ــ (إنَّها حقا نكسة دراماتيكية كبرى) مشيراً إلى أنَّ قضية رشدي نسفت جهوداً استمرت قرابة العام، سعت فيها الدول الغربية لتطبيع علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع إيران. ومعلوم أنَّ هذه الجهود كانت تهدف إلى فتح أبواب التسلُّل الغربي إلى إيران ثانية.

من المواقف الانفعالية المتسرعة التي تعود على القوى المعادية بآثار معاكسة تماما لأهدافها وكما اشرنا في نهاية الفصل الثالث فانَّ القوى المعادية لا تبقى على حالة الإرباك والمواقف الانفعالية إلّا لفترة محدودة، ثم تعود إلى حالتها الطبيعية وإجراءاتها الخبيثة المدروسة بإتقان وإمعان لضرب الوجود الاسلامي، ألأمر الذي يستلزم في المقابل مواصلة الاسلاميّين توجيه ضرباتهم باستمرار، وعدم إعطائها فرصة الهدوء للإعداد والتخطيط لخطوات عدائية جديدة تضرب بها الوجود الاسلامي. وهناك إشارة أُخرى لهذا الموضوع سنوردها في الفصل الخامس إنْ شاء الله.

وحصيلة الأمر فإن مجريات قضية «الآيات الشيطانية» طرحت بقوة حقيقة وجود العديد من الثغرات ونقاط الضعف في الجبهة المعادية من الضروري بمكان دراستها وتشخيصها، وتحديد المناهج الجهادية على ضوء هذه الدراسة؛ للاستفادة منها في الصراع لصالح الحق الاسلامي.

«الهالة المزيفة»

من خلال حديثنا عن أسرار اختيار القوى المعادية للتوقيت الزمني للبدء بتنفيذ الخطوة الأُولى من حركة الإساءة الجديدة للمقدسات الإلٰهية، لاحظنا خللاً كبيراً في دقة وصوابية حساباتها، خاصة فيما يتعلق بتقديرها وتقييمها لدور الجمهورية الاسلامية وبالذات لقيادة الامام الخميني في مجريات مواجهة حركة الاساءة تلك، ونفس الشيء لاحظناه في حساباتها عندما اختارت في البداية الموقف التهديدي العنيف ضد الجمهورية الاسلامية؛ لإجبارها على التراجع عن موقفها الحازم تجاه حركة الإساءة، وكل هذه الحسابات تكشف عن آبتعاد الكثير من التحليلات والتقييمات التي اعتمدت عليها عن الحقائق الواقعية، ونفس الأمر يصدق على حساباتها بشأن طبيعة وحجم التجاوب الاسلامي مع الموقف

الاسلامي الحازم، وخطأ تحليلاتها لمعطيات الموقف الاسلامي العام تجاه مجزرة الحرم المكّي، أو مجريات حرب الأعوام الثمانية ضد الجمهورية الاسلامية والموقف الاسلامي العام منها.

هذه الحقيقة التجريبية المعاشة تفعل فعلها في تهشيم هالة الهيبة الاستكبارية التي سعت القوى المعادية لزرعها في نفوس شعوب العالم الثالث و إيجاد حالة من الإحباط الذاتي لديها تجاه الطرف الآخر في حركة الصراع، و إحاطة القوى الظالمة بهالة أُسطورية من القوة ودقة الحسابات وفاعلية وسائلها وخططها في الصراع وأسلحتها في المواجهة، وتركيز الفكرة الخادعة بأنّها تمتلك بذلك قوة لا تقهر؛ فلاجدوى من مواجهتها والتصدي لخططها، وقد قدمت تجربة الموقف الاسلامي الحازم تجاه حركة الإساءة الجديدة دليلاً عمليا ملموسا على زيف هذه الفكرة، وأثبتت أنها لا تتجاوز إطار الحرب النفسية المضادة، كما أوضحت أنّ في تلك الحسابات والتحليلات التي تعتمد عليها أطراف الجبهة المعادية، العديد بل الكثير من الثغرات ونقاط الضعف، وأنّها ـ شأنها شأن سائر إفرازات الجهد البشري والكيد الشيطاني ـ قابلة للاختراق والتهشيم، بل وأنّها ضعيفة وضعيفة للغاية في قبال الكيد الإلهي، وأنّ بالإمكان مواجهتها والتصدّي لها حتى لو اجتمعت جميعها وتكالبت كلها ضد الوجود الاسلامي، وسخّرت كافة إمكاناتها لمحاربته واستئصاله، وإمكانية الصمود والتحدّي أثبتها عمليا الجمهورية الاسلامية على مدى الأعوام الثمانية من الحرب على الرغم من حالة التوافق الدولي التي حصلت وللمرة الأُولى في التاريخ العالمي المعاصر ضد الجمهورية الاسلامية، بل واستطاعت اختراق هذه الحالة التوافقية و إحباط أشرس حملة هجومية شاملة كانت تنوي القيام بها ضد الدولة الاسلامية، و إفشال هذه الهجمة عبر قرارها المفاجئ وغير المتوقع بالموافقة على

القرار الدولي المرقم (٥٩٨) وهو القرار الذي بنت حالة التوافق الدولي كل حساباتها الاستئصالية للجمهورية الاسلامية على استحالة موافقتها عليه، فأبطلت تلك الحسابات بأن وافقت عليه دون أن تتنازل عن مواقفها المبدئية ومبادئها الاساسية، كما أثبتت ذلك مواقفها الحازمة تجاه حركة الإساءة الجديدة والأطراف الغربية المسؤولة عنها، في حين أنَّ الحسابات الغربية ربطت بين هذه الموافقة والتنازل عن تلك المواقف المبدئية والمبادئ الأساسية.

وضمن تقييمه لمعطيات حرب الأعوام الثمانية يقول قائد الأُمة الاسلامية الامام الخميني (رضوان الله عليه) في بيانه التاريخي إلى علماء الاسلام: ــ

> «نحن في الحرب حطمنا هيبة كلتا القوتين العظميين ــ الشرقية والغربية ــ نحن في الحرب عزَّزنا دعائم وجذور ثورتنا الإسلامية المباركة.
>
> نحن في الحرب أثبتنا لشعوب العالم عامة والمنطقة خاصة إمكانية الصمود والاستمرار لسنين متمادية في مواجهة القوى السلطوية والقوى الكبرى كافة».

ومن نافلة القول التأكيد على أنَّ هذا الصمود وتلك المعطيات لسنيِّ الحرب الثماني قد هشم الكثير من معادلات القوى الكبرى وأثبت خطأها، ونفس الأمر يصدق على الموقف الاسلامي الحازم تجاه قضية «الآيات الشيطانية» وحركة الإساءة الجديدة، والمهمُّ في الأمر هو معرفة طبيعة الحسابات التي تتعامل وفقها أطراف الجبهة المعادية ونواحي اللاواقعية والضعف فيها لتوجيه الضربات القاصمة من جهتها على غرار الضربة الخمينية الأخيرة.

«حماية الكيان المبدئي»

إنَّ من المعطيات الرئيسية لمجريات قضية «الآيات الشيطانية» كما أشرنا سابقاً، هي أنها أثبتت تاريخية العداء بين الاستكبار والوجود الاسلامي. فالاستكبار يرى في هذا الوجود التحدّي الأخطر ضدّ مطامعه ومصالحه غيرالمشروعة، من هنا فمن الطبيعي أن نتوقع في كل يوم مؤامرة جديدة تحوكها القوى المعادية ضد الوجود الاسلامي، فهي حرب حضارية مستمرة ومصريية.

في البيان الذي أصدره مكتب الامام في (٥/شعبان/١٤٠٩) وتضمَّن تشكره (رض) للاستجابة الاسلامية الرائعة لموقفه الحازم تجاه حركة الإساءة الجديدة، ورد قوله (رضوان الله تعالى عليه) ضمن تأكيده على ضرورة الحذر من المؤامرات الجديدة للقوى المعادية ودور علماء الاسلام في كشفها والتصدّي لها:ـ

> «أأمل من الزعماء الدينيِّين والعلماء الأعلام، والمحافل والمراكز الاسلامية، والأجهزة والمؤسسات التبليغية، وجميع المعنيِّين والمسؤولين؛ أن يعمدوا إلى تعريف المسلمين بضرورات الدفاع عن حريم المقدسات الإسلامية، وأن يحذِّروهم من مؤامرات أعداء الاسلام التي تطرح كل يوم بشكل وأُسلوب جديد، وأن يحفظوا استعدادهم الدائم للجهاد والمواجهة واحباط المؤامرات حتى تحقيق الانتصار النهائي للإسلام على الكفر العالمي».

إذن فالصراع مصيري، صراع ضدّ الوجود بالمعادلات المادية، وصراع مستمر لإنهاء أشكال العبوديات الأرضية والاستغلال والاستكبار بالمعادلات الإلٰهية، وأمام هذه الحقيقة الواقعية يتَّضح عمق سذاجة الاعتقاد بإمكانية التعايش السلمي بين هذين الوجودين، وهذه الحقيقة

أفرزتها بوضوح مجريات قضية رشدي، وحركة الإساءة للمقدسات الإلٰهية التي وُقِّتَ لها لتكون في بدايات ماتوهمه البعض بفترة الهدنة أو التعايش السلمي بين الوجود الاسلامي والقوى الاستكبارية.

في مقطع طويل من بيانه إلى علماء الاسلام يتحدث قائد الأُمة الاسلامية عن هذه النقطة فيقول متحدثا عن معطيات قضية «الآيات الشيطانية» على هذا الصعيد:ـ

«لقد شاءت الإرادة الإلٰهية أن تقع حادثة نشر كتاب «الآيات الشيطانية» المليء بالكفر في هذا لظرف بالذات لتكون نموذجاً يفضح ـ وعلى رؤوس الاشهادـ الوجه الحقيقي لعالم التفرعن والاستكبار الهمجي، وعمق عدائه التاريخي للاسلام، ولنخرج نحن من قيود التفكير الساذج، وكذلك أُولئك الذين لازالوا على تفكير كهذا ويحللون قائلين: إننا يجب أن نعيد النظر في سياستنا ومبادئنا ودبلوماسيتنا، والقائلين بأننا أبدينا سذاجة، وآرتكبنا أخطاءً ينبغي أن لانكرِّرها، ويعرب أُولئك عن اعتقادهم بأنَّ الشعارات العنيفة المتطرِّفة أو الحرب قد جعلت الغرب والشرق يسيئون الظنَّ بنا، وسبَّبت في النهاية عزلة بلدنا، وأنَّنا لوتعاملنا مع الأُمور بواقعية فإنَّ الأطراف الأُخرى ستتعامل معنا وفق أُسس إنسانية متكافئة، واحترام متبادل للشعوب، واحترام للاسلام والمسلمين.

لقد شاءت الإرادة الإلٰهية أن تقع تلك الحادثة في هذا الظرف لنخرج من سذاجة التفكير، ولانحمِّل مسؤولية كل شيء على أخطاء الإدارة وضعفها، وافتقاد المسؤولين عنها للتجربة، ولندرك بكل وجودنا حقيقة أنَّ الأمر ليس في أخطائنا بل هو في سعي غزاة العالم المتعمَّد لتدمير الاسلام والمسلمين، وإلّا فقضية سلمان رشدي بحد ذاتها ليست مهمة لهم إلى درجة ان يقف الصهاينة والاستكباريون كافة إلى جانبه».

فالأعداء التاريخيون للاسلام والقيم الإلٰهية لايمكن بحال أن

يتخلَّوا عن محـاربتهم لنا. الحقيقة التاريخية هي أنهم لايزالون يقاتلوننا حتى يردُّونا عن ديـنـنا إن استطاعوا، فـلا إمكانية والحال هذه للتعايش السلمي معهم، وماشـهدته حركة الصراع من تكالب الأقطـاب الاستكبارية كافة ضد الـوجـود الاسلامي لـيس مـنشؤها مجاهرة ممثلي هـذا الـوجود بأهـدافه الاسـتـراتيـجية ومـبادئـه الأساسية، ولا المواقـف الحازمـة التي اتخذوها ضد قضـايا المسـلمين، بـل ان مـنشأها الحـقـيقي هـو إدراك تـلـك الأقطاب الاسـتـكـبارية لطـبـيعـة الاسـلام وخطورتـه الحضـاريـة على مطامعـها غير المشروعة، فهي لذلك سـاعـية على الدوام لمحاربته واستـئصاله مهما كانت طبـيعة السـياسات التي ينتهجـها ممثلوه، مـا دامت تلك السـيـاسـات جارية ضمن إطاره، معبِّرة عن هويته المبدئية.

ومعلوم أنَّ شيوع هذا الطـراز الساذج من التفكير القـائل بإمكانية التـعايش السلـمي مع القوى المـعاديـة للقيم الإلٰهـيـة الحاكمـة على عالمـنا المعـاصر، يمـثل أبرز المخـاطر التي يمـكن أن يـتعرض لهـا الكـيان الاسلامي المبدئي، لأنَّ تفكـيراً كهذا يجر هـذا الكيان شيئاً فشيئاً إلى الخضوع لنفس معـادلات النظـام الدولي الظالم، وبـالتـالي يعـيق هذا الـكـيـان المبدئي عن مهمته الأساسية وهي تحطيم هذه المعادلات و إقامة معادلات القيم الإلٰهية العادلة وتحكيمـها في العالم، كما أنَّ شيوع تفكير كهذا يعني تكبيل الكيان الاسـلامـي المبدئي عن مواجـهـة مؤامرات القوى المعـاديـة، وبالتالي يفسح المجال لها لمواصلة جهودها لاستئصال الاسلام والقيم الإلٰهية دون مقاومة.

وبـنـاءً على ماتقدَّم فإنَّ اتّـضـاح بطـلان هـذا النمط من التفكير وانحساره يعني حماية الكيان الاسلامي المبدئي من أهم الأخطار المهدِّدة له، وبـالتالي إعطـاءه زخماً جديـداً في مـواجهة ومـقارعة الـنظام الدولي الظالم، والوصول إلى الأهداف السامية. ولعل في هذه النقطة بالذات يكـمن احـد المبـررات الرئيسية لحـالـة الحـدِّية التي ميَّـزت الموقف الخمـيني الحـازم تجاه

حركة الإساءة الجديدة باعتبارها نُفذت أساسا على رهان سيطرة هذا النمط التفكيري الخطير في ايران ــ كما توهم ساسة الغرب ــ، ونلاحظ هنا ما أوردته صحيفة الفايننشال تايمز اللندنية في مقال لها نشرته في (١٩٨٩/٣/١٠) من انتقادات للحكومة البريطانية حيث قالت: ــ

«إنَّه لأمر مؤسف للغاية، فما هو مبرِّر إقدام حكومة لندن ــ وهي تعلم بأن إيران لن تقنع بتصريحات بسيطة ــ على إطلاق هكذا تصريحات؟ وما هو مبرر أن تدين رئيسة الوزراء ووزير الخارجية مضمون ومحتوى كتاب «الآيات الشيطانية» وأن تمزج الإدانة بمطامع استمرار علاقاتها مع إيران؟ ما مبرر كل ذلك ولم تكن نتيجته سوى إظهار بريطانيا بحالة من الخضوع والتملُّق؟!

لقد أثبتت فتوى آية الله الخميني أن لا انسجام بين القيم الغربية والأُصولية الدينية، فلايمكن أن يتلاءَما، وان أُوربا عاجزة عن تقديم حل لهذه المعضلة».

والعبارة الأخيرة صريحة في إيضاح قوة تأثير الضربة الخمينية في نسف أوهام الدعاة إلى التعايش السلمي وفق تلك الأُسس المشار إليها سابقا.

«اختبار الصدق»

من المعطيات العرضية المهمة لقضية «الآيات الشيطانية» وعموم حركة الإساءة الجديدة؛ أنَّها شكلت (محك اختبار ميداني) لتميز الادِّعاءات الحقيقية ــ لأيٍّ جهة كانت ــ بالدفاع عن الإسلام ومقدَّساته والقيم الإلٰهية؛ عن الادعاءات النفاقية التي تعجُّ بها منطقتنا الإسلامية، فجنبة الإساءة في القضية واضحة وهي غاية في التطاول والجرأة على المقدسات، والحكم الشرعي بشأن المسؤولين عنها محدَّد شرعاً ومعروف

ومجمعٌ عليه من قبل فقهاء المسلمين كافة، لذلك فالموقف أيضا واضح ومحدَّد، ومدى جدِّيَّة أيِّ طرفٍ في الالتزام به دون مواربة ودون مراعاة لأيَّة علاقات مهما كانت طبيعتها مع أيِّ كان مادامت درجة الإساءة وصلت إلى حدِّ التطاول الصريح على الرسول الأعظم (ص)، هذا الالتزام الجادُّ والحازم هو وحده دليل الإثبات الوحيد على الصدق في الدفاع عن الاسلام ومقدساته[1] وفي ظل كثرة الادّعاءات النفاقية الحكومية بهذا الالتزام، فإنَّ الموقف الحازم تجاه هذه الإساءة الصريحة هو دليل البراءة من النفاقية، وبدونه يعني الاعتراف الصريح بالتلبُّس بها؛ إذ أنَّ مجال المناورة تجاه هذا الموضوع محدود، كما أنَّه لامجال فيه للصمت واللاّموقف، فعدم اتخاذ موقف حازم ورادع يعتبر بحد ذاته موقفا تخاذليّاً تضامنيّاً مع موجِّهي تلك الإساءة الوقحة لحرمة الرسول (ص)، والقرآن والاسلام، ومثل ذلك اتخاذ موقف امتصاصيٍّ تلافياً للإحراج؛ كقرار بمنع دخول الكتاب لبلد معيَّنٍ قبل أن تُثار الضجَّة، أو الاكتفاء بإدانة الكتاب بعدها، وكحدٍّ أقصى: الإيعاز لإحدى الجهات الدينية التابعة بالإفتاء بارتداد وزندقة الكاتب، وحصر الامر به دون المسؤولين الآخرين عن نشر الكتاب، واجتناب حتى التصريح بأنَّ حكم المرتدّ هو القتل، بل ومحاولة الالتفاف على ذلك عبر الدعوة لمحاكمة المؤلف في إحدى بلاد الكفر أو في إحدى بلاد المسلمين التي تتبع حكومتها سياسات الكفر الغربي، كل هذه المواقف لا تنفي النفاقية ولا تثبت صدق اصحابها[2] لأن الجنبة

١ ــ كما أنَّ ارتباط هذا الموقف بالمشاعر يجعل أصحاب المشاعر الاسلامية النقية يندفعون طواعية لمواجهة هكذا إساءات بمواقف حازمة تطبعها حالة الغضب الإيماني، ومن هنا فإنَّ مواقف كهذه يمكن أن تشكل مقياساً لتحديد درجة متانة علاقتنا الوجدانية بالإسلام ورموزه.

٢ ــ من الطريف أنَّ وسائل الدعاية المضلّلة روَّجت كثيراً لأمثال هذه المواقف سواء

الأساسية في الحكم الإلٰهي الحاسم تجاه المتجرئين على مثل هذه الاساءات، هو الجنبة الردعية للآخرين من التفكير في التجرّؤعليها، وواضح أنَّ كل تلك المواقف لاتحقق شيئا من هدف الردع هذا، بل انَّ الكثير منها يُمثل محاولات متقصدة للالتفاف على الحكم الشرعي الحازم والتشويش عليه، كما لاحظنا ذلك عندما استعرضنا المحاولات التي مارسها الغرب لتطويق الحكم الشرعي الحازم والالتفاف عليه (الفصل الثالث)، أي إنَّ الكثير من تلك المواقف مثَّل مساهمة في إحباط آثار الحكم الشرعي الحازم، وهذا لايعني إثبات عدم صدق أصحابها في الدفاع عن المقدسات الاسلامية وحسب، بل إثبات ماهو أخطر من ذلك وهو تورُّطهم الواعي أو غير الواعي في مساندة مواقف المسيئين للمقدسات الاسلامية المباشرين أوحماتهم، ومهما يكن الحال فإنَّ توريط القوى المعادية لأدواتها النفاقية في هكذا مواقف فاضحة لهوياتهم وتوجهاتهم يعبِّر عن جانب آخر من جوانب الحماقة الاستكبارية، حيث تساهم تلك القوى وبنفسها في فضح أدواتها.

في بيانه الى علماء الاسلام يقول قائد الأُمة (رضوان الله تعالى عليه): ـــ

> «علينا أن نرى كيف ستتعامل بعض حكومات بلدان المسلمين مع هذه الفاجعة الفظيعة. فالقضية هذه المرة ليست قضية عرب وعجم، ولاقضية فارس وايران، القضية هي الإساءة لمقدسات المسلمين كافة، منذ فجر الإسلام إلى الآن، بل و إلى نهاية التاريخ،

صدرت من جهات سياسية، أو من جهات ذات ظاهر ديني. وعلى الرغم من أنَّ الهدف من ترويجها هو إحداث بلبلة في أذهان الرأي العام الاسلامي والتشويش على الموقف الشرعي الحازم، إلّا أنَّها عمدت من حيث لا تدري إلى فضح العديد من أدواتها النفاقية، بل و إسقاطها، فوقعت فيما وقعت فيه القوى المعادية نفسها، كما سيشار إلى ذلك في المتن.

ولو غفلنا عن هذه الإساءة فإنَّها ستكون الخطوة الأُولى وحسب، وهناك في أكمام الاستعمار الكثير الكثير من هذه الأفاعي الخطرة وذوي الاقلام المأجورة».

وأمام وضوح خطورة هذه الإساءة الاستكبارية للمقدسات الاسلامية وصراحتها، واتضاح واتساع أبعادها، وكونها خطوة أُولى، تفتح الغفلة عنها أو عدم اتخاذ المواقف الشرعية الحازمة تجاهها الطريق أمام خطوات لاحقة أشد خطورة، امام كل ذلك تتضح حقيقة ان هذه الخطوة الاستكبارية الحمقاء قد تحوَّلت بالفعل إلى محكٍّ تحدَّدت فيه وتتحدد هوية كل طرف، وحقيقة لأيٍّ من جبهتي الصراع، عبر طبيعة المواقف التي يتخذها في قبال هذه الاساءة.

ومحك الاختبار هذا يمكن أن يحافظ على فاعليته عبر تطبيقه على مواقف الأطراف تجاه سائر الإساءات الأُخرى التي وإن قلَّ وضوحها عن إساءة «الآيات الشيطانية» إلّا أنَّها تشترك معها في كونها تأتي في سياق الحرب الشرسة والشاملة التي تشنُّها القوى المعادية ضد الاسلام والقيم الإلٰهية.

ملاحظة أخيرة نرى من الضروري تثبيتها في نهاية هذا الفصل، وهي أنَّ متابعة العديد من المعطيات التي أفرزتها هذه القضية من شأنها أيضا أن تثمر معطيات جديدة، أو تعزِّز وترسِّخ معطيات الوهلة الأُولى، وعكس ذلك صحيح أيضا، ففقدان المتابعة الجادَّة من شأنها أن تضيِّع الثمار الحاصلة فعلاً وتعتِّم على المعطيات الأولية لمجريات الموقف الاسلامي الحازم تجاه حركة الإساءة الجديدة. فوسائل الدعاية المضادة لن تغفل دورها في التعتيم على هذه المعطيات والسعي لمحوها وتلافي آثارها كجزء من دورها في الحرب النفسية ضد الحركة الاسلامية وانجازاتها، لذا فمن الضرورة بمكان المحافظة على هذه المعطيات وتخليد هذا الموقف الاسلامي

المبدئي والحازم كنموذج عملي معاصر يمكن أن يحتذى وهذه المهمة تقع بالدرجة الأُولى على عاتق مؤسسات الاعلام الاسلامي بحكم دورها التبليغي وإن كانت المهمَّة عامَّة يمكن لأيٍّ مسلم المساهمة بنصيب في إنجازها.

* * *

الفصل الخامس

متطلبات المرحلة الراهنة

من خلال دراسة موقف الامام الخميني الحازم تجاه حركة الإساءة والمؤامرة ذات الأبعاد الاوسع التي تعبِّر عنها، يمكن تحديد المتطلبات الشرعية لمواجهة حركة الإساءة بحد ذاتها، والتحركات المضادة التي تكمن خلفها، إلّا أنَّ هناك ملاحظة تجلب انتباه المتابع لتحركات الإمام القائد في أعقاب هذه الحادثة، وما صدر عنه (رض) من بيانات تناول فيها أبعاد حركة الإساءة ومدلولاتها، والملاحظة هي أنه (رض) قد حرص على تأكيد جملة من الحقائق، وتحديد عدد من المواقف الشرعية ذات البعد العمومي، ضمن تناوله للواقعة بحد ذاتها أو معطياتها، هذه المواقف يمكن أن نعبِّر عنها بمتطلَّبات المرحلة الراهنة من المواجهة، حيث أنَّها طُرحت من قِبَلِ الامام مع طرح مبرِّراتها الموضوعية، وهذه المتطلبات وان كانت ضرورية في كل آن وعلى مدى الصراع التاريخي بين الاسلام وأعدائه ، إلّا أنَّ التزامها بالنسبة للإسلاميين، وحاليا بالذات، أشدُّ لزوما وأكثر توكيداً، وذلك بحكم طبيعة المرحلة الراهنة من الصراع وماتمتاز به من خصائص تميِّزُها عن غيرها، خاصة مع احتدام المواجهة في ظل القرار الذي اتخذته القوى المعادية للقيم الإلهية بإبادة الاسلام والإسلاميين، بعد أن أدركت ــ أكثر من أيِّ وقت مضى ــ عمق خطورته على مطامعها غير المشروعة.

من هنا سنحاول (بعون الله تعالى) في هذا الفصل تحديد أبرز

وأهم تلك المتطلبات على ضوء البيانات الصادرة عن قائد الأُمة الإسلامية بعد الحادثة، وعلى ضوء ما أفرزته تجربة حركة الإساءة الجديدة والموقف الإسلامي تجاهها من معطيات.

«استهداف مراكز الفتنة»

في بيانه الصادر في ١٤/شعبان/١٤٠٩ تزامنا مع ذكرى النصف من شعبان يقول قائد الأُمة الاسلامية (رضوان الله تعالى عليه): ــ

> «ومرة أُخرى أطلب من كبار المسؤولين في نظام الجمهورية الاسلامية أن لايخشوا من أي شيء ومن أيٍّ كان سوى من الله العظيم، وليشدُّوا أحزمة العزم ولايتخلّوا عن مقارعة ومجاهدة فساد الرأسمالية الغربية وفحشائها، ولاعن مقارعة ومجاهدة خواء الشيوعية وعدوانها فنحن لازلنا في الخطوات الأُولى من طريق جهادنا العالمي ضد الشرق والغرب..».

مثلما أشرنا سابقا فإنَّ حركة الإساءة الجديدة ضد المقدسات الإلٰهية أثبتت واقع أنَّ القوى المعادية لن تتخلّى بحال من الأحوال عن محاربة الاسلام والقيم الإلٰهية، اللّهم إلّا بعد استئصالها أو إبادتها هي، وقمع نزعتها الاستكبارية؛ لذا فالمواجهة مستمرة متواصلة، الأمر الذي يتطلَّب ــ شرعا ــ من الاسلاميين خوض غمارها بإصرار جهادي سواء استند إلى حتمية هذه المواجهة انطلاقا من منطق دفاعي، أو اندفع بهجومية الرسالة الإلٰهية والمسؤولية الشرعية الداعية إلى إنقاذ البشرية من ظلمات الجاهليات الطاغوتية والوثنيات الاستكبارية و إقامة الحكم الإلهي العادل على كل الارض[1]، وأزاء هذا الهدف الكبير والمقدس فإنَّ

---

١ ــ كلا المبرِّرين فصَّل القرآن الحديث عنهما واعتبرهما دافعين شرعيين للجهاد، راجع مثلا تفسير الميزان ج ٩ في تفسير سورة التوبة (براءة) ويلاحظ هنا أنَّ جهاد الفتح او ◄

الجهاد الاسلامي المعاصر هو ولاشك في بداية الطريق وفي الخطوات الأُولى ما يعبِّر عن ذلك الامام القائد والذي يقول في جانب آخر من بيانه آنف الذكر: ــ

«ليعلم مسؤولونا أنَّ ثورتنا لا تنحصر بحدود إيران، فثورة شعب إيران هي طليعة وفاتحة الثورة الكبرى للعالم الإسلامي التي يحمل رايتها الحجة المنتظر ــ أرواحنا فداه ــ ونسأل الله أنّ يمنَّ على جميع المسلمين بل والعالَمِينَ بأن يجعل فرجه وظهوره (ع) في العصر الحاضر إن شاء الله تعالى».

فإخراج إيران من دائرة سيطرة قوى التسلط الاستكباري هو الخطوة الأُولى في طريق جهادنا العالمي، وهو يمثل خطوة تشكيل القاعدة المركزية الصلبة للجهاد الإسلامي العالمي وحركته باتجاه تحقيق الاهداف الإلٰهية.

في بيانه بمناسبة الذكرى السنوية الاولى لفاجعة حرم الأمن الإلٰهي، وكذلك بمناسبة الموافقة الاسلامية على القرار الدولي ٥٩٨ يقول الامام رضوان الله تعالى عليه: ــ

«أمّا فيما يتعلق بجماهير العالم والسعي الجادّ لحل مشاكل وقضايا المسلمين، ودعم وتأييد المناضلين والجياع والمحرومين، فيجب علينا وبكل وجودنا بذل جهودنا بهذا الاتجاه، وهذا مايجب أن نعتبره من المبادئ الأساسية لسياستنا الخارجية. إنّنا نعلن أن الجمهورية

الجهاد الابتدائي الذي اشترط كثير من فقهاء الاسلام ــ بضمنهم الامام رضوان الله تعالى عليه ــ إذن الامام المعصوم المباشر لمنحه الشرعية؛ لايصدق على كلا الدافعين آنفي الذكر، فالأول واضح في جنبته الدفاعية فلاحديث عنه، أمّا الثاني فهو دفاعي أيضا بحقيقته وذلك بحكم حالة الصراع القائمة، وتعرض الوجود الاسلامي على كل حال لأشكال التآمر المعادي من قبل الاطراف الدولية الحاكمة فعلا، نعم: الجهاد الابتدائي يصدق تجاه أطراف مسالمة حقا لن تمس الاسلام والوجود الاسلامي بسوء إذ لم يتعرض لها.

الاسلامية في إيران هي المدافعة دوما عن المسلمين الأحرار في العالم وملجأهم، و إيران باعتبارها قلعة عسكرية منيعة تلبّي احتياجات جند الاسلام وتُعرِّفهم بالاسس العقائدية والتربوية الإسلامية، وكذلك بمبادئ وأساليب مجاهدة أنظمة الكفر والشرك »[1].

وعلى هذا فالجمهورية الاسلامية هي القاعدة الممهدة لظهور المهدي المنتظر(ع) بمايعنيه ذلك من تحقق الأهداف الإلٰهية السامية المراد تحقيقها عبر الثورة الإسلامية الكبرى على أنظمة الكفر والشرك المعاصرة، و إزالة هذه الأنظمة الأرضية الجائرة.

عودة ثانية إلى بيان الإمام القائد (رضوان الله تعالى عليه) بمناسبة النصف من شعبان، وبعد إثارة قضية مؤامرة الإساءة الجديدة: ــ

«سلام على شعب إيران العظيم، هذا الشعب الذي يمهد الطريق لظهوره (ع) ــ المهدي المنتظر ــ بالتضحيات والفداء والشهادة».

ويوجه الامام القائد (رضوان الله تعالى عليه) هذا الشعب إلى المضيِّ في هذا الدرب الجهادي المقدَّس ضمن إطار تلك الأهداف الإلٰهية الكبرى فيقول في البيان ذاته مؤكدا على ضرورة تحمل الضغوط والصعاب في سبيل تلك الأهداف المقدسة: ــ

«لقد جسَّدت جماهير إيران العزيزة حقّاً الوجه المشرق لتاريخ الاسلام العظيم في عصرنا الحاضر، وعليها أن تسعى لتحمُّل الضغوط والصعاب والمشاق، والرضى بهامن أجل الله لكي يتمكن المسؤولون الكبار من النهوض بواجبهم الأساسي ومهمتهم الأُولى هي

---

١ ــ يلاحظ أن نفس البيان المذكور الذي تضمن الحديث عن الموافقة الاسلامية على القرار الدولي في فقرات قصيرة؛ تضمَّن الحديث عن استمرارية الجمهورية الاسلامية في متابعة أهدافها الكبرى وثباتها على مبادئها الاساسية، بل و إصرارها على استئصال الأنظمة القائمة على الركائز الثلاث «الشيوعية والرأسمالية والصهيونية» ودعا إلى تأسيس التعبئة الاسلامية العالمية، وأكَّد على استمرارية مواجهة الكفر الدولي.

نشر الاسلام في العالم، وعلى هذه الجماهير أن تطالب مسؤوليها بأن يجعلوا روابط الأُخوّة والعلاقات المتينة محدّدة بإطار مصلحة الإسلام والمسلمين».

والملاحظ أن القسم الأكبر من هذا البيان قد خصّصه الامام للحديث عن البعد العالمي للثورة الإيرانية والأهداف الإلٰهية الكبرى التي تسعى لتحقيقها، فقد أورد عشر إشارات صريحة لهذه الأهداف، و إشارتين لمعطيات حركة الإساءة الجديدة وقضية سلمان رشدي على الرغم من قصر البيان حيث لم يتجاوز خمس صفحات طباعية من القطع المتوسط، وقد أوردنا سابقا العديد من تلك الإشارات كما سنورد لاحقا عدداً آخر منها مناسبة مع مورد الحديث.

إذن فعلى أساس القيام بهذا التكليف الشرعي، والواجب الإلٰهي وبكلا قسميه الدفاعي والانقاذي للبشرية كافة والذي أكّد الإمام القائد مراراً على جنبته الشرعية التكليفية، يجب الانطلاق في هذه المواجهة الدؤوبة وباتجاه أهدافها الإلٰهية الكبرى وهي مواجهة شاملة لا تقتصر على جانب دون جانب، وكما أثبتت مجريات حركة الإساءة الجديدة وما قبلها فإنّ القوى المعادية لا تترك وسيلة (ثقافية كانت أو عسكرية أو سياسية أو إرهابية) إلّا ولجأت إليها من أجل ضرب الاسلام ومقدساته والوجود الاسلامي، لذا فيجب بداهة على ضوء ذلك أن تكون مواجهة الإسلاميين لتلك القوى شاملة أيضا، يصدون سهامها على كافة الأصعدة وفي كافة المواجهات، ويوجّهون ضرباتهم القاصمة إليها من كافة الجهات وعبر كافة الأسلحة المؤثرة والقادرة على إنجاز فعلها الردعي للقوى المعادية، والتركيز على ضرب نقاط ومكامن التضرّر في المصالح الاستكبارية. فما لاشك فيه أنّ هناك الكثير من النقاط القابلة للتضرّر في تلك المصالح.

في مقطع من بيانه آنف الذكر يقول قائد الامة الاسلامية

(رضوان الله تعالى عليه) مشيراً إلى ضرورة مواجهة اعتداءات تلك القوى المعادية مهما كان شكلها: ــ

«على المسؤولين أن يقفوا أقوى من أيِّ وقت مضى، وبكامل قواهم، دفاعاً عن الاسلام بوجه اعتداءات غزاة العالم سواء العسكرية منها والسياسية والثقافية».

وضمن هذا البيان وبعد إشارته إلى القرار الذي اتخذته القوى المعادية بإبادة الإسلام بعد تجربتها المريرة معه، وما تلقَّته من هزائم على يده (خاصة خلال العقد الاول من عمر الثورة الاسلامية في ايران) يتحدث الامام الراحل عن وسائل تنفيذ هذا القرار المشؤوم الذي جعلوا الهدف الاول لتحقيقه هو إبادة الاسلام وضربه في قاعدته المركزية (الجمهورية الاسلامية)، فيقول رضوان الله تعالى عليه: ــ

«ومن هنا فقد اتخذوا قراراً بإبادة الاسلام بأيَّة وسيلة ممكنة؛ إبادته في إيران باعتبارها قاعدة الاسلام المحمّدي الأصيل؛ إن استطاعوا؛ أنجزوا ذلك بالقوة العسكرية، فان فشلوا فبترويج ثقافتهم المبتذلة وتغريب الشعب عن الاسلام وعن ثقافته الجماهيرية العريقة، و إذا لم يتحقَّق هدفهم لاعن هذا الطريق ولاذاك ؛ عمدوا إلى تحريك عملائهم المرتزقة من المنافقين والليبراليِّين ومن عديمي الدين المستعدين لقتل علماء الاسلام والأبرياء والمتجرِّئين على ذلك بيسر شرب الماء؛ عمدوا الى تحريك هؤلاء وتمكينهم من التسلُّل إلى البيوتات والمواقع والمراكز الإدارية علَّهم يحقِّقوا أهدافهم المشؤومة».

إن استهداف إيران اليوم كهدف مركزي لحملات القوى المعادية إنَّما يقع باعتبارها قاعدة انطلاق الاسلام المحمدي الاصيل ومنبع دعمه ومدّه بأسباب الصمود والمقاومة، من هنا يتطلَّب الدفاع عن الاسلام إعطاء الأولوية للدفاع عن قاعدته المركزية ومنبع انطلاقته المعاصرة،

وتقديم حفظها واستمرار قوتها وصمودها على حفظ غيرها من المراكز الاسلامية مهما كانت أهميتها الراهنة أو التاريخية. فبقاء المنبع والقاعدة المركزية هو الضمان للحفاظ على الامتدادات واستمرارية تجددها، وبالتالي المحافظة على التجربة الاسلامية المعاصرة ـ ككل ـ حيَّةً فاعلة، أي الحفاظ على فاعلية وحياة الدور الإسلامي في الحياة المعاصرة بل والمستقبل أيضا.

وفي مقابل استهداف القوى المعادية لمركز وقلب حركة العودة الاسلامية المعاصرة ـ الجمهورية الاسلامية ـ كهدف مركزي لسهامها وتآمرها يتطلب الأمر من الاسلاميين تركيز ضرباتهم نحو منابع الفتنة الاستكبارية المعاصرة ومراكز انطلاقها تخطيطا وتحريكا و إثارة، ويتجنَّبوا قدر المستطاع الانشغال بمواجهة الواجهات الاستكبارية التي تقوم بمهمة (حروب النيابة) فهذه الواجهات تعمد مراكز الفتنة ومنابعها إلى تبديلها إذا ما استهلكت أو الإتيان بأُخرى لتحلَّ محلها إذا ماسقطت، لذا فلاقيمة لتدميرها عمليا مع بقاء مراكز الفتنة بعيدة عن الإصابة بأيَّة اضرار، وطبيعي أنَّ هذا لايعني أن نترك هذه الواجهات تعبث كيفما شاءت دون مواجهة، فلابدَّ من خطوات و إجراءات ردعية ضدها، ولكن شريطة أن لا تكون هذه الإجراءات مستهلكة مستنزفة للجهد الاسلامي بأكمله، بحيث تبقى مراكز الفتنة الأصلية بعيدة عنه. ومفهوم أنَّ تركيز الضربات على مراكز ومنابع الفتنة كفيلٌ في النهاية بتدمير هذه الواجهات التي تتفرَّع عنها.

وحصيلة ماتقدَّم هي اتضاح ضرورات وحتمية استمرار المواجهة بين الوجود الإسلامي والقوى المعادية للقيم الإلٰهية، فلامناص من خوض غمار هذه المواجهة قياما بالتكليف الشرعي، وهي مواجهة شاملة يسعى الاسلاميون فيها لتحقيق أهداف إلهية سامية وكبرى؛ بدايتها إقامة حكومة

العدل الإلهي في الأرض كل الأرض، ومن الضروري فيها أن يتركز الدفاع عن الاسلام على الدفاع عن قاعدته المركزية المعاصرة ــ الجمهورية الاسلامية ــ ومثلما تركز على استهدافها السهام الاستكبارية ينبغي على الاسلاميين أن يركِّزوا ضرباتهم على مراكز ومنابع الفتنة الاستكبارية وليس على واجهات حروب النيابة.

«المتابعة الدؤوبة»

من أساسيات ماتعرَّفنا عليه من خصائص الموقف الخميني تجاه حركة الإساءة (الفصل الثاني) هو خاصية المتابعة، وهي خاصية على درجة كبيرة من الأهمية في آثارها العملية على عموم حركة الصراع ومسارها، فهي ضرورية لاستحصال ثمار الكثير من الخطوات والنشاطات الجهادية التي تستلزم متابعتها لانجاز مفعولها، فمثلا كان للموقف الزينبي المتابع لقضية استشهاد الامام الحسين واصحابه في كربلاء الاثر الكبير والفاعل في إيصال رسالة الدم الحسيني والمناقبية الحسينية، وقد وصل هذا التأثير الذي تركه الموقف الزينبي درجة لم يعد معها بالإمكان تاريخيا فصله عن نفس الواقعة الحسينية، وهكذا ينبغي أن تكون متابعة الخطوات الجهادية في حركة الصراع.

إن كل خطوة وكل حركة دفاعية كانت أو هجومية ينفذها الإسلاميون ضد القوى المعادية هي في حقيقتها جزءٌ من عموم حركة الصراع، وينبغي أن تُفهم كذلك وتفهم باعتبارها حلقة في جهد مستمر متواصل تواصل الصراع التاريخي، وعلى هذا فلايمكن تصوُّر أن تكون لها فاعلية مهمة على مجمل حركة الصراع مالم تتوفر عملية متابعتها.

ومع ملاحظة التسارع الشديد الذي يميز حركة الصراع في الوقت الحاضر وخاصة ازدياد شراسة وحدة القوى المعادية فيها و إصرارها على

الإسراع في الإجهاز على الوجود الإسلامي، مع ملاحظة ذلك تتضح أهمية متابعة النشاط والعمل الإسلامي في حركة الصراع هذه، وعدم الغفلة عنه. فالقوى المعادية المضادة جادة كل الجد في متابعة تحركاتها ضد الوجود الإسلامي، وكما أثبتت قضية حركة الإساءة الجديدة فإنَّ هذه القوى لن تترك فرصة تمرُّ دون توجيه ضرباتها وتنفيذ الجديد من مؤامراتها. من هنا فإن مخاطر الغفلة والانشغال عنها وعدم متابعة خطواتها؛ تزداد وتتضاعف درجتها في الوقت الحاضر مقارنة بأيٍّ وقت مضى.

لنلاحظ طبيعة اللهجة التي يتحدث بها الامام القائد حول هذه النقطة في بيانه بمناسبة ذكرى النصف من شعبان المشاراليه سابقا:ـ

«إذا أدَّت المشاكل الاقتصادية والمادية إلى إشغال المسؤولين ـ ولو للحظة ـ عن المسؤولية الملقاة على عواتقهم ـ نشر الاسلام وتأسيس حكومته العالمية ـ فإنَّ الامر سيستتبع خطراً عظيما وخيانة كبرى».

وواضح المغزى من استخدام الامام (رضوان الله تعالى عليه) لكلمة ـ ولو للحظة ـ في التأكيد على أهمية المتابعة لمجريات المواجهة والخطوات والتحركات المتخذة في سياقها، وقد تكررت تأكيدات الامام (رضوان الله تعالى عليه) في هذا المعنى في مواقع أُخَرَ عديدة من البيانات التي أصدرها بعد قضية سلمان رشدي، وإن كان قد أكَّدها كثيراً في ما صدر عنه (رض) طوال مسيرته الجهادية بحيث يمكن القول بأنَّ التأكيد على متابعة العمل الجهادي، وعدم الغفلة عن مؤامرات الاعداء يمثلان أحد المحاور الرئيسية الثابتة في توجيهات الامام تجاه مجريات الصراع، وبلحاظ تجديد هذه المحاولة بما صدر عنه (رض) بعد قضية حركة الإساءة الجديدة بالذات، نشير إلى نموذج آخر من تأكيدات الامام على هذا الموضوع ورد في بيانه إلى علماء الاسلام بُعيدَ فتواه التاريخية بشأن المسؤولين عن نشر رواية «الآيات الشيطانية»، حيث يتطرق (رض) للحديث عن إحدى

المؤامرات التي تشنُّها القوى المعادية ضد أنصار الإسلام المحمدي فيقول رضوان الله تعالى عليه: ـ

«إنَّ الأعداء التاريخيين قد نشطوا مرة أُخرى من أجل إثارة الفُرقة بين علماء الاسلام، والغفلةُ عن ذلك تؤدِّي إلى تدمير كلِّ شيء مهما كان شكل وظاهر الفُرقة والاختلاف».

إذن في قبال هذه التحركات المعادية الناشطة حالياً تتأكَّد الحاجة لمتابعة العمل الجهادي، وتتعاظم مخاطر الغفلة عن المؤامرات المضادة، حيث أنها تؤدي إلى تدمير كل شيء وبضمنها الثمار والمكتسبات التي حصلت عليها الحركة الاسلامية العالمية ببركة دماء وتضحيات جندالله المجهولين، وهذا أمر مفهوم في ظل تزايد القلق والرعب الاستكباري من تنامي التيار الاسلامي، والقرار الذي اتخذته القوى المعادية بإبادة الاسلام، ولعل هنا بالذات يكمن سر الزيادة الملحوظة في تأكيدات الامام القائد على ضرورة متابعة العمل الجهادي والتحذير من مخاطر الغفلة في الوقت الحاضر بالذات، في عبارة بليغة موجزة يجمع قائد الامة بين التأكيد على ضرورة متابعة توجيه الضربات الجهادية للقوى المعادية والتحذير من الغفلة خاصة في المرحلة الراهنة لنتمعَّن فيما يقوله في بيانه بمناسبة ذكرى النصف من شعبان المشار إليه: ـ

«إن الله تبارك وتعالى جعلنا اليوم في موقع المسؤولية، فلا تنبغي لنا الغفلة، اليوم يجب علينا مكافحة ومقارعة الجمود والسكون والصمت، وتثبيت وتعزيز روح حركة الثورة وملحميتها».

فهناك اليوم مسؤولية شرعية في الدفاع المقدس عن الاسلام العزيز الذي يتعرَّض اليوم لشتى أشكال حروب الاستئصال.

وهناك اليوم مسؤولية شرعية لاتجيز الغفلة عن المؤامرات المضادة وتلك الحروب الشرسة.

وهناك اليوم مسؤولية شرعية توجب مواصلة السعي لتحقيق الأهداف الإلٰهية السامية و إنقاذ البشرية جمعاء من شرور المستكبرين.

وهناك اليوم مسؤولية شرعية تستلزم اَستثمار معطيات تجربة الثورة الاسلامية ومعطيات حركة العودة الاسلامية، وتطويرها ودفعها الى الامام، وتعزيز الروح الملحمية والتضحوية التي بعثتها في العالم الاسلامي.

وهناك اليوم مسؤولية شرعية تتطلّب مكافحة السكون ودعته، والجمود وخدره، والصمت وويلا ته.

وهناك اليوم واجب إلٰهي مؤكَّد، نحن مسؤولون أمام الله جل اَسمه عن القيام به.

«معادلة الصراع»

«راقبوا بدقة وبصيرة، ألأعداء على الدوام، ولا تدعوهم يطمئنوا ويأمنوا، فان جعلتموهم يطمأنون، فلن يدعوكم تطمأنون وتأمنون ولا للحظة».

هذه العبارة القصيرة وردت في البيان التاريخي الذي أصدره الامام رضوان الله تعالى عليه في (١٤/شعبان/١٤٠٩) وهي على قصرها تعبّر عن عمق إحاطته بمعالم ومميزات المرحلة الراهنة من مجريات الصراع بين الاسلام وأعدائه، وعمق معرفته بطبيعة أطراف الجبهة المعادية وأهدافها، ودقة تشخيص سماحته لمتطلبات المرحلة الراهنة على ضوء ذلك.

وبالتدقيق في هذه العبارة القصيرة يقود إلى تحديد اَثنتين من المتطلّبات الرئيسية تلك والتي يجب على الاسلاميين مراعاتها في حركة المواجهة الإلٰهية المقدسة ضد القوى المعادية.

الأولى: هي ضرورة المراقبة الدقيقة الواعية لتحركات تلك القوى،

والغور في أهدافها، والتعامل معها بحذر مهما كانت ظواهرها، فطبيعة المرحلة الراهنة من حركة الصراع لا تسمح بالتعامل بحسن الظن وببساطة مع تحركات الجبهة المعادية، والانخداع بظواهرها المقنَّعة الساترة لاهدافها الحقيقية المشؤومة. فكما أسلفنا فإنَّ هذه القوى لن تتخلَّى عن الكيد للإسلام وللإسلاميين، وللوجود الاسلامي. فهناك ــ ولاشك ــ مؤامرة جديدة في كل يوم تطرح بأساليب جديدة، ومن البديهي أنَّ كثيراً من هذه الأساليب يسعى للتغطية على الأهداف الحقيقية بطرح مظاهر بريئة لتلك التحركات بل و إسلامية أحيانا وغيرذلك من مظاهر تحاول إبعاد الشبهة عنها لضمان تمريرها وعدم جلبها لانتباه الإسلاميين على الأقل للوهلة الأُولى او لفترةٍ مّاتضمن تنفيذ ولو جزءٍ منها، وقبال ذلك تتضح ضرورة الحذر والمراقبة البصيرة والدقيقة الواعية للتحركات التي تقوم بها أطراف الجبهة المعادية سواء كانت ثقافية أو سياسية أو عسكرية. وعلى ضوء هذه المراقبة الواعية تحدَّدُ المواقفُ منها، وتُعرَّفُ أبعادها للجماهير، وهذه هي مهمة أُخرى سنشير إليها لاحقا في هذا الفصل.

الثانية: هي ضرورة المبادرة إلى توجيه الضربات الإجهاضية للمؤامرات الاستكبارية وقبل ان تبدأ القوى المعادية بتنفيذها، بل وأهمّ من ذلك ضرورة مواصلة المبادرة بتوجيه الضربات للمصالح غير المشروعة للمستكبرين وأطراف الجبهة المعادية، فهكذا ضربات من شأنها أن تعزِّزَ باستمرار موقف الاسلاميين وتقرِّبهم من تحقيق أهدافهم الإلٰهية العادلة والمشروعة، وتضعف في المقابل موقعية اطراف الجبهة المعادية، وتؤدِّي إلى انحسار شرورهم، وتشغلهم بمواقف دفاعية عن مطامعهم تفقدهم الفرصة الكافية للمزيد من التآمر على الوجود الاسلامي، وفي غير ذلك فإنّها ستواصل توجيه ضرباتها ضد الوجود الاسلامي، وفي النقاط التي تختارها هي بدقة؛ لتكون أكثر أثراً وأشدّ إيلاماً؛ الأمر الذي يجعل هذا الوجود

منشغلا على الدوام بمواقف دفاعية يخسر فيها طبيعياً أكثر ممّا يربح، ويتأخّر عن تحقيق أهدافه الإلٰهية السامية أكثر ممّا يقترب منها، وهذه معادلة ثابتة من معادلات الصراع يمكن طرح مئات المصاديق العملية عليها من مسيرة الصراع التاريخية منها والمعاصرة، وحتى المصداق مورد البحث يعتبر بحدّ ذاته أحد نماذجها، حيث رأينا كيف أن إعلان الحكم الشرعي الأصيل وبتلك الصرامة بشأن حركة الإساءة الجديدة قد أوجد ــ بما مثَّلَهَ من ضربة هجومية غير متوقعة ــ حالة من الإرباك في موقف الجبهة المعادية ألجأها إلى العديد من التحركات الارتجالية المتسرِّعة التي خرَّبت بها الكثير ممّا بنته من قنوات التخريب في التجربة الإسلامية المعاصرة وقاعدتها المركزية (كما فصلنا الحديث عن ذلك سابقا)، والأهمُّ من توجيه هذه الضربة القاصمة هو مواصلة الضربات المتلاحقة ضد المراكز والمصالح الاستكبارية بحيث لايسمح لأصحابها بالأمن والهدوء والاطمئنان، فلو توفر لها هذا فستواصل هي توجيه ضرباتها العدوانية بحيث لا تسمح للوجود الاسلامي بالأمن والهدوء ولاللحظة كما يعبِّر عن ذلك قائد التجربة الاسلامية المعاصرة (رضوان الله تعالى عليه) وبالتالي تجعل هذا الوجود في دوامة تسبِّبها له تلك الضربات المتتالية، ويقينا لالبس فيه؛ أن لوعمل الاسلاميون بمقتضيات هذه المعادلة ولم يدعوا الجبهة المعادية وأطرافها يأمنون من ضرباتهم المتلاحقة؛ لغيَّروا معادلة الصراع كثيراً لصالح الحق الإسلامي، ولأبعدُوا عن الكيان الاسلامي المبدئي وعن الاسلام والمسلمين عامة شرور الكثير من الأذى والضغوط والصعاب التي تسبِّبها لها تحركات القوى المعادية وأذنابها. ومفهوم مماتقدم أنَّ الإحجام عن توجيه الضربات المتلاحقة للقوى المعادية، والغفلة عن متابعة العمل الجهادي والتحركات المضادة تمثلان مساهمة غير مباشرة في المسؤولية عن الأذى الذي يلحق بالاسلام والمسلمين والكيان الاسلامي

المبدئي نتيجة الفرصة التي يوفرها ذلك للأعداء للمزيد من التآمر والعدوان.

في بيانه الذي اصدره بتاريخ (١٠/رمضان/١٤٠٩) بمناسبة يوم الجيش في الجمهورية الاسلامية (١٨ نيسان) تحدث الامام القائد في عدة مواقع عن ضرورات تقوية البنية الدفاعية للدولة الاسلامية، ودور هذه الخطوة في التقدم والاستعداد لتحقيق الأهداف الإلٰهية، وآثار الغفلة عنها في تعريض الدولة الاسلامية للمخاطر، يقول رضوان الله تعالى عليه: ــ

«إنَّني وباعتباري قائداً عامّاً للقوات المسلحة، آمرُ المسؤولين وأصحاب القرار أيضا، بأن لايغفلوا ــ في أيِّ حال من الأحوال ــ عن تقوية القوات المسلحة، وتطوير مستوى تربيتها العقائدية وتدريباتها العسكرية، وتوسيع الاختصاصات اللازمة، ولاسيما مواصلة التحرُّك باتجاه تحقيق الاكتفاء الذاتي على الصعيد العسكري، وعليهم أن يُبقوا دائماً هذا البلد على أُهبة الاستعداد من أجل الدفاع عن قيم الاسلام النقي الأصيل، وعن محرومي العالم ومستضعفيه. وحذار من أن يؤدي التوجه إلى الأمور والخطط الأُخرى إلى الغفلة عن هذا الأمر الضروري، فلاريب أن الغفلة عن تقوية البنية الدفاعية للبلد تستتبع إثارة مطامع الأجانب وتحركهم نحو الهجوم والعدوان، وبالتالي فرض الحروب والتعرُّض للمؤامرات».

«المناهج العملية للمواجهة»

من حقائق الصراع الواضحة بل البديهية هي أن القوى المعادية للاسلام تحاربه وتحارب كيانه المبدئي وفق خطط مدروسة بدقة وموضوعة بعناية، أُخذت في الحسبان في وضعها الظروف الموضوعية القائمة، وخصائص كل منطقة من مناطق العالم الاسلامي، بل والكثير من

تفصيلات وجزئيات الوجود الاسلامي. من هنا فإنَّ مواجهتها تستلزم من الاسلاميين أن يكون تحرُّكهم الجهادي مستنداً إلى خطط مدروسة ايضا وبعناية ووفق مناهج عملية دقيقة تستمد أساليبها الجهادية من المصادر التشريعية الإسلامية وهذه من بديهيات حقائق الصراع، لايقلِّل من أهميتها وضرورتها ما أشرنا إليه سابقا من أنَّ الخطط والحسابات المعادية فيها الكثير من الثغرات، وأن معادلاتها تضمُّ العديد من نقاط الاختراق والضعف بحكم كونها إفرازة من إفرازات الكيد الشيطاني الضعيف مهما أُوتي من أسباب المكر والخداع، بل على العكس تماما فإنَّ هذه الثغرات ونقاط الضعف والاختراق تمثل بحدِّ ذاتها مبرِّرا آخر لضرورة اعتماد الاسلاميين لمناهج عملية مدروسة في الصراع والمواجهة إذ أن هكذا مناهج هي الكفيلة باكتشاف مكامن تلك الثغرات ومواطن نقاط الضعف في الخطط المعادية، وتحديد سبل واساليب توظيفها لصالح الحق الاسلامي في الصراع، وبدون ذلك لايمكن الانتفاع بشيء من تلك الثغرات ونقاط الضعف، كما أن المعرفة المجرَّدة بها لن تضيف شيئا لصالح الحق الاسلامي في الصراع ما لم تتجسَّد عمليا الاستفادة منها عبر مناهج عملية في المواجهة توجه الضربات عبر تلك الثغرات، وفي نفس الوقت تحصن الجهاد الاسلامي من الوقوع في نظائرها، خاصة في موارد تطبيق المواقف الشرعية على المصاديق العملية الموضوعية في حركة الصراع. من هنا تتأكَّد الحاجة لإزالة الفجوة القائمة بين الأُطُر النظرية للمناهج الجهادية ومواردها العملية، فبذلك وحده يمكن إلحاق الضربات القاصمة بالقوى المعادية. وكما رأينا سابقا فان الامام (رضوان الله تعالى عليه) يعتبر أن السبب الرئيسي لحالة الإرباك والقلق التي انتابت القوى المعادية من إعلان الحكم الشرعي تجاه المسيئين للمقدسات الاسلامية ولشخص الرسول الاعظم (ع)،وتطبيقه على قضية نشر رواية «الآيات الشيطانية»،

يرجع أساسا إلى خشيتهم من عواقب نقل الأحكام الإلٰهية من الحيِّز النظري إلى التجسيد العملي في مصاديق مجريات حركة الصراع، وهي النقلة التي عبَّر عنها تطبيق الحكم الشرعي المذكور على أحد مصاديقه المعاصرة.

ومن نافلة القول الإشارة إلى أنَّ شمولية الرسالة الخاتمة توفر الاطمئنان بتوفير كافة القواعد الشرعية اللازمة للانطلاق منها في وضع المناهج العملية في مواجهة أنظمة الشرك والكفر، وتحديدها على ضوء الظروف الموضوعية القائمة. فالقواعد الشرعية موجودة بالكامل في المصادر التشريعية الاسلامية، ومهمة المفكرين والعلماء الاسلاميين هي في تحديد الأساليب العملية للجهاد على ضوء خصوصيات الواقع القائم وملابساته من جهة، وضمان انسجامها وانطباقها مع تلك القواعد الشرعية من جهة أُخرى، وهذه هي إحدى المتطلَّبات الرئيسية والملحَّة التي تُلقى مسؤوليتها على عاتق الطلائع الاسلامية لإنجازها بهدف دفع حركة العودة الإسلامية نحو تحقيق أهدافها الإلٰهية العادلة. ولاريب في أنَّ مهمة كهذه تستلزم تظافر الجهود لتحقيقها سواء مابين دراسة ملابسات الوضع القائم وخصائص مناطق العالم الاسلامي وطبيعة خطط وتحركات القوى المعادية من جهة واستنباط وتحديد المواقف الشرعية والمناهج الجهادية على ضوئها من جهة أُخرى، إلا أنَّ ممَّا لاريب فيه أيضا أنَّ إنجاز هذه المهمة من شأنه أن يحدث نقلة حضارية مهمة كبرى في مسار الصراع لصالح الحق الاسلامي، وذلك بحكم الثمار المباركة لتجسيد حركة الفقه الاسلامي عمليا في مسار الصراع، وهي ثمار يمكن تكوين صورة مصغَّرة عنها من خلال ملاحظة ما أثمره تطبيق أحد الأحكام الإلٰهية وهو المتعلق بحكم المسيء للمقدسات الإلٰهية، وما أفرزه من معطيات مهمة فصَّلنا الحديث عن جوانب منها وحسب في الفصلين السابقين.

وواضح أنَّ للإعلام الإسلامي بكافة مؤسساته الصغيرة والكبيرة دور مهمٌّ في مسؤولية إنجاز هذه المهمة وتبيان أساليب الجهاد وطرقه، وإيصالها للجماهير، مثلما أنَّ للخطط الحركية دور فاعل في تجسيد نتائج تلك المهمة. بالنسبة للجانب الأول يعتبر الامام القائد دور الاعلام الاسلامي في إنجاز تلك المهمة جزءاً أساسيا بل ورئيسيّاً من المسؤولية الشرعية للاعلام الاسلامي حاليا، وهذا مايمكن ملاحظته بوضوح في رسالة التعيين التي وجهها (رض) لآيةالله جنتي حيث عينه فيها مسؤولا عن منظمة الاعلام الاسلامي في الجمهورية الاسلامية، وحدَّد فيها مسؤولية الاعلام الاسلامي حيث يقول رضوان‌الله تعالى عليه:ـ

«إنَّ الإعلام بهويته الساعية للتعريف بالفضائل، والترغيب للتحلِّي بها والعمل وفقها، وتحديد الرذائل وتوضيح سبل عدم الوقوع فيها وقمعها، الاعلام بهذه الهوية هو من الأركان المهمة للغاية في الاسلام العزيز.

إن شاءالله ستوَفقون لإيضاح وتبيان قضاياه الغامضة والمجهولة وتبيانها لشعب إيران النبيل وعموم العالم الاسلامي.

بيِّنوا لهم معالم الاسلام المحمدي النقي الأصيل وأُطره المتجسِّدة في غضبه وسخطه وحقده الثوري المقدس على رأسمالية الغرب وشيوعية الشرق العدوانية.

بيّنوا كذلك للجماهير وخاصة للشباب الغيارى سبل مقارعة ومكافحة الرياء والمكر والخداع».

ومن ملاحظة أنَّ الصفات الثلاث الواردة في نهاية المقطع (الرياء والحالة النفاقية والمكر والخداع) تمثل أبرز مميزات تحركات القوى المعادية، يمكن فهم تأكيد الإمام على ملاحظة الخصائص الواقعية لأطراف الصراع وأخذها بعين الاعتبار في تحديد سبل المقارعة والمواجهة العملية، وهذا المعنى يؤكده كثيراً قائد التجربة بل ويعتبر معرفة هذه الخصائص الواقعية

شرطاً أساسياً من شروط المجتهد الحقيقي القادر على تحديد المواقف الشرعية العمليـة تجاه مجريات الصراع والمواجهة. وهذا ماصرَّح به في بيانه التاريخي الموجه لعلماء الاسلام ومراجعه والمشاراليه سابقا حيث يقول في جانب من هذا البيان: ــ

«المجتهد الديني ينبغي أن يكون محيطا بالقضايا المعاصرة، فلا تستسيغ الجماهير والشباب وحتى العامة أن يقول مرجعها الديني «ان ليس لي رأيٌ في القضايا السياسية» إنَّ من خصائص المجتهد الجامع المعرفة بأساليب التعامل مع مكائد الثقافة المسيطرة على العالم وتضليلاتها، وامتلاك الوعي والبصيرة في الشؤون الاقتصادية، والاحاطة بكيفية التعامل مع النظام الاقتصادي المسيطر على العالم، ومعرفة أنماط السياسة وحتى أنماط الساسة ومعادلاتهم المملاة عليهم، و إدراك نقاط القوة والضعف في قطبي الرأسمالية والشيوعية. فالمجتهد ينبغي أن يتحلَّى بالفطنة والذكاء والفراسة اللازمة لقيادة المجتمع الاسلامي الكبير، بل وحتى المجتمعات غير الاسلامية، واضافة إلى الإخلاص والتقوى والزهد وهي من الخصائص التي تستلزمها طبيعة المجتهد الديني، يجب أن يكون ــ المجتهد ــ قادراً على الإدارة والتخطيط. فالحكم في نظره هو الفلسفة العملية للفقه الاسلامي كله، وفي مختلف المجالات الحياتية للبشر، والحكم هو التجسيد العملي لاقتدار الفقه الاسلامي على معالجة كافة المعضلات الاجتماعية والسياسية والعسكرية والثقافية، الفقه النموذجي هو النهج العملي الكامل القادر على إدارة المجتمع والفرد من المهد إلى اللَّحد، فالهدف الأساسي هو كيف نستطيع أن نطبِّق مبادئ الفقه المتينة عمليَّاً في سلوكيات الفرد والمجتمع، وكيف نحل بها المعضلات.

إن منبع مخاوف وقلق الاستكبار هو من أن يأخذ الفقه والاجتهاد صفة واقعية عملية ويوجد لدى المسلمين قدرة التعامل مع

القضايا المعاصرة وفق أحكام الفقه الاسلامي، وإلّا فما سر تلك الحالة التي أصابت غزاة العالم بمجرد إعلان ذلك الحكم الشرعي الاسلامي الذي يجمع عليه كافة علماء الاسلام تجاه مرتزق للأجانب؟ لماذا استشاطوا غضبا وتميَّزوا غيظاً؟ ولماذا عمد قادة الكفر والسوق المشتركة وأمثالهم إلى هذا التكتل المستميت ضد هذا الحكم الشرعي؟، ليس لهذه الحالة من تفسير سوى أنهم قلقون من القدرة العملية للمسلمين في تشخيص مؤامراتهم المشؤومة والتصدّي لها».

والتمعن والتدقيق في هذا النص كفيلان بمعرفة ضرورات تلك المناهج العملية في المواجهة وسبل تحديدها على ضوء القواعد الشرعية من جهة، وملابسات وخصائص الواقع المعاش وحركة الصراع من جهة أُخرى. وتتضح من النص كذلك شدة تأكيد الإمام على هذه المناهج العملية في المواجهة المجسّدة للأحكام الجهادية الاسلامية والمنطلقة من قواعدها الشرعية؛ فهذه المناهج هي إحدى ضمانات الانتصار وسبله، ويتجسَّد عمق اهتمام قائد الثورة بها في اعتباره تحديد هذه المناهج جزءاً أساسياً من مهمة الحكم الاسلامي، كما يشير لذلك صراحة في رسالته التي وجهها إلى مجمع تشخيص المصلحة في النظام الاسلامي بتاريخ (٢١/ جمادى الاولى/ ١٤٠٩) حيث يقول رضوان الله تعالى عليه: ـ

«إنَّ واحدة من القضايا المهمة للغاية في هذا العالم المعاصر المتخم بالاضطراب حاليا، هي ملاحظة دور الظروف الزمانية والمكانية في الاجتهاد، ونوعية القرارات المتخذة. الحكومة تعيّن المناهج العملية في مواجهة الشرك والكفر ومعالجة المشاكل الداخلية والخارجية، أمّا الجدل الأكاديمي والحوزوي المنحصر بالأُطر النظرية فلايمكن بواسطته التوصل لحل، وأكثر من ذلك فإنه يجرُّنا إلى حلقات مفرغة».

«امتلاك زمام الصراع»

من الثمار المهمة التي توفرها عملية تحديد المناهج العملية في المواجهة والصراع بالصورة التي أشار اليها الامام القائد ـ كما تقدم ـ هي أنَّها تمكِّن الطلائع الاسلامية من أن تكون دائما متقدِّمة بخطوات على الحوادث الواقعة، إذ أن تحديد المناهج العملية في المواجهة يقتضي التنبُّؤ ـ بصورة علمية ـ باحتمالات التحركات المضادَّة التي تلجأ إليها القوى المعادية، وهذا الأمر يمكِّن الطلائع المجاهدة من التحديد الهادئ الحكيم للخطوات اللاحقة التي تتَّخذها لمواجهة تلك التحركات والردِّ عليها بما يخدم الحق الاسلامي في معادلة الصراع، وهذا بدوره يجعلها على الدوام ممسكة بزمام حركة الصراع، تسيِّرها باتجاه تحقيق الأهداف الإلٰهية، وفي غير هذه الحالة تصبح عرضة للمواقف الدفاعية المرتبكة، ولدوّامة الضربات المضادَّة المتلاحقة التي تترك آثاراً سيِّئة مضاعفة على موقعية الطرف الجهادي في عملية الصراع، بحكم أنَّ كثيراً من ردود الفعل تلك تكون انفعالية متأثرة بالحدث الراهن نفسه، وبالهجمات المتتالية ومعالجتها، ألأمر الذي يبعدها عن التفكير والعمل الجادِّ باتجاه الأهداف الكبرى، كما اشرنا لذلك سابقا.

ومفهوم أنَّ الإمساك بزمام الصراع والتقدم على الحوادث المستقبلية، ينطلق أساسا من الفهم المعمَّق لطبيعة الواقع المعاصر، وأطرافه الفاعلة، وأحجامها وأهدافها ومستقبل مواقعها ومستقبلها هي وطبيعة تحركاتها المحتملة وهمومها الأساسية واتجاه حركة الصراع، وما إلى ذلك من قضايا يمكن على ضوء معرفتها الدقيقة تحديد الاحتمالات الصحيحة للحوادث المستقبلية، وبالتالي تحديد المواقف الصحيحة تجاهها بعيداً عن الانفعال ومواقف اللحظة الراهنة، يقول قائد الأُمة في بيانه الموجه لمراجع

الاسلام وعلمائه: ـــ

«على الحوزات الدينية والعلماء أن يديروا الحركة الفكرية بأنفسهم دائما، ويحيطوا باحتياجات المجتمع المستقبلية، وأن يكونوا دائما متقدّمين عدة خطوات على الحوادث ليكونوا قادرين على اتخاذ ردود الفعل الصحيحة تجاهها...».

ويضرب الامام (رضوان الله تعالى عليه) مثالاً يتعلق مباشرة بأحد أبرز الأهداف الإلٰهية السامية، وهو تحكيم الاسلام لحل معضلات البشرية المعاصرة، وضرورة أن يكون علماء الاسلام خاصة وطلائعه عامة؛ على استعدادٍ للمبادرة إلى المواقف السليمة تجاه إقبال المجتمعات البشرية على الاسلامٍ فيقول (رض): ـــ

«ربّما تتغير في السنين القادمة الأساليب المألوفة حاليّاً في إدارة الجماهير، وتحتاج المجتمعات البشرية إلى الإسلام ومسائله الجديدة ليحل مشاكلها، لذا يجب أن يفكر علماء الاسلام العظام من الآن في هذا الأمر».

ومفهوم أنّ التحسُّبَ والتنبُّؤ بالحوادث المستقبلية الواقعة في خضم الحركة للوصول إلى هذا الهدف هو أشد وجوبا وأكثر إلزاما في ضرورة دراستها وتحديد المواقف الشرعية الصائبة تجاهها.

«توسيع الدور الجماهيري»

كان واضحاً من مجريات الموقف الاسلامي الحازم تجاه نشر رواية «الآيات الشيطانية» وحركة الإساءة الجديدة أنّ الاستجابة الجماهيرية لهذا الموقف الحازم، واتساع تفاعلها معه؛ هي التي ساعدته في إحداث تأثيراته الحاسمة على موقف القوى المعادية و إحباط الخطوة الأُولى من حركة الاساءة، وعلى ضوء ذلك تتأكد احدى المتطلبات الرئيسية للمرحلة الراهنة، وهي ضرورة المحافظة المستمرة على حضور الدور

الجماهيري الاسلامي في مجريات الصراع، وتعبئته المتواصلة للدفاع عن الاسلام ومقدساته، وكما لاحظنا في حديثنا عن معطيات مجريات الحركة الجديدة، فإنَّه قد ثبت عياناً بأنَّ روح الدفاع هذه متأصلة في عمق الوجدان الاسلامي، وأنَّ كلَّ محاولات قتلها قد ثبت فشلها، وأنَّ بالامكان تفجير هذه الروح المقدَّسة إذا ما أحسنت الطلائع المجاهدة طريقة التعامل معها ومكَّنتها من الانطلاق للتعبير عمليا عن نفسها في مواقف إيمانية عامة لايمكن بحال إنكار اتّساع وأهمية آثارها الايجابية في دعم موقف الحق الاسلامي في حركة الصراع. وقد شهد العالم فاعلية وأهمية الدور الجماهيري في تجربة الثورة الايرانية حيث كان من أهم العوامل التي مكَّنت هذه الثورة من التغلُّب على عشرات من مؤامرات التطويق والإجهاض التي مورست ضدَّها قبل الانتصار وبعده، وعلى مدى العقد الأول من عمرها بأكمله والتي ستمارس بعده كذلك.

وعلى ماتقدم فإنَّ المحافظة على فاعلية هذا الدور الجماهيري تعطي الموقف الاسلامي في حركة الصراع زخماً ودفعا مستمرين، وقدرة واسعة خاصة في مجالات إحباط المؤامرات المضادة التي تثير عادة المشاعر العامة للجماهير أكثر من غيرها من مجريات مسار المواجهة والصراع، وبالطبع فإنَّ المحافظة على هذا الدور وتطويره تستلزم فيما تستلزم؛ ألإبقاء على الارتباط العام بين أفكار الرأي العام الإسلامي ومجريات المواجهة والتطورات التي تشهدها الساحة الاسلامية ومايطرأ عليها باستمرار، وبالتالي تبيان أبعاد المؤامرات الجديدة للقوى المعادية، و إطلاع الجماهير عليها بالسرعة المطلوبة للنجاح في مواجهتها و إحباطها هذا أوَّلاً.

و ثانيا فإن المحافظة على فاعلية الدور الجماهيري هذا تستلزم من جهة أُخرى مواصلة جهود بعث روح الغيرة الإسلامية لدى الجماهير، والإبقاء عليها متوقدة، وتوضيح ضرورات الدفاع عن المقدسات وموارد

ومصاديق ذلك التاريخية والمعاصرة، وكلتا هاتين القضيتين المتعلقتين بالدور الجماهيري يشير إليهما الامام القائد في النص التالي من بيان الشكر الذي أصدره مكتبه (رض) في ٥/شعبان/١٤٠٩ على الاستجابة الجماهيرية الواسعة لحكمه القرآني بشأن المسؤولين عن نشر رواية «الآيات الشيطانية»: —

«وآمل من الزعماء الدينيين والعلماء الأعلام، والمحافل والمراكز الاسلامية، والأجهزة والمؤسسات التبليغية والاعلامية، وجميع المعنيّين والمسؤولين أن يَعمَدوا إلى تعريف المسلمين بضرورات الدفاع عن حريم المقدسات الاسلامية، وأن يحذّروهم من مؤامرات أعداء الإسلام التي تُطرح كل يوم بشكل جديد واسلوب جديد، وأن يبقوا دائماً على أُهبة الاستعداد للجهاد والمواجهة و إحباط المؤامرات حتى تحقيق الانتصار النهائي للاسلام على الكفر العالمي».

والنفس التعبوي في هذا النص واضح ومتجلٍّ للغاية، وواضح فيه سعيه لتجنيد كافة الطاقات الإسلامية في هذه الحرب الجهادية المقدسة لتحقيق الأهداف الإلٰهية، فكيف يمكن إغفال الجماهير وهي صاحبة الدور الأساسي[1]، ومفهوم أنَّ مسؤولية هداية الجماهير والمحافظة على فاعلية دورها وحضورها الجهادي في معترك الصراع، هي مسؤولية عامة تقع على عواتق الطلائع الاسلامية كافة حيثما كانت مواقعها. وهذا ما نفهمه من الأطراف التي خاطبها الامام في النص الآنف، كما أنَّ هذه المسؤولية تتأكَّد على المؤسسات التبليغية والاعلامية بحكم مسؤوليَّتها

---

١ — في بيانه الى علماء الاسلام ومراجعه يقول رضوان الله تعالى عليه:
«إننا اذا لم نقم بخدمة النظام الاسلامي، واذا تجاهلنا التجاوب الجماهيري مع علماء الدين وهو تجاوب لم يشهد التاريخ له نظيراً، فلن تكون لنا بعدها فرصة عمل وظروف افضل من هذه».

ومهمَّتها الرئيسية. وقد تقدم تحديد الإمام رضوان الله تعالى عليه لهذه المهمَّة في الرسالة التي وجهها لآية الله الجنتي.

وبالتدقيق في نص رسالة الشكر الآنفة يمكن ملاحظة أنَّها تأتي في سياق جهد متابعة للموقف الاسلامي الحازم تجاه حركة الإساءة الجديدة، متابعة أكثر اتساعا من الحدود الظاهرية للقضية، متابعة تسعى لإيجاد نقلة توظيف معطيات نفس هذه القضية لإعطاء زخم جديد لمسيرة الجهاد لتحقيق الأهداف الإلٰهية الكبرى، لاحظ مثلاً وفي نفس رسالة الشكر وحدها العبارات التالية:ـ

«أسأل الله التوفيق للجميع في أداء التكاليف الإلٰهية وقطع أيادي الأعداء والمتآمرين عن كافة البلدان الإسلامية».

ويلاحظ أيضا تأكيده (رض) على:ـ

«تعريف المسلمين بضرورات الدفاع عن حريم المقدسات الاسلامية».

و:

«حفظ الاستعداد الدائم للجهاد والمواجهة حتى تحقيق الانتصار النهائي للاسلام على الكفر العالمي».

ومعلوم أنَّ الأمر يتطلب جهوداً متظافرة من قبل الطلائع المجاهدة لإيجاد هذه النقلة وٱستكشاف أشكال الإساءات المقنَّعة التي تمارس ضد المقدَّسات الاسلامية، وتعريف المسلمين بهذه الإساءات وحقيقة أهدافها واشتراكها في هويتها الحقيقية مع إساءة «الآيات الشيطانية»، وإيضاح ضرورة اتخاذ مواقف حازمة لمواجهة هذه الإساءات المقنعة نظير الموقف الحازم الذي وقفته ضد رواية رشدي، فالإساءات هي واحدة في حقيقتها، بل وأنَّ تلك الإساءات المقنَّعة الخفية أشدُّ خطراً على الاسلام بحكم ٱبتعادها عن الإثارة المباشرة للمشاعر الإسلامية العامة، الأمر الذي

يستلزم اتخاذ مواقف تجاهها أشدَّ حزما ممّا كان عليه الحال قبال تلك الرواية المبتذلة، ولاشك في أنَّ اتخاذ مواقف جماهيرية واسعة وحازمة تجاه أشكال الإساءات الخفية والمقنَّعة يستلزم عملية تبليغية واسعة ومستمرة تزيل الاقنعة التضليلية عن تلك الإساءات وتكشف حقيقتها للجماهير.

«ترسيخ درع الاستشهاد»

حوادث من نظائر إسقاط طائرة الايرباص المدنية الايرانية من قبل أميركا، أو ابادة مدينة حلبجة العراقية بالأسلحة الكيمياوية من قبل النظام العراقي، أو مجزرة حرم الأمن المكي من قبل السعوديين، أو مجزرة بئر العبد جنوبي بيروت من قبل المخابرات الأميركية وبتمويل سعودي، هذه الحوادث الإجرامية تكشف بجلاء عن الشراسة الاستكبارية في التعامل مع الحالة الاسلامية الجديدة وطلائعها الجهادية، ولاغرابة في ذلك فالمعركة بالنسبة للقوى المعادية معركة مصيرية، ومع ازدياد تنامي قوة الوجود الاسلامي تجد مطامعها ومصالحها في طريقها إلى الزوال، فمن الطبيعي أن تخوض ضده حربا شرسة تستخدم فيها كل مالديها من وسائل الإرهاب الجسدي والمعنوي، والحرب الاقتصادية والسياسية وغير ذلك، ومع انعدام القيم الأخلاقية لديها فمن الطبيعي أن نتوقع عدم تورعها عن ارتكاب أيِّ جريمة لضرب الإسلام والكيان الاسلامي المبدئي نظير الجرائم التي أشرنا لبعض نماذجها آنفا، وقبالة ذلك بديهي أن نتوقع ثمناً باهظاً من التضحيات وتحمُّل أشكال الضغوط والصعاب في طريق مجاهدة قوى الاستكبار و إنهاء شرورها.

في بيانه الصادر في (١٤/شعبان/١٤٠٩) يقول قائد الامة الاسلامية (رضوان الله تعالى عليه): ــ

«ليس هناك من لايعلم بأن شعبنا العزيز يعاني من الصعاب، وأنَّ

الغلاء والاحتياجات تضغط على الطبقة المستضعفة، ولكن أيضا ليس هناك من لايعلم بحقيقة أنَّ الإعراض عن الثقافة المبتذلة للعالم المعاصر، وتأسيس ثقافة جديدة في العالم على أُسس الإسلام، وأنَّ التعامل الحازم مع أميركا وروسيا، كلها تستتبع ضغوطا ومشاقَّ واستشهاداً وجوعا، إلّا أنَّ جماهيرنا اختارت بنفسها هذا الطريق وستدفع ثمنه أيضا، وهي مفتخرة بذلك».

إذن هناك ضغوط ومشاق وارهاب وصعوبات نفسية وسياسية تعترض طريق المجاهدين في سبيل الله الساعين لتحقيق أهداف العدالة الإلٰهية في هذه الأرض ولكن لامناص من مواجهتها وتحمُّلها قياماً بالواجب الإلٰهي المقدَّس، ولامناص من مواجهتها دفعا لها فما لاشك فيه ان التخاذل أمامها والاستسلام لها سيجر أشكالاً أشدَّ خطورة من الإرهاب والمشاق والأذى لايمكن أن تنتهي بحال من الأحوال حتى لوكان الثمن المدفوع للتخلُّص منها ــ كما يتوَّهم دافعوه ــ هو التخلي عن الأهداف المقدسة، بل وعموم الالتزام الديني، وحتى لو قدم هذا الثمن فلن يحصل مقدموه في المقابل على شيء من دفع الأذى بل سيقاسون أشكالاً متنوِّعة منه يتجرَّعون معها غصص الذلة والمسكنة، وهذه سنة تاريخية يمكن الاستشهاد بالعديد من المصاديق التاريخية عليها، ولعل أبرزها ماظهر في تجربة بني إسرائيل التي فصَّل القرآن الكريم الحديث عنها طويلا في محكم آياته، فالنزعة الاستكبارية لايمكن وضع حد لشرورها لا بالاستسلام والخضوع لها ولابتجاهلها ومحاولة الابتعاد عنها، والطريق الوحيد لقمعها ودفع أذاها هو بمواجهتها الحازمة مهما استتبعت هذه المواجهة من صعاب، ومهما استلزمت من تضحيات، فتلك الصعاب وهذه التضحيات هي مهما تعاظمت تقلُّ كثيراً عن أشكال الاذى والشرور التي تفرضها تلك النزعة على المستسلمين لها والخاضعين لإرادتها الجائرة، وشتّان بين صعاب تُتحمَّل

بكرامة وتضحيات تقدم طواعية وبعزة وبانتظار الكرامة الأُخروية، وصعاب وأذى وعذاب يُسام به المستسلمون ممزوجا بالذلة والمسكنة في الدنيا والخزي والعار والعذاب الاليم في الآخرة.

ومواجهة هذه الصعاب والمشاق تستلزم تركيز وترسيخ روح التضحية، وتربية النفوس بالدرجة الأُولى باعتبار كونها المستهدف بالقسم الأعظم من سهام الحرب الاستكبارية، كما أن ترسيخها ضروري لكي تكون المبادِرَةَ للتضحية والفداء، وبذلك فقط تُفَجَّرُ الروح الملحمية التضحوية لدى الجماهير حيث تكون قدوة لها.

يقول الامام القائد (رضوان الله تعالى عليه) في بيانه التاريخي الموجه لحملة رسالة الاسلام: ـ

> «ليكن الجميع يداً واحدة في مواجهة تلك المؤامرات، ولْيُعِدُّوا أنفسهم أكثر وأكثر للتضحية والشهادة من أجل هداية الجماهير. لافرق في ضرورة هذا الاستعداد سواء أكانت الجماهير طالبة للحقيقة كما هو الحال في زماننا حيث هي متوجِّهة أكثر ممّا نتصور نحن، أم لم تكن كذلك كما كان الحال في زمن الأئمة المعصومين عليهم السلام».

ولقد أثبتت الحوادث الواقعة عمليا توافر الاستعداد للتضحية والفداء لدى الجماهير وغيرتها على المقدسات الاسلامية وعلى الاسلام، وأنَّ بالإمكان تفجير روح الغيرة المقدسة هذه عبر توعية الجماهير بأشكال العدوان الاستكباري على الاسلام ومقدساته، وعبر تحديد المواقف العملية الواضحة لها للتصدي لأشكال العدوان تلك.

يتحدث الإمام القائد في بيانه آنف الذكر عن عمق وفاء الجماهير للاسلام واستعدادها للتضحية دفاعاً عنه، فيقول فيما يتعلق بالتجربة الإيرانية بالذات، وبعد عقد كامل من انتصار ثورتها وماتضمنه هذا العقد

من أشكال المحن والضغوط: ـــ

«إنّني على ثقة كاملة من أنّ الجماهير كافة لازالت على حالها السابق سنداً لنظامها الإسلامي وثورتها الاسلامية، وفضلا عن عشرات ومئات المصاديق التي جسّدت فيها حضورها الفاعل في ميادين المواجهة واستعدادها الجهادي الكامل، فقد بادرت في مسيرات اليوم الثاني والعشرين من بهمن لهذا العام بادرت لاثبات واقع حضورها واستعدادها الكامل للعالمين، بحيث أثارت الاستغراب والتساؤل لدى أعداء الثورة أن: (إلى اي مدى تبقى هذه الجماهير مستعدة للتضحية؟) إنّني خجل قبال ذلك، وأرى نفسي أصغر من أن أعمد بالبيان إلى تصوير حالة هذه الجماهير وشكرها، الله تعالى هو الذي سيثيبها على كل هذا الاخلاص والوعي والعبودية».

هذا فيما يتعلق بالتجربة الايرانية داخليا، أمّا على صعيد عموم العالم الاسلامي فقد أثبت موقفه من نشر رواية «الآيات الشيطانية» توافر هذا الاستعداد التضحوي و إمكانية تفجيره لينطلق معبّراً عن نفسه بأروع الصور الملحمية، نظير الذي حدث في تظاهرات المسلمين في الهند والباكستان وبنغلادش ولبنان والدول الأُوربية وغيرها. وهذا الموقف الاسلامي العام يصفه الإمام القائد (رضوان الله تعالى عليه) بالإشراق والعظمة، ويطرح معه احتمالاً بأن يكون التصعيد في إثارة قضية منع الحجاب في تركيا حركة تضليلية للتعتيم عليه.

يقول (رض) في بيان النصف من شعبان عام ١٤٠٩: ـــ

«يحتمل أن تكون قضية مكافحة حجاب النساء المسلمات في الأماكن الدراسية، حركة انحرافية تستهدف التقليل من الاشراق وعظمة صورة دفاع العالم الاسلامي عن الرسول الأكرم (ص)».

وهناك نماذج عملية أُخَرُ تثبت توافر هذا الاستعداد التضحوي

لدى الجماهير المسلمة يمكن فرز الكثير منها مثلاً من انتفاضة الشعب الفلسطيني ضد كيان الإفساد الإسرائيلي، ومن تجربة المقاومة الإسلامية اللبنانية ضد الغزو الإسرائيلي والغربي، ومن تجربة الجهاد الأفغاني، وغيرها من التجارب الجهادية المعاصرة التي تكشف تحوُّلا خاصًّاً في العالم الاسلامي يحمل الكثير من مكامن العطاء لدى الجماهير وتوجيهها للدفاع عن الاسلام، وهي ينابيع ثرَّةٌ يمكن تطويرها،

إنَّ من الضروري تركيز وترسيخ هذه الروح المقدسة لدى الجماهير انطلاقا من مسؤولية الهداية، وكضرورة جهادية تقتضيها متطلبات المرحلة الراهنة من مسيرة الصراع، ولاشك بأن أُولى السبل لتحقيق هذه الغاية الإلٰهية هي مبادرة الطلائع الاسلامية للتضحية والشهادة كما تقدم، كما أن من السبل الأُخرى والمهمة للغاية هو أن يكون أساس التطوير قائماً على تنمية الدافع الإيماني وتقويته لدى الجماهير، فهو المنطلق الأساس للهداية، وهو الأساس المتين لتلك الروح التضحوية المقدسة، ونبع تفجُّر عطائها، كما أنه ضمان استمرار حياة فاعلية هذه الروح لدى الجماهير، حيث يطرح الأساس العقائدي والأجر الإلٰهي منطلقا للفداء والتضحية.

في بيان شعبان المذكور يقول قائد الأُمة مشيراً إلى هذا الأساس العقائدي المتين: ـــ

«إنَّ الجميع يعلمون أنَّ تحمُّل ثمانية أعوام من الضغوط والصعاب إنَّما كان من أجل الاسلام العزيز ومن اجله **فقط**، لذا فعلى المسؤولين أن يقفوا أقوى من أيِّ وقت مضى، وبكامل قواهم، دفاعا عن الاسلام في وجه اعتداءات غزاة العالم، سواء العسكرية والسياسية والثقافية».

فعندما يكون الدافع للتضحية هو الأساس العقائدي المتين فإنه يكفل ٱستمرار وجود دعامة قوية تستند إليها الطلائع الاسلامية في مواجهة

اعتداءات المستكبرين دفاعا عن الاسلام مهما عظمت التضحيات. وقد تقدمت إشارات عديدة لأهمية هذا الأساس العقائدي، كما يمكن الاستشهاد بنصوص أُخَرَ تتضمَّن أمثال تلك الإشارات. فمثلاً وضمن شكره المسلمين على الموقف المشرف في دفاعهم عن قدسية الرسول الأعظم (ص) ضمن مجريات قضية «الآيات الشيطانية» طلب قائد الأمة (رضوان الله تعالى عليه): ــ

«تبليغ الجميع بآيات شكره وتقديره الخالصين لكل هذه المشاعر النقية وروح الغيرة والحماسة الدينية المعبِّرة **عن قلوب عامرة بالايمان والاخلاص**»[1].

وخلاصة الأمر: إن من الضرورة بمكان وبلحاظ متطلبات المرحلة الراهنة من مسيرة الصراع ضد أعداء الاسلام والقيم الإلٰهية، وبلحاظ أُسس ومنطلقات الهداية الإلٰهية، تركيز روح التضحية والإقبال عليها وعلى الشهادة لدى الجميع شريطة أن يكون الأساس إيمانيّاً عقائديا إذ أنَّه «معلوم وواضح أنَّ من المحال إلحاق الهزيمة بثقافة الشرق والغرب دون درع الاستشهاد»، على حد تعبير الامام القائد في بيانه الصادر في شعبان عام ١٤٠٩ هـ، فينبغي للمجاهدين خوض معارك المواجهة، وتسطير ملاحم الجهاد الاسلامي بتلك الروح الخمينية التي تصورها ببلاغة تلك العبارات

---

١ ــ في بيانه الذي أصدره بمناسبة يوم الجيش الاسلامي ٦٨/١/٢٩ هجرية شمسية تحدث الامام في عدة مواقع عن ضرورة ترسيخ الأساس العقائدي ففيما يتعلق بالقوات المسلحة قال رضوان الله تعالى عليه: ــ

«على الجيش وسائر القوى المسلَّحة أن يولوا الاهتمام اللازم للبناء المعنوي والعقائدي وهم في مرحلة البناء والاعمار فالجميع قد أدركوا وعبر تجربة ميدانية في ساحة المعارك عمق فاعلية المعنويات العالية والإيمان ودورهما في دفع اقتدار القوات وثباتها وصمودها وتحقيق الانتصارات والانجازات وأُؤكد على ضرورة زيادة الاهتمام بالتربية العقائدية والاخلاقية».

الأبية التي نقلناها سابقا من نفس البيان المذكور، ونكرِّر تثبيتها مرة أُخرى في ختام هذه الدراسة ومسك ختام لها إذ أنها جديرة بأن ينقشها كل مجاهد بحروف الإباء في قلبه، يقول قائد الأُمة: ــ

«ومرَّة أُخرى أطلب من المسؤولين الكبار في نظام الجمهورية الاسلامية ان لايخشوا من أيِّ شيءٍ ومن أيٍّ كان سوى من الله العظيم، ولْيَشُدُّوا أحزمة العزم ولايتخلَّوا عن مقارعة ومجاهدة فساد الرأسمالية الغربية وفحشائها، ولاعن مقارعة ومجاهدة خواء الشيوعية وعدوانها، فنحن لازلنا في الخطوات الأُولى من طريق جهادنا العالمي ضد الشرق والغرب.

ومم الخشية؟!

فهل الأمر أكثر من أن نُهزَمَ ظاهريّاً امام غزاة العالم فنباد؟!

وهل الأمر أكثر من أن يطرحونا أمام العالم كمثال للوحشية والتحجُّر؟!

وهل الأمر أكثر من أن يسعوا لسحق عزة الاسلام والمسلمين عبر عملائهم القتلة والمنحرفين المتسلِّلين إلى المواقع والمراكز والمحافل؟!

وهل الأمر أكثر من أن يصعد إلى أعواد المشانق الأعزاء أبناء الاسلام المحمّدي الأصيل في أرجاء المعمورة؟!

وهل الأمر أكثر من أن تُساق نساء وأطفال حزب الله في العالم أُسارى؟!

فدع عالم المادّيات الخبيث يفعل بنا كل هذا، ولكن.. لِنَنْهَضْ نَحن بتكليفنا وواجبنا الاسلامي».

وبهذه الروح انتفض الخميني وآندفع مغامراً بنفسه في مجاهدة أعداء القيم فاستطاع بفدائيته أن يفجِّر هذه الروح المقدَّسة لدى الملايين، وبهذه الروح قاد الثورة من نصر إلى نصر.

وبهذه الروح الفدائية الصلبة تحدَّى نظام الكفر الدولي برُمَّته،

وألحَقَ به الهزيمة تلو الهزيمة، وحركة الصراع مستمرة والعاقبة للمتقين.

* * *

الفهرست